

مَدْخُلُ الْإِلَهِيِّ إِلَى عِلْمِ الْبَلَاغَةِ

الدكتور محمود فهمي حجازي

طبعة جديدة مزیدة ومنقحة

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبدہ غریب

الكتاب : مدخل إلى علم اللغة

المؤلف : د. محمود قهبي حجازي

تاريخ النشر :

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

شركة مساهمة مطرية

عبدك غريب

المركز الرئيسي : مدينة العاشر من رمضان

والمطابع المنطقة الصناعية (C1)

ت : ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٢

ت ، ف : ٢٤٧٤٠٣٨

رقم الإيداع : ٩٧/١٠٧٧٠

التسجيل الدولي : I. S. B. N.

977-5810-69-8

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

يطيب لى أن أقدم للقارئ المثقف وللباحثين فى علوم اللغة هذا الكتاب فى طبعته الجديدة الموسعة. يعرف الكتاب بطبيعة اللغة ووظيفتها المجتمعية، ويتناول بإيجاز مناهج البحث اللغوى. ويقدم تعريفا بأهم قضايا البحث الصوتى فى العربية، بالإفادة من مناهج حديثة وربط المصطلحات الحديثة بالأصول التراثية، مع عرض مركز لأصوات العربية واتجاهات التغير فيها. وفى الفصول الخاصة ببنية الكلمة وبنية الجملة والدلالة نجد القضايا الأساسية والمصطلحات الحديثة، مع التطبيق على العربية، والنظر فيها فى ضوء المقارنات والواقع المعاصر. تتسم هذه الطبعة الجديدة بإضافة هذه الفصول، لتلبى حاجة القارئ والباحث إلى تعريف مركز وواضح.

لقد احتفظت هذه الطبعة بالفصول الخاصة بالأسرات اللغوية مع تحديث المعلومات واستكمالها. وهذه الفصول تتناول - على وجه الخصوص - الأسرة اللغوية الأفرو آسيوية، ثم الأسرة الهندية الأوربية، ثم الأسرة الأورالية الألتائية، ثم اللغات الإفريقية. كان الاهتمام فى توزيع اللغات بالحقائق الأساسية، مع الربط - بقدر الإمكان - بالعربية لغة وثقافة وحرفا.

والأمل كبير فى أن تكون هذه الطبعة الجديدة أكثر شمولاً وربطاً بالتراث العربى وأكثر وضوحاً فى تقديم مصطلحات علم اللغة الحديث من أجل تأصيل البحث اللغوى العربى.

والله ولى التوفيق

محمود فهمى حجازى

المحتويات

٥	المحتويات
٧	تقديم
٩	الفصل الأول : اللغة : طبيعتها ووظيفتها
٩	أولاً : اللغة والبحث اللغوي
١٠	ثانياً : طبيعة اللغة
١١	ثالثاً : عملية الكلام بين الفرد والمجتمع
١٣	رابعاً : وظيفة اللغة ومستويات الاستخدام
١٧	الفصل الثاني : علم اللغة : مجالاته ومناهجه
١٧	أولاً : مجالات علم اللغة الحديث
١٩	ثانياً : مناهج علم اللغة الحديث
٢٦	ثالثاً : علم اللغة العام
٢٧	رابعاً : اللغة بين العلوم الإنسانية
٢٩	الفصل الثالث : الأصوات
٢٩	أولاً : الأصوات والكتابة
٣٣	ثانياً : أعضاء النطق وعملية الكلام
٢٦	ثالثاً : التحليل الفونولوجي
٣٩	رابعاً : تصنيف الأصوات اللغوية
٤٥	الفصل الرابع : المصطلحات الصوتية في التراث العربي
٤٥	أولاً : الحروف
٤٧	ثانياً : المخارج والأحياز
٥٠	ثالثاً : المجهور والمهموس
٥٤	رابعاً : الشدة والرخاوة
٥٧	خامساً : الإطباق والانفتاح
٥٩	الفصل الخامس : النظام الصوتي

٥٩	أولاً : الوحدات الصوتية الجزئية
٨٠	ثانياً : المقاطع والنبر والتنقيص
٨٢	ثالثاً : التغيرات الصوتية
٨٩	الفصل السادس : بناء الكلمة
٩٠	أولاً : الوحدات الصرفية
٩٦	ثانياً : الأصول اللغوية بين الثنائية والثلاثية
١٠٠	ثالثاً : الأبنية الصرفية وتنمية المفردات
١٠٧	الفصل السابع : بناء الجملة
١٠٧	أولاً : مفهوم النحو
١٠٩	ثانياً : مفاهيم أساسية
١١٠	ثالثاً : المادة اللغوية
١١٤	رابعاً : الجملة بين النحاة والبلاغيين
١١٩	الفصل الثامن : المكونات المباشرة والنحو التوليدي التحويلي
١١٩	أولاً : المكونات المباشرة
١٢٢	ثانياً : المنهج التوليدي التحويلي وبناء الجملة
١٢٩	الفصل التاسع : علم الدلالة المعجمية
١٢٩	أولاً : علم الدلالة
١٣١	ثانياً : مناهج علم الدلالة والمعجمات الحديثة
١٣٣	ثالثاً : تطور الاهتمام بالدلالة
١٣٧	رابعاً : البحث الدلالي الحديث بين النظرية والتطبيق المعجمي
١٤٥	الفصل العاشر : البنية الدلالية
١٤٥	أولاً : العلاقات الدلالية
١٥٢	ثانياً : مصطلحات دلالية في التراث العربي
١٥٤	ثالثاً : أنواع المعنى
١٥٩	رابعاً : السياق
١٦١	خامساً : المجالات الدلالية

١٦٥	الفصل الحادى عشر : الأسرة اللغوية الأفروآسيوية
١٦٦	أولاً : اللغات السامية
١٧٧	ثانياً : الأفرع اللغوية الأخرى
١٨١	الفصل الثانى عشر : اللغات الهندية الأوربية
١٨٢	أولاً : اللغات المفردة
١٨٤	ثانياً : الفرع الهندى
١٨٦	ثالثاً : الفرع الإيرانى
١٩٣	رابعاً : الفرع السلاقى
١٩٨	خامساً : الفرع الكلتى
١٩٩	سادساً : الفرع الجرمانى
٢٠٥	سابعاً : الفرع الرومانى
٢٠٩	الفصل الثالث عشر : اللغات الأورالية الألتائية
٢١٠	أولاً : اللغات الأورالية
٢١٢	ثانياً : اللغات الألتائية
٢٢٥	الفصل الرابع عشر : اللغات الأفريقية الأخرى
٢٢٥	أولاً : التصنيف النمطى
٢٢٧	ثانياً : لغات البانتو
٢٢٣	ثالثاً : لغات النيجر الكونغو
٢٣٥	رابعاً : اللغات النيلية الصحراوية
٢٣٦	خامساً : أسرات لغوية أخرى
	الفصل الخامس عشر : الأسرات اللغوية فى آسيا والمحيطات
٢٣٩	والعالم الجديد
٢٣٩	أولاً : الأسرات اللغوية فى آسيا
٢٤٨	ثانياً : لغات الهنود الحمر
٢٥٣	- كتب أساسية مختارة فى علوم اللغة
٢٥٥	- مصطلحات أساسية

الفصل الأول

اللغة طبيعتها ووظيفتها

أولاً : اللغة والبحث اللغوى :

عرف المجتمع الإنسانى اللغة فى أقدم صوره، فاللغة ظاهرة تميز الإنسان عن الكائنات الأخرى، واختص بها فأثاحت له أن يكون المجتمع وأن يقيم الحضارة، ولذا فاللغة والمجتمع والحضارة ظواهر متداخلة متكاملة. لقد أثار كثير من المفكرين على مدى القرون قضية أولية اللغة أم المجتمع أم الحضارة، وطرحوا أيضاً قضية اللغة والفكر أيهما سبق الآخر، ولكن البحث الحديث يحاول أن يتعد عن هذه الدائرة المفرغة من التساؤلات حول مراحل يصعب الوصول إليها ليثبت تلازم اللغة مع فكر الإنسان وضرورة اللغة لقيام المجتمع وضرورة وجود مجتمع إنسانى يتعاون فى إقامة الحضارة.

إن الإنسان مارس اللغة منذ آلاف السنين هى عمر الإنسان على الأرض، ثم فكر فى أن يدون اللغة ويخلدها بذلك للأجيال التالية. كان هذا فى مصر والعراق منذ نحو خمسة آلاف سنة فقط، وظلت أكثر الشعوب على مدى العصور لا تكتب، فاللغة قديمة قدم المجتمع الإنسانى، ولكن كتابتها ظاهرة حديثة نسبياً، وهناك شعوب كثيرة لم تدون لغتها إلا فى السنوات الأخيرة. وكثير من أبناء هذه الشعوب أميون، وبعضهم لا يتصور أن تلك العبارات التى ينطق بها يمكن أن تدون. فاللغة توجد، سواء أكتبت أم لم تكتب، فالإنسان يحتاج اللغة فى حياته اليومية، ولكن تدوين اللغة لا يأتى عادة إلا فى مرحلة من الرقى الحضارى.

أما البحث العلمى فى اللغة فهو ظاهرة حديثة نسبياً، وشيبه بهذا أمر البحث العلمى فى فروع المعرفة المختلفة. الإنسان يتنفس منذ وجد، ولكن المعرفة الحقيقية بالجهاز التنفسى وبعملية الشهيق وبعملية الزفير وما يرتبط بهما من عمليات فسيولوجية

فى داخل جسم الإنسان تعد من الحقائق التى أتى بها البحث العلمى منذ وقت قريب نسبياً. إن الإنسان عرف الماء وأحس به وأفاد منه فى حياته اليومية، ولكن التحليل العلمى لمكونات الماء وخصائصه ودوره الحيوى فى جسم الإنسان عمل علمى لا يعرفه بالضرورة كل من يستخدم الماء أو يشربه. وشبه بهذا أمر اللغة، فاللغة قديمة قدم المجتمع الإنسانى، ولكن البحث فى اللغة لم يتشأ إلا فى إطار التقدم العلمى، ولذا فهو أمر حديث نسبياً فى تاريخ الإنسان.

ثانياً : طبيعة اللغة :

لقد عرف اللغوى العربى ابن جنى (المتوفى ٣٩٢ هـ) اللغة بعبارة : "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". وهذا التعريف يتضمن العناصر الأساسية لتعريف اللغة ويتفق مع كثير من التعريفات الحديثة للغة، فهو يوضح الطبيعة الصوتية للغة ويؤكد أن اللغة أصوات، وهو بهذا يستبعد الخطأ الشائع الذى يتوهم أن اللغة فى جوهرها ظاهرة مكتوبة. ويوضح تعريف ابن جنى طبيعة اللغة من جانب ووظيفتها من الجانب الآخر.

وتوضح التعريفات الحديثة للغة أولاً وقبل كل شئ أن اللغة نظام من الرموز، ومعنى هذا أن اللغة تتكون من مجموعة من الرموز تكون نظاماً متكاملاً. واللغة أكثر نظم الرموز التى يتعامل بها الإنسان تركيباً وتعقيداً، فإشارات المرور رموز ضوئية، ولكنها محدودة وبسيطة. والإشارات الضوئية الصادرة من السفن وأعلام الجيوش والكشافة والفرق الرياضية رموز بسيطة أيضاً. أما الصيحات التى تطلقها الحيوانات بأنواعها ولا سيما الطيور فإنها أيضاً محدودة وبسيطة. ولكن الإنسان وحده يتعامل باللغة التى تقوم على عدد من الرموز ولكنها تكون نظاماً مركباً معقداً. الأصوات التى تصدر عن أعضاء النطق عند الإنسان محدودة نسبياً، واللغات تشترك فى كثير من الأصوات، وأكثر اللغات الإنسانية تقيّد من عدد من الأصوات يقل عن أربعين صوتاً، ولكن هذه الأصوات المحدودة تتخذ أنساقاً كثيرة فتكون آلاف الكلمات فى اللغة

الواحدة. وتتخذ هذه الكلمات عدة ترتيبات متعارفا عليها فى البيئة اسعوية فتكون ملايين الحمل، وتعبير بذلك عن الحضارة الإنسانية والفكر الإنسانى ولدا فاسعة الإنسانية تختلف عن نظم الاتصال البسيطة الأخرى الموجودة عند الإنسان وعدد الحيوان فى أن اللغة الإنسانية نظام مركب معقد من الرموز.

إن الرموز اللغوية لا تحمل قيمة ذاتية طبيعية تربطها بمدلولها فى الواقع الخارجى فليست هناك أية علاقة بين كلمة "حصان" ومكونات جسم الحصان. والعلاقة كامنة فقط عند الجماعة الإنسانية التى اصططلحت على استخدام هذه نكلمة اسما بذلك الحيوان. ومعنى هذا أن قيمة هذه الرموز اللغوية تقوم على العرف أى تقوم على ذلك الاتفاق بكائن بين الأطراف التى تستخدمها فى التعامل. ولذا فالرموز اللغوية وسائل اتصال فى إطار الجماعة اللغوية الواحدة. وتقوم عملية الكلام على وجود استخدام هذه الرموز اللغوية المركبة بقيمها العرفية، وبعبارة أخرى هناك اتفاق على ترجمة هذه الرموز فى العقل إلى دلالاتها التى يعينها المتحدث أو الكاتب فيفهمها المستمع أو القارئ.

ثالثاً : عملية الكلام بين الفرد والمجتمع :

إن عمية الكلام تتم نتيجة وجود مؤثرات خارجية أو داخلية مرئية أو مسموعة، يستجيب بها الجهاز العصبى للمتكلم فيصدر أوامره إلى أعضاء الطبق فترسل بدورها هذه الأوامر على شكل موجات صوتية، وتمضى هذه الموجات فى الهواء فتتلقاها أعضاء السمع عند المتلقى ناقله إياها إلى الجهاز العصبى، وقد يصدر أوامره بعد ذلك إلى أعضاء الطبق، وهكذا تحدث عملية الكلام. وهناك عدة تخصصات تهتم ببحث عمية الكلام، فالعمليات العقلية عند المتحدث والمتلقى موضوع بحث فى علم اللغة النفسى، وهو تخصص جديد أخذ فى الاستقلال. أما علم اللغة فهو يبحث تلك الرموز الصوتية التى نقلت الفكرة من المتحدث إلى المتلقى ويبحث أيضاً كيفية تكوين هذه الرموز الصوتية لكلمات فى تلك اللغة، وكيفية تكوين الكلمات للحمل، ويربط

لبحث اللغوى كل هذا بالمعنى الذى تحمله هذه الرموز. وعلى هذا فوجود للغة يشترط وجود مجتمع، وهنا يتضح الطابع الاجتماعى للغة، فليس هالك نظام لغوى يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتعامل به فاللغة ليست هدفا فى ذاتها، وإنما هى وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة الإنسانية. إن الفرد الواحد يشارك فى عمية الكلام فى مواقف الحياة، وباختلاف المواقف الكلامية اتى يعيشها .فرد تختص مشاركته فى استخدام اللغة. وهنا يجد الباحث من الضروري أن يميز بين اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية والاستخدام الفردى لها باعتباره يختلف باختلاف الأفراد وباختلاف المواقف الكلامية التى يستخدمون فيها اللغة.

لقد ميز اللغوى السويسرى دى سوسير de Saussure بين ثلاثة مصطلحات أساسية فى نظرية اللغة، وهى مصطلحات Langue ويعنى اللغة الواحدة مثل اللغة العربية أو اللغة الفرنسية أو اللغة الانجليزية إلى آخره، و Parole وتعنى الكلام أو الاستخدام الفردى للغة الواحدة عند الفرد، و Langage القدرة اللغوية عند الإنسان بصفة عام. ولهذا التمييز أهمية فى البحث اللغوى المعاصر، فالبحث اللغوى يتجاوز الاستخدام الفردى للغة إلى ظاهرة اللغة فى أبعادها العامة المشتركة عند أفراد الجماعة اللغوية، فالإنسان الواحد مهما أوتى من المهارة اللغوية والقدرة اللسانية والتنوع فى أسلوب الكتابة لا يستخدم كل المعجم الذى تعرفه لغته ولا يفيد من كل إمكانات البنية اللغوية المتاحة له عندما يتحدث أو يكتب اللغة. وإن بحث الاستخدام اللغوى عند الفرد الواحد هو مجرد مرحلة تليها مراحل كثيرة حتى يصل اللغوى إلى تعرف بنية اللغة موضع البحث، وهناك فرق واضح بين الأداء اللغوى Performance عند الفرد وهو محدود نسبيا وبين الملكة أو الكفاءة اللغوية Competence لديه حتى يفهم الآخر من وأن يكون جملا جديدة لم يسمعها من قبل، ولكنها ممكنة فى إطار السية السعوية الكامة عند أبناء الجماعة اللغوية. ولذا لا يكتفى الباحث ببحث الأداء لغوى عند فرد عيه وإنما عليه أن يتجاوزوه إلى بحث البنية اللغوية الكامة وراء استخدام أحاد الأفراد.

وبعد التمييز بين الأداء اللغوى والكفاية اللغوية فى نظرية اللغة عند شومسكى Chomsky تطويرا لرأى دى سويسر فى اللغة والكلام.

رابعاً : وظيفة اللغة ومستويات الاستخدام

إن بحث اللغة لا يكفى بتعرف على ملامح البنية اللغوية، ولا بد أن يكتسب بالتعرف على الوظيفة فى إطار المجتمع. ومن هنا يجب فى بحث اللغة تعرف مستوى الاستخدام لكل نظام لغوى. لقد استقرت فى السنوات الأخيرة مجموعة من المصطلحات لتعبر عن مستويات الاستخدام اللغوى، ويتضح محتوى هذه المصطلحات فى إطار فرع جديد من أفرع علم اللغة هو علم اللغة الاجتماعى، وأهمية هذه المصطلحات أنها تفيد فى وصف العلاقات اللغوية فى داخل الجماعة اللغوية الواحدة بدرجة عالية من الوضوح.

ومن هذه المصطلحات مجموعة كبيرة تصنف العلاقات اللغوية فى داخل المجتمع الواحد، وتعد مصطلحات التصنيف اللغوى للمستويات مثل : "الهجة، و"انفصحي، و"العامية" أكثر هذه المصطلحات شيوعاً. وفى الدول التى لم تتخذ فيها اللغة الوطنية، حجمها الكامل فى الحياة اللغوية نجد هذه المصطلحات مثار جدل كبير وتستخدمه غالباً مصحوبة بمواقف سياسية وبشحنات من الانفعال تحول فى حالات كثيرة دون التفكير الدقيق.

إن أى نظم لغوى يتكون من أصوات تكون كلمات تؤلف جملاً لأداء معنى، ومن هذا الجانب نجد أية لغة وأية لهجة داخلية فى هذا الإطار. والشئ الأساسى الذى يجعل نظاماً لغوياً ما يصنف باعتباره لهجة أو لغة فصيحة هو موقف أبناء الجماعة اللغوية منه، ومعنى هذا أنه ليس فى بنية اللهجة أو اللغة ما يحتم تصنيفها -بالضرورة- هذا التصنيف، ولكن محالات الاستخدام عند أبناء الجماعة اللغوية هى التى تعرض هذا التصنيف. فاسطام اللغوى، الذى يستخدم فى مجالات الثقافة والعلم والأدب الرفيع هو ما يصنف اجتماعياً بأنه فصيح، والنظام اللغوى الذى يقتصر استخدامه على محالات

الحياة اليومية هو بالضرورة ما يصنف اجتماعيا بأنه لهجة أو بأنه "عامية". وهذه لتائية لا تستوعب كل ملامح الحياة اللغوية فهناك مستويات لغوية كثيرة بين هذه وتلك، ففي حديث المثقفين نجد "العامية" تقدم عناصر كثيرة في الأصوات وساء الكلمة وبناء الجملة، وإلى جانب هذا نجد من "الفصحى" عددا كبيرا من الكلمات، أوصحها تلك الكلمات التي تكونت في المستوى الثقافي واستقرت في محالات الثقافة وسعلم. وعنى هذا فليس من الصحيح أن تتصور الحياة اللغوية مجرد ثنائية لهجات محبة وفصحى، فهناك مستويات لغوية كثيرة.

ومى أكثر المجتمعات الأوربية الراقية يدور حديث المثقفين بلغة هى الفصحى فى أصوتها وصرفها ومعجمها، وإن كانت أبسط منها فى نحوها، ويحول كل مثقف الارتفاع عن اللون المحلى فى لهجته ليتوسل فى حديث باللغة الفصحى. إن مجالات استخدام اللغات الفصحى فى الدول المتقدمة أكثر منها فى دول العالم الثالث، وفى الدول الأوربية الكبرى نجد اللغة المشتركة فى حديث المثقفين وفى وسائل الإعلام وفى الأفلام وفى الكتب الثقافية والعلمية وفى الإدارة وفى المجالس النيابية، ونجدها إلى حد كبير جدا فى التعامل اليومى فى داخل المتاجر والمؤسسات العامة. وفى بعض العواصم الأفريقية يتم التعامل اليومى بلغتين أو أكثر، كأن يكون مثلاً بلغة بهوسا وبلغة الانجليزية فى نيجيريا أو بلغة الولوف وباللغة الفرنسية فى السنغال. وفى بعض المجتمعات تستخدم لغة للتعامل اليومى فى داخل الجماعة ولغة أخرى للتعامل اليومى فى خارج الجماعة، وهذه حالة أكثر الأقليات اللغوية فى العالم، فأبناء واحة سيوة فى مصر يتعاملون مع بعضهم البعض بلغتهم السيوية البربرية ويتعاملون مع الآخرين بالعربية، وكذلك الوييون فى جنوب مصر وشمال السودان، والمهرة فى إحدى محافظات اليمن. وها يتحدث الباحثون عن الازدواج اللغوى، أو التائية اللغوية، ولكن مجرد التسمية لا تكفى فلا بد من تحديد مجالات استخدام كل مستوى من المستويين.

إن المصطلحات المستخدمة فى هذا المجال كثيرة، ويدل مصطلح "لغة اتعجم" على اللغة التى تستخدم وسيلة للتعليم فى المدارس، فعندما يدرس علم تاريخ أو الجغرافيا - مثلاً - فى إحدى المدارس باللغة الانجليزية فهى هنا لغة التعليم.

وقد تكون هذه اللغة لغة وطنية أو لغة أجنبية. وينبغي هنا ملاحظة أن بعض الدول تميز بين لغة التعليم في المدارس ولغة التعليم في الكليات الجامعية، كما هي الحال في عدد من الدول العربية التي تدرس بعض كلياتها بلغة أجنبية. وفي بعض الدول نحد التعليم العالي والتعليم العام مشتركين في لغة التعليم، بينما نحد سحوب العمية تكتب لغة أخرى تكون وسيلة التعامل بالعالم الخارجي، ففي الدول العربية لتي تعلم باللغة العربية في التعليم العالي وفي عدد من الدول الوطنية الصغيرة في أوروبا نحد اللغة الوطنية هي لغة التعليم في كل مراحلها ونحد إلى جانبها لغة أجنبية تكتب بها أكثر البحوث العلمية.

وهناك عدة مصطلحات تستخدم في المجال السياسي على المستويين المحلي والوطني، أهمها مصطلحات "اللغة الوطنية" و"اللغة الرسمية" و"اللغة الدولية".

أما 'اللغة الوطنية' فهي لغة جماعة كبيرة من المواطنين في داخل الدولة الواحدة، ولا يعني بالضرورة أنها لغة الأغلبية، فهناك دول كثيرة ليست بها أغلبية لغوية بالمعنى الحقيقي بكلمة بل تسودها عدة لغات وطنية، ففي باكستان نحد اللغات الأردنية وبنجابية والسندية ولغة الباشتو واللغة البلوشية جنباً إلى جنب، وهذه لغات وطنية في باكستان وليست هناك لغة من هذه اللغات يمكن أن توصف بأنها لغة الأغلبية.

أما 'اللغة الرسمية' فهي اللغة التي ينص عليها في الدستور، وتوحد أنظمة دستورية في أكثر دول العالم. وينص الدستور في كل دولة من هذه الدول - بعد أن يذكر اسم الدولة ونظامها وغير ذلك - على تسمية لغة معينة هي "اللغة الرسمية" في الدولة. ولمقصود "اللغة الرسمية" تلك اللغة التي تستخدم في الإدارة وفي المجالس لبيانية والتي تصدر بها مراسيم الحكومة وتقدم بها الطلبات إلى الوزارات المختلفة وتتعامل بها المؤسسات والوزارات المختلفة.

وفوق هذا كله، فهناك لغات محدودة العدد استقرت في السنوات الأخيرة في إطار التعامل بين الدول. فقضى منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة مثل اليونسكو حشد مجموعة لغات توصف بأنها "لغات العمل". لقد كانت لغات العمل في مظمة الأمم المتحدة عقب إنشائها بعد الحرب العالمية الثانية هي اللغات : الإنجليزية والعربية والروسية والصينية والألمانية، ولم يحدث بعد ذلك إلا تعديل واحد وذلك بإضافة اللغة العربية إلى تلك اللغات الخمس فأصبحت لغات العمل في الأمم المتحدة ست لغات، ومعنى هذا أن أى متحدث فيها يستطيع أن يستخدم إحدى هذه اللغات فيترجم كلامه إلى اللغات الخمس الأخرى، ويستطيع أيضاً أن يتابع المداولات والمناقشات عن طريق الترجمة العربية.

وهكذا تنوع مجالات استخدام اللغات ومستوياتها تنوعاً كبيراً. وعلم للغة وإن كان يهدف إلى بحث البنية اللغوية، فإن الرؤية الوظيفية للغة تجعل بحث مجالات الاستخدام أمراً ضرورياً.

الفصل الثاني

علم اللغة : مجالاته ومناهجه

علم اللغة Linguistics في أبسط تعريفاته هو دراسة اللغة على نحو علمي، ويعنى هذا التعريف أن الدراسات اللغوية موضوعية وليست انطباعية ذاتية. وقد أدت هذه الموضوعية المنشودة إلى استقرار كثير من الحقائق وتكون كثير من المناهج وخلق مناخ علمي يتيح لدى اللغويين، في كل انحاء العالم، المتخصصين في مختلف اللغات درجة عالية في التعاون وتبادل الخبرة.

أولاً : مجالات علم اللغة الحديث

يدرس علم اللغة الحديث بنية اللغة من الجوانب التالية :

١- الأصوات Phonetics, Phonology

٢- بناء الكلمة Morphology

٣- بناء الجملة Syntax

٤- الدلالة Semantics

وهذا التقسيم ينطلق من الوحدات الصغيرة في اللغة إلى الوحدات الأكبر، فاللغة الواحدة تتكون من عدد محدود من الوحدات الصوتية يتراوح عددها في أكثر اللغات بين اثلاثين والأربعين. بهذا العدد المحدود من الوحدات الصوتية يمكن أن تتألف ملايين الكلمات، وذلك عن طريق الأنساق المختلفة لهذه الوحدات الصوتية في المواقع المختلفة، فالكلمات (كتب)، (بكت)، (تكب)، (تلك)، (تسك)، (كبت) ممكنة من ناحية الطرية، تتكون من الوحدات الصوتية نفسها، ولكنها تختلف في ترتيب هذه الوحدات في داخل الكلمة، وبعض هذه الكلمات موجود فعلاً في واقع العربية وبعضها غير موجود في الواقع، مع أنه ممكن من الناحية النظرية. وهكذا نجد العدد

المحدود من الوحدات الصوتية في أية لغة يمكن أن يكون ملايين الكلمات، ونكر كمة من اللغات تختار من هذه الكلمات الممكنة - نظرياً - عدة آلاف فقط.

وهذه الكلمات تنظم وفق مجموعة من الضوابط الصرفية مثل الأبنية والسوابق واللاحق فتكون لكل مجموعة سماتها البنيوية ومحتواها الدلالي. ورن فاعل يعد في العربية أحد الأبنية الصرفية وهو يعبر عن فاعل بالشئ. والسوابق مثل الميم في عربية تؤدي عدة وظائف، منها مثلاً أنها تكون لاسم الفاعل من غير الثلاثي مثل : مُكْرَم واسم المفعول منه مُكْرَم وغير هذا وذلك من الصيغ. واللاحق مثل تاء تأنيث تعطى هذه الأصوات إمكانية تكوين ملايين الكلمات الأخرى.

ولكن بنية اللغة لا تكفي بمحرد وجود هذه الكلمات، فافرق الأساسي بين (ضرب موسى عيسى)، و(ضرب عيسى موسى) لا يرجع إلى اختلاف الكلمات بل إلى اختلاف ترتيب الكلمات في داخل هذا النمط من أنماط الجملة. وصيغة الماضي (قرأ) تتجاوز هذا المعنى إذا ما كانت في الجملة: (إن قرأت هذا الكتاب وجدته سهلاً)، الفعلان هنا ماضيان. ومعنى هذا أن تحديد الصيغة للماضي لا يكفي لتعرف المعنى، ولابد في هذا السياق من دراسة الأنماط المختلفة التي تتخذها الجملة في كل لغة من اللغات. وهكذا تتبع الأنماط المختلفة لبناء الجملة أن نعبّر بالآلاف الكلمات الموجودة فيها عن ملايين المعاني التي تكاد تصل إلى عدد لا محدود.

ب اوحداث الصوتية تكون الكلمات، والكلمات تكون الحمل، والحمل ينبغى لها أن تحمل دلالات. ولذا يتناول البحث الدلالي كل ما يحدد معنى الكلمات والعبارات، وتعد المعاجم نتيجة تطبيقية للبحث الدلالي.

ترتيب هذه المجالات : الأصوات، بناء الكلمة، بناء الجملة، والدلالة، على هذا النحو متفق عليه عند كثير من اللغويين المحدثين والمعاصرين. وهو ترتيب محالف لما كان عند سيبويه وجمهور النحاة العرب، فقد انطلقوا من قضية الجملة والإعراب إلى قضية الأسية اصرفية إلى قضية الأصوات، أي من الوحدات الأكبر إلى اوحداث

لأصغر. وقد ظهرت فى السنوات الأخيرة اتجاهات عند بعض اللغويين الأمريكيين والأوربيين تطلق فى التحليل اللغوى من الوحدات الكبيرة إلى الوحدات الأصغر، ولدى هـى تبدأ - أيضا - بتحليل الجملة وتتهى بالتحليل الصوتى.

ثانياً : مناهج علم اللغة الحديث:

عرف علم اللغة الحديث منذ نشأته فى القرن التاسع عشر إلى اليوم عدة مناهج، هـى على الترتيب.

١- علم اللغة المقارن Comparative Linguistics

٢- علم اللغة الوصفى Descriptive Linguistics

٣- علم اللغة التاريخى Historical Linguistics

٤- علم اللغة التقابلى Contrastive Linguistics

١- علم اللغة المقارن :

يتناول علم اللغة المقارن مجموعة لغات تنمى إلى أسرة لغوية واحدة بالدراسة امقارنة. وعلم اللغة المقارن أقدم مناهج علم اللغة الحديث، وبه بدأ البحث اللغوى عصر ازدهاره فى القرن التاسع عشر. يعتمد البحث المقارن على وجود تصنيف واضح للغات إلى أسر لغوية، ولم تكن القرابة بين اللغات معروفة على نحو علمى دقيق إلى أن اكتشفت اسغة السنسكريتية فى الهند. لقد قورنت السنسكريتية باليونانية واللاتينية، وثبت من هذه امقارنات وجود قرابة لغوية بين هذه اللغات وأنها ترجع إلى أصل قديم باند. وتقدم اسحت شيئا فشيئا فقورنت اللغات الأوربية المختلفة واللغات الإيرانية ولغات الهندية، وثبت بهذه المقارنات أن كثيرا من هذه اللغات تحمل أوجه شبه هـى اسنية واممعجم، وبذلك اتضحت معالم أسرة لغوية كبيرة تضم لغات كثيرة هـى الهند وإيران وأوربا. وأطلق الباحثون على هذه الأسرة اسم اللغات الهندية الأوربية، ويسمىها سحثون الأمدر أسرة اللغات الهندية الجرمانية. وقام الباحثون فى اللغات السامية أيضا بتطبيق امصع المقارن، كما تطور فى مجال اللغات الهندية الأوربية، وبندث

ظهر علم اللغات السامية المقارن الذى يبحث مجموعة اللغات لعربية و لعبرية والآرامية والأكدية والعربية الجنوبية والحثية. وقد ازدهر البحث المقارن فى المحدث السامية فى فترة كانت الكشوف الأثرية قد أظهرت لغات قديمة مكتوبة على نقوش، وهى اللغات الأكادية فى العراق والعربية الجنوبية فى اليمن والفينيقية فى منطقة ساحل الشام. وأضيف إلى اللغات السامية فى القرن العشرين اللغة الأجرية التى اكتشفت فى ساحل الشام بالقرن من مدينة رأس شمرا سنة ١٩٢٦. إن البحث المقارن يتناول أسرة لغوية كاملة أو فرعاً من أفرع هذه الأسرة اللغوية، ولذا يعد علم اللغة المقارن فرعاً مستقلاً من أفرع البحث اللغوى.

يتناول علم اللغة المقارن المحالات المذكورة لعلم اللغة، فيبحث من الناحية الصوتية الأصوات الموجودة فى هذه اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة محاولاً التوصل إلى قواعد مطردة تفسر التغيرات الصوتية التى طرأت على مدى الزمن، فانقسمت اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات كثيرة، انقسمت بدورها إلى لغات أخرى. وقد اتضح فى إطار البحث الصوتى المقارن أن مجموعة من الأصوات مستمرة دون تغير يذكر فى كل لغات الأسرة الواحدة، فكل اللغات السامية - مثلاً - بها صوت الراء دون تغير، وعلى العكس من هذا فهناك أصوات خضعت لتغيرات بعيدة المدى منها مثلاً صوت الضاد الذى اختفى بمرضى الوقت من كل اللغات السامية باستثناء اللغة العربية - وله فيها مشكلة تاريخية. وكل هذه البحوث فى مجال الأصوات، وتعد بمنهج مقارن.

أما من ناحية بناء الكلمة فيتناول علم اللغة المقارن كل ما يتعلق بالأوزان والسنن والواحق ووظائفها المختلفة، وعلى هذا فدراسة الضمائر فى اللغات السامية تعد من دراسات علم الصرف المقارن، لأنها فى مجال بنية الكلمة وتتم بمنهج مقارن. وكذلك البحوث فى أبنية الأفعال فى اللغات السامية، أو اسم الفاعل فى اللغات السامية، أو المصدر فى اللغات السامية، فكل هذه البحوث تدخل فى علم الصرف لمقارن اللغات السامية.

ويعد المحث المقارن فى بناء الجملة محالا ثالثاً من مجالات البحث فى علم اللغة امقارن. إن دراسة الجملة الخيرية فعلية كانت أو اسمية فى اللغات السامية يعد موضوعاً أساسياً من موضوعات البحث. وكل القضايا المتعلقة ببناء الجملة فى اللغات السامية تدخل أيضاً فى هذا الإطار. من هذه الموضوعات : الاستفهام فى لغات السامية، لاستثناء فى اللغات السامية، المطابقة بين الفعل والفاعل فى اللغات السامية، المطابقة بين اعدد والمعدود فى اللغات السامية.

ويتناول علم الدلالة المقارن فى اللغات السامية كل ما يتعلق بتاريخ الكلمات وتأصيلها. فهناك عدد من الكلمات السامية المشتركة نجدها فى كل اللغات السامية تارة بامعنى نفسه وأخرى بمعنى مقارب، وبحث هذه الكلمات مما يدخل فى علم الدلالة المقارن. وهناك كلمات كثيرة فى اللغات السامية تكونت من مواد مشتركة. وبحث هذه الكلمات الجديدة، والتغير الدلالى الذى طرأ عليها مما يدخل كذلك فى علم الدلالة المقارن. وأهم جانب تطبقى لعلم الدلالة المقارن هو تأصيل المواد اللغوية فى المعاجم، وتأصيل المواد المعجمية العربية يكون بردها إلى أصولها السامية إن وجدت، ويعد من الإضافات المهمة التى نجدها - مثلاً - فى المعجم الكبير الذى يصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهذه التأصيلات تقوم على علم الدلالة المقارن للغات السامية.

٢- علم اللغة الوصفى :

يتناول علم اللغة الوصفى بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة فى زمن بعينه ومكان بعينه. ومعنى هذا أن علم اللغة الوصفى يبحث المستوى اللغوى الواحد. لقد حل علماء اللغة فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين يبحثون اللغات بالمهج المقارن، وكان البحث المقارن هو الشكل الوحيد المتصور للبحث اللغوى. ولكن اساحت السويسرى دى موسير أثبت بدراسته فى نظرية اللغة إمكان بحث اللغة لوحدة باتعرف على بنيتها الصوتية والصرفية والنحوية والدالية. وهذا البحث يرتبط

عده بمستوى لغوى بعينه فى زمن واحد، ومعنى هذا أن البحث الوصفى لا يجوز به أن يخطط المراحل الزمنية أو أن يخلط المستويات المختلفة. لقد بدأ الباحثون بعد دى سوسير فى تطوير مناهج البحث فى البنية اللغوية، وزاد اهتمام الباحثين بالمصباح الوصفى فى السبعين عاماً الماضية، وتكونت فى هذا الإطار عدة مدارس تختلف فى تقنيات الوصف اللغوى، ولكنها تنطلق من الأسس التى تكونت عند دى سوسير، وعند من جاءوا بعده. لقد أصبح علم اللغة الوصفى سائداً عند أكثر المشتغين ببحث اللغة فى العالم، حتى إن البعض يتحدث عن علم اللغة الحديث ويعنى علم اللغة الوصفى، وكأنه هو المنهج الحديث الوحيد فى علم اللغة.

إن كل البحوث التى تناول مستوى واحداً من مستويات اللغة بالدراسة الشاملة أو الجزئية لأحد جوانبه تعد من موضوعات علم اللغة الوصفى. فدراسة البنية الصوتية للعربية المعاصرة، ودراسة المقاطع فى لهجة عمان، تعد من الدراسات الصوتية الوصفية. أما علم الصرف الوصفى فيبحث موضوعات مثل: أبنية الأفعال فى لهجة القاهرة، أبنية الأسماء فى العربية الفصحى المعاصرة، المشتقات فى القرآن الكريم، المصدر فى الشعر الجاهلى. وهذه أمثلة لدراسات تناول بناء الكلمة فى مستوى لغوى بعينه من مستويات اللغة. وتدخل قضايا تحليل بناء الجملة أيضاً فى علم اللغة الوصفى، ومن أمثلة بناء الجملة بالمنهج الوصفى: الجملة العربية فى الشعر الجاهلى، الجملة الخبرية فى القرآن الكريم، الجملة الطلبية فى الأصمعيات، الجملة الشرطية عند الهذليين، جملة الاستفهام فى الشر العربى الحديث. وفى الجانب المعجمى - أيضاً - مجالات كبيرة لتطبيق المنهج الوصفى. وهناك معاجم أعدت لمستوى لغوى بعينه مثل: معجم ألفاظ القرآن الكريم. وأعدت فى إطار خطة الرسائل الجامعية فى كلية الآداب جامعة القاهرة عدة معاجم يختص كل منها بشاعر بعينه أو بكتاب بعينه من كتاب العربية، وهى جهود تهدف إلى تسجيل الواقع المعجمى فى هذه النصوص. وهكذا فإن مجالات البحث الوصفى كثيرة، وأية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية لأحد مستويات العربية قديماً أو حديثاً تعد دراسة وصفية.

٣- علم اللغة التاريخي :

يبحث علم اللغة التاريخي تطور اللغة الواحدة عبر القرون، أو بمعنى أدق التعبير في اللغة الواحدة على مدى الزمن. وهناك باحثون يرفضون كلمة التطور في هذا الإطار باعتبارها تحمل دلالة الارتقاء، أي التغير إلى أفضل، وهذا حكم تقويمي، وهو غير ممكن في مجال التغير اللغوي، فليست هناك صيغة أفضل من صيغة، وليس هناك صوت أفضل من صوت. ولذا يفضل أكثر الباحثين المعاصرين وصف ما يحدث بأنه تغير. وثمة فرق بين أن يقال بأن اللهجات نتيجة تغير لغوي أو أنها نتيجة تطور لغوي.

قد كانت البحوث اللغوية المقارنة ذات سمة تاريخية، ولكننا كانت تحاول أن ترتب المستويات اللغوية واللغات المختلفة المنتمية إلى أسرة واحدة ترتيباً يهتم في المقام الأول بالصيغ والمستويات المفرقة في القدم، والتي يمكن أن يتعرف منها الباحث الصيغة الأصلية أو الشكل الأقدم الذي خرجت عنه باقي الصيغ، ولهذا فقد وصف هذا العمل بأنه تاريخي مقارن. وقد ظل بعض الباحثين يتصور أن علم اللغة التاريخي يمكن أن يكتفى بالمراحل المبكرة في تاريخ كل لغة من اللغات، أي أقدم المراحل المتاحة وأقربها من اللغة الأقدم. ولكن الوضوح المنهجي في علم اللغة يتيح وجود دراسات وصفية للمستويات اللغوية المختلفة عبر القرون، ويتيح أيضاً أن تتكامل هذه الدراسات الوصفية الكثيرة لتمهد الطريق أمام البحث التاريخي اللغوي بامعنى الدقيق للكلمة، أي البحث في تاريخ اللغة من أقدم نصوصها المدونة إلى وقتنا هذا.

وهناك قضايا كثيرة في محالات الأصوات وبناء الكلمة والجملة والدلالة تدخل في إطار علم اللغة التاريخي. فدراسة التغير الصوتي في العربية تعد دراسة صوتية تاريخية، ودراسة صيغ الجموع في العربية بتتبع توزيعها ونسبة شيوعها في المستويات اللغوية المختلفة عبر القرون موضوع من موضوعات علم الصرف التاريخي، ودراسة حمزة الاستفهام في العربية عبر القرون تعد دراسة نحوية تاريخية، وكذلك الجملة الشرطية في، العربية وجملة الاستثناء في العربية. وتعد دراسة التغير الدلالي وما يرتبط

بها من إعداد المعاجم التاريخية من أهم مجالات علم اللغة التاريخي. والمعجم التاريخي هو ذلك المعجم الذي يعطى تاريخ كل كلمة من كلمات اللغة الواحدة ويؤرخ لها ابتداء من أقدم نص وردت به إلى آخر نص، يتبع دلالتها وتغيرها. ويعد معجم اكسفورد التاريخي للغة الانجليزية من أهم المعاجم التاريخية للغة من اللغات. وتهدف الدراسات المعجمية الوصفية التي تعد للعربية إلى أن تكون سبيلاً في تكوين معجم تاريخي للغة العربية.

هناك مجالات كثيرة للبحث اللغوي التاريخي، فالتاريخ اللغوي بأبعاده اكتملة من شأنه أن يعطى صورة واضحة لتاريخ الحياة اللغوية. ولا يقتصر هذا البحث على تغير البنية اللغوية من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، بل يتناول بالضرورة مستويات الاستخدام اللغوي في البيئات المختلفة وتغير ذلك عبر الزمن، كما يتناول الانتشار اللغوي ودخول اللغة إلى مناطق جديدة ويبحث أيضاً الانحسار اللغوي عن مناطق محددة. فالعربية مثلاً كان لها على مدى عدة قرون وجود في الأندلس وفي إيران، وكانت لغة ثقافة في شبه القارة الهندية، ودراسة موجات التعريب من جانب ثم انحسار مجالات استخدام العربية في بعض هذه المناطق يعد من الدراسات اللغوية التاريخية. وعلى ذلك فالتاريخ اللغوي يتناول دراسة التغير في البنية اللغوية وبحث التغير في مستويات الاستخدام.

٤- علم اللغة التقابلي :

علم اللغة التقابلي أحدث فروع علم اللغة، نشأ بعد الحرب العالمية الثانية. يقوم علم اللغة التقابلي على فكرة بسيطة لا شك أن الكثيرين ممن تعلموا لغات أجنبية أو عموماً قد أدركوها. فالصعوبات التي تواجه متعلم لغة جديدة ترتبط في المقام الأول بالاختلافات بين هذه اللغة الأجنبية واللغة الأم. ويطلق مصطلح "اللغة الأم" أو "اللغة الأولى" على اللغة التي نشأ عليها الفرد أي اللغة التي اكتسبها في طفولته، في بيئته وفي علاقاته الأسرية والاجتماعية المحلية. وعلى عكس هذا فإن مصطلح اللغة الثانية يعبر

عن اللغة التي يكتسبها الإنسان بعد ذلك، ويدخل في هذا بالضرورة كل اللغات الأحسية التي يكتسبها الإنسان في المراحل التعليمية المختلفة، أو في أثناء التعامل المباشر مع أبناء تلك اللغات، ولذلك يطلق على اللغات الأجنبية في أكثر البحوث الخاصة بتعليم اللغات - مصطلح اللغة الثانية. وفي المجال التعليمي يطلق مصطلح اللغة المنشودة على اللغة التي يراد تعلمها، وذلك على عكس اللغة المصدر وهي اللغة الأم أو اللغة الأولى.

وبقدر الاختلاف بين اللغة الأولى واللغة المنشودة تكمن الصعوبات، فالأصوات التي توجد في اللغة المنشودة ولا توجد في اللغة الأولى تشكل بالضرورة صعوبات ينبغي العمل على تذليلها. وموضوع علم اللغة التقابلي هو المقابلة بين نظامين لغويين مختلفين، هما بالتحديد النظام اللغوي للغة الأولى والنظام اللغوي للغة المنشودة. وقد تجنبنا هنا استخدام كلمة المقارنة لئلا يختلط علم اللغة التقابلي وعلم اللغة المقارن، فعلم اللغة المقارن يقارن اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة ويهتم في المقام الأول بالاستخدام الأقدم للوصول إلى اللغة التي خرجت عنها كل هذه اللغات، ولذا فعلم اللغة المقارن ذو هدف تاريخي يحاول كشف جوانب من الماضي البعيد. أما علم اللغة التقابلي فلا شأن له بهذه الاهتمامات التاريخية، ودراساته ذات هدف تطبيقي في تعليم اللغات. ولذلك فالدراسة التقابلية ممكنة بين لغتين من أسرة واحدة أو من أسرتين مختلفتين، ليس بهدف تعرف الأصل القديم ولكن بهدف تعرف الفروق الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية بين النظامين اللغويين، فيمكن مثلاً أن تتم الدراسة التقابلية بين العربية والتعريبية - لغة إيريريا - وكلتاها من اللغات السامية، ومن الممكن أيضاً عمل دراسة تقابلية بين العربية والأردية، وهما من أسرتين لغويتين مختلفتين.

ولا يقتصر البحث اللغوي التقابلي على دراسة الفروق بين لغتين اثنتين فيمكن أيضاً أن يكون بين لهجة محلية واللغة الفصيحة المنشودة، فالصعوبات الموضوعية التي تواجه أبناء تلك اللهجة في محاولاتهم تعلم اللغة الفصيحة تنجم في المقام الأول عن المروق بين هذه اللهجة وتلك اللغة. فالصعوبات التي يواجهها أبناء مصر في تعلم

لأصوات بين الأسنانية وهى الثاء والذال والظاء فى الفصحى والصعوبات التى يواجهها أساء العراق والحزيرة العربية فى التمييز بين الضاد والظاء والصعوبات التى يواجهها عدد من الفلسطينيين فى التمييز بين القاف والكاف إنما ترجع إلى الصروق بين سهجة المحكية واسعة المنشودة. ولا يقتصر البحث اللغوى التقابلى على مجال الأصوات، بل يتناول أيضاً بناء الكلمة وباء الجملة والدلالة. الأبنية الصرفية قد تختلف بين اللغة لأم واللغة المنشودة، والتراكيب قد تختلف بينهما والكلمات قد تختلف دلالتها بين المستويين ويمكن تعرف ذلك كله بالدراسة التقابلية، فيكون تدليل هذه صعوبات بمراعاتها فى برامج تعليم اللغات. فإذا كانت اللغة الأولى تفتقد بعض الأصوات التى توجد فى اللغة الثانية وجبت العناية بالتدريب النطقى على هذه الأصوات. وإذا كانت بعض الكلمات تستخدم فى اللهجة المحلية بدلالات تخالف اللغة المنشودة كان من الضرورة الاهتمام بالتدريبات التى توضح المعنى العصيح المنشود. وهكذا يمكن أن تقدم الدراسات التقابلية أساساً لغوياً موضوعياً لتدليل الصعوبات فى تعليم اللغات.

ثالثاً : علم اللغة العام :

يرجع مصطلح علم اللغة العام إلى المحاضرات التى ألقاها اللغوى السويسرى دى سوسير. لقد حاول دى سوسير أن يتناول طبيعة اللغة ووظيفتها. تناول علم اللغة الوصفى، ثم علم اللغة التاريخى ثم علم اللغة الجغرافى، ثم بعض القضايا التى تربط اللغة بالعلوم الإنسانية. وتتابعت مؤلفات كثيرة بعد ذلك تناولت نظرية اللغة ومناهج التحليل اللغوى. وفى مقدمة هذه الكتب ما كتبه بلومفيلد Bloomfield وجليسون Gleason، وهوكيت Hockett، ومارتينية Martinet، وياكوبسون Jakobson، وشوموسسكى Chomsky، وروينز Robins، وليونز Lyons. وهذه الكتب تصدر عن فكرة أساسية هى أن اللغة ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها كل البشر، وتتألف اللغة من أصوات تصدر من أعضاء النطق وهى مشتركة أيضاً بين كل البشر.

ثم تألف هذه الأصوات فى أنساق مختلفة لتكون الكلمات، ثم تألف الكلمات فى عدة أنساق لتكون الجمل. وهدف علم اللغة العام أن يطور نظرية عامة لنوع والوسائل الدقيقة لتحليل الأصوات والكلمات والجمل والدلالة. ويهتم علم اللغة العام أيضاً ببيان العلاقة بين علم اللغة والعلوم الإنسانية الأخرى.

رابعاً : اللغة بين العلوم الإنسانية

تشترك العلوم الإنسانية فى اهتمامها باللغة بوصفها أهم مظاهر السلوك الإنسانى ووسيلة الاتصال المكونة للجماعة الإنسانية. وهناك أفكار كثيرة عن اللغة نجدها عند المفكرين اليونان والعرب واليهود، وكذلك عند علماء الاجتماع من ابن خلدون ودور كايم إلى المدارس الاجتماعية المعاصرة، وكذلك عند علماء النفس. ولكن التوجه إلى التخصص الدقيق - فى عصر حدث فيه انفجار معرفى - جعل الاستيعاب الشامل مستحيلاً، فكان من الضرورى أن تنشأ تخصصات جديدة تهتم ببحث اللغة فى مقدمتها علم اللغة الاجتماعى وعلم اللغة النفسى.

يهتم علم اللغة الاجتماعى بقضايا العلاقة بين اللغة والمجتمع، وما أكثر القضايا التى تدخل فى هذا الإطار : ازدواج اللغوى، مستويات الاستخدام، تعدد اللغات فى المجتمع الواحد وغير ذلك. وهناك مجال كبير للبحوث اللغوية الاجتماعية فى دور العالم الثالث حيث تعدد اللغات فى داخل الدولة الواحدة، مما يفرض على الباحثين الاهتمام بالمشكلات اللغوية الاجتماعية فى محاولة لفهمها وإيجاد الحلول المناسبة لها فى إطار الجهود الهادفة إلى إقامة الدولة الحديثة.

أما علم اللغة النفسى فيتناول بصفة عامة القضايا التى تتناول العلاقة بين اللغة وإقدرات عند الانسان. ويدخل فى هذا : التمكن اللغوى، واكتساب اللغة، واللغة والمعرفة، واللغة والفكر، وغير ذلك. وكل العمليات العقلية عند المتحدث قبل صدور اللغة وعند المتلقى عقب صدور اللغة يدخل بحثها فى إطار علم اللغة النفسى.

وفوق هذا كله فإن تكامل المعرفة الإنسانية ضرورة للنمو العمى. وعلم اللغة مرتبط بعلمى التشريح والفسىولوجيا من حيث تعرف أعضاء الطق وأعضاء سمع وقيامها بوظائفها. وعلم اللغة يفيد أيضاً من علم فيزياء الصوت ووسائل التحليل الصوتى المختلفة وفى مقدمتها الأجهزة الدقيقة التى طورها علماء فيزياء الصوت. وعلم اللغة يفيد أيضاً من الحاسبات الالكترونية فى الحصول على المعلومات الإحصائية اللغوية وفى مقدمتها إحصاءات المفردات. ويشترك علم اللغة مع بعض العلوم الطبية فيما يتعلق بعلم أمراض الكلام. وهكذا أدى تنوع المعرفة الإنسانية والفجار سمعرفة إلى زيادة حجم المعلومات المتاحة من جانب وإلى ضرورة التعاون بين التعاون بين اللغويين وغيرهم من الجانب الآخر، فنشأت تخصصات جديدة.

الفصل الثالث

الأصوات

أولاً : الأصوات والكتابة :

هناك حبط غير يسير يقع فيه كثيرون لا يميزون الأصوات والكتابة، أو بمعنى آخر بين اللمعة فى صورتها المسموعة وبين اللغة وقد كتبت بحروف. ويعتقد كثيرون أن الكتابة بصفة عامة صورة صادقة للغة المنطوقة، وفى هذا نظر. المتفق عليه أن اللغة ظاهرة صوتية، ومعنى هذا أن الأصل فى اللغة أنها نظام من الرموز الصوتية المنطوقة اتى يتعامل بها الإنسان. وقد تعامل الإنسان باللغة آلاف للسنين قبل أن يكتبها. وبعد مرحلة طويلة بدأت المحاولة الأولى لتدوين هذه اللغة المنطوقة المسموعة لتصبح شيئاً مقروءاً. وهناك لغات كثيرة لا يكتبها أبناؤها إلى يومنا هذا، فاللغة المهرية لا يكتبها أبناؤها وكذلك النوبية ومئات اللغات الأفريقية فضلاً عن لغات السكان الأصليين فى أمريكا وإسترايا. فاللغة تقوم أساساً على الصوت، وأما الكتابة فهي ظاهرة حضارية بها أهميتها. ولكن ينبغي ألا تختلط بظاهرة أخرى وهى اللغة.

الكتابة فى أفضل صورها محاولة للتعبير عن اللغة المنطوقة، ولكن الكتابة العربية بتقاليدها المعروفة والكتابة المستخدمة فى تدوين اللغات الأوروبية على النحو المعروف لنا، وكذلك كل الكتابات المتداولة فى العالم قديماً وحديثاً هى مجرد محاولات تقريبية لتسجيل الواقع الصوتى لهذه اللغات. فانقارى المعادى لا يقرأ الكلمات المكتوبة حرفاً حرفاً، ولكنه ينظر إلى الرموز المكتوب فيتذكر الكلمة فينطلق لسانه بها، ولو كان القارئ العربى مثلاً يقرأ الكلمة المدونة حرفاً حرفاً لما استطاع أحد قراءة كلمة عربية عبر مصوطة بالحركات. بل لما استطاع الأقدمون قراءة كلمة مدونة بحروف دون نقط، وفى كل هذه الحالات يكفى الرمز المكتوب لأن يذكر القارئ

الصورة الصوتية للكلمة المدونة، ويبلغ الاختلاف بين اللغة المصقوفة ومحاولة تدوينها بالكتابة في بعض اللغات الأوروبية المعاصرة مدى بعيداً، ففي الكلمات الانجليزية التالية نجد ثلاثة أصوات مختلفة والحرف واحد، والكلمات هي . Sir, in, I فالأصوات مختلفة والحرف واحد. وعلى العكس من هذا نجد لصوت الواحد يدون بأكثر من رمز، ففي تدوين اللغة الانجليزية نجد في الكلمتين for, Photo صوتاً معيناً تبدأ به كلتا الكلمتين، ومع هذا فتدوين هذا الصوت يختلف في كلتا الكلمتين، ويرجع هذا الاختلاف إلى تاريخ كلتا الكلمتين، فكلمة for في الانجليزية كلمة أصلية موروثة، ولكن كلمة Photo دخلت الانجليزية من اللغة اليونانية، فالكتابة في حالات كثيرة لا تمثل النطق تمثيلاً مباشراً، ولكنها تعكس جوانب من تاريخ الكلمة. والمقصود هنا بالتمثيل المباشر أن يكون لكل صوت من أصوات اللغة رمز واحد يكتب به، وألا يعبر هذا الرمز الواحد إلا عن ذلك الصوت المنطوق. ولكن كل الكتابات المستخدمة في تدوين اللغات الحديثة تختلف من هذا الجانب اختلافاً بعيداً في بعض الأحوال ومحدوداً في أحوال أخرى. ويخفف من هذا حقيقة كون القارئ لا يقرأ الحروف المكتوبة حرفاً حرفاً، إلا إن كان طفلاً يتعلم القراءة.

إذا نظرنا في الخط العربي كما نكتبه اليوم محاولين معرفة مدى اختلاف الواقع المنطوق وجدنا عدداً كبيراً من الأمثلة. فالخط العربي يقوم أساساً على كتابة الكلمة مفردة، ومعنى هذا أننا عندما نكتب كلمة "ابن" نكتب الألف كما لو كانت هذه الكلمة مستقلة قائمة برأسها في النطق، ويصدق هذا إن كانت هذه الكلمة في أول الكلام، أما إذا سقت بحركة فلا مبرر لهذه الألف من الناحية الصوتية. وليعد القارئ بسمعه إلى نطقاً لهذه الكلمة مسبوقه بحرف الفاء "قابن". وهنا نلاحظ أننا صفاً بانفاء ثم فتحة ثم بالياء .. الخ. ومعنى هذا أن ما بين الفاء وباء الكلمة ليس ألماً بحاة من الأحوال، إن هي إلا فتحة فقط. وهنا نذكر إدراك النحاة العرب في القرون الأولى

يهجرى هذه الصهرة، فقد أطلقوا على الألف التي لا تظهر في سياق الكلام مصصح 'ألف الوصل' تمسرا لها عن همزة القطع، وهي الهمزة المنطوقة الثابتة التي لا تختفى وتصل دائما في الكلمة العربية طالما كان الإنسان ينطق بالعربية الفصحى. وهناك فرق بين نطقنا لـ (قل أحمد)، وعبارة (قال أخرج) ففي العبارة الأولى نلاحظ أننا نطق بكلمة (قال) التي تنتهي بحركة قصيرة هي الفتحة، ثم جئنا بعد ذلك بكلمة (أحمد) ونطق بالهمزة باعتبارها أول أصوات الكلمة. وعلى العكس من هذا قولنا (قال أخرج) فاصق انفصيح لهذه العبارة يجعلنا ننطق بعد اللام والفتحة التالية لها صوت نداء مباشرة، أي دون أن نطق بالألف، وهذا معناه أن هذه الألف بدورها ألف وصل، أي لا تنطق في السياق. ورب معترض يقول هنا بأن الخط العربي التقليدي يفرق بين همزة لقطع وألف ووصل، يجعل علامة الهمزة تستقر فوق الألف للدلالة على همزة القطع ويجعل علامة الوصل، فوق الألف للدلالة على الوصل. وهذا صحيح ويصدق على واقع الخط العربي منذ قرون، فهذه العلامات الإضافية زيدت في مرحلة تالية في تاريخ الخط العربي في محاولة لإبراز فروق الطق. ومع هذا فوجود الألف في كلمة (ابن) يرجع إلى أن هذه الكلمة اتخذت شكلها المكتوب كما لو كانت مستقلة.

ولنلق نظرة تالية إلى ما يسمى بأداة التعريف العربية "أل" لنلاحظ أن اللام تظهر في إنطق أحيانا، وتختفى مدغمة في أحيان أخرى. فنحن نقول : الجامعة، لأعلام، الكذب، فننطق لام لتعريف واضحة. ونقول : الشمس، فلا نطق إلا بشين مشددة. وفي كت الحاتين تكب اللام ولكن نطق هذه اللام أو إدغامها يحضض لضوابط، فقد بحث لغويون عرب هذه الظاهرة وعرفوا لها اسم الإدغام، تعبيرا عن كون الصوت النتائج مشدد. وهو ما الشين المشددة، كما نقول: الرجل والسيارة بإدغام يظهر في تشديد راء وتشديد نسين. ولكي لا نمضي طويلا متوسلين بمصطلحات الخط وبس مصطلحات لأصوت، نشير إلى أن مصطلح التشديد أو التضعيف يعبر من ناحية الكتابة عن علامة التي توضع فوق الحرف لتفيد تكراره، أما من ناحية الطق --

وهو الأساس - فيعنى مصطلح التشديد أو التضعيف أن الصوت المعنى يستغرق نحو ضعف الزمن الذى يستغرقه الصوت دون تشديد، وكأن الصوت المشدد يعبر عن صوتين متاليين.

ولكى نوضح ما بين الخط العربى والنطق العربى من جوانب اختلاف واتفاق نذكر شيئاً آخر. فحين نكتب بعد واو الجماعة فى الفعل الماضى ألفاً، مثل خرجوا، ذهبوا. وليس لهذه الألف أى مبرر صوتى، وقد دونت لعوامل لا تتعلق بالنطق. وعلى العكس من هذا نجد فى أمثلة كثيرة اختلافاً بين البطق والكتابة على نحو مغاير. ويكفى أن ننظر فى صفحة واحدة من الصحف، فيها عشرات الكلمات المكتوبة دون تدوين حروف دالة على الفتحة الطويلة أى دون تدوين مد الألف. ولرسم المصحف أهمية كبرى فى دراسة تاريخ الخط العربى، هو أكبر وثيقة تتضح منها خصائص الخط العربى فى صدر الإسلام. وفيه نجد الكلمات (الرحمن، طه، إسماعيل، اسحق، هرون، سيمن) مكتوبة دون حروف مد. وتعكس طريقة كتابة هذه الأسماء النهج العربى القديم فى تدوين الصوامت فقط وعدم تدوين الحركات الطويلة والقصيرة.

لكن كتابة هذه الأسماء على هذا النحو لا تعكس كيفية نطقها، فهذه الأسماء لم تكن تنطق آنذاك إلا كما وصلت إلينا فى القراءات القرآنية، أى أن هذه الأسماء كانت تنطق كما نطقها اليوم. ونحن نكتب بعض هذه الأسماء اليوم فى العربية الفصحى الحديثة كتابة أقرب إلى النطق من الخط الذى عرفه العرب وقت كتابة المصحف العثمانى، مثل اسم العلم اسحق يكتب اليوم اسحاق، غير أن عدداً منها لا يزال يحتفظ برسمه القديم.

وإذا كانت ثمة أقاصيص بأن زيدا ضرب عمراً لأن عمراً سرق واو داود، فالعلم الحديث لا يتعامل بمثل هذه الحكايات. اسم العلم داود كتب فى العربية نواو واحدة، لأنه كتب فى كل اللغات السامية التى عرفتها منطقة الشام نواو واحدة، وعندما تعلم العرب الخط من الآراميين أخذوا كتابة بعض الكلمات عنهم أيضاً وكتبوا الكلمة بتلك

الحروف، ولم يطبقوها مع النطق العربى. كان الكنعانيون والآراميون قد كتبوا هذا الاسم بواو واحدة وفعل العرب الشئ نفسه، فكتابة هذه الاسم على هذا النحو إرب تاريخى. أما عمرو فلم يكتب اسمه بواو لعلاقته الحسنة أو السيئة مع أحد، بل للتمييز بينه وبين عمر، ولذا يكتب اسم عمرو هكذا بالواو فى حالتى الرفع والجر أما فى حالة النصب فيكتب "عمرًا"، لأن وجود الألف معناه أنه معرب منون على عكس عُمَر. فهو ممنوع من الصرف، ولذا تكون صيغته فى حالة النصب: عُمَر. وهكذا نلاحظ للكتابة ضوابطها فى التمييز بين الكلمات، وهى ضوابط لا تطابق الواقع الصوتى فى حالات كثيرة، ولذا لا نعتد فى الدراسة الصوتية على الكلمة برسمها المكتوب، بل بنحوها فى ضوء مكوناتها الصوتية الحقيقية.

ثانياً : أعضاء النطق وعملية الكلام :

يعتمد تصنيف الأصوات اللغوية من الناحية الفسيولوجية أو النطقية على المعرفة الدقيقة بأعضاء النطق وعلى الفهم العلمى لعملية الكلام. ولذا يفيد البحث الصوتى من عم التشرىح فى التعريف بأعضاء النطق ومن علم الفسيولوجيا فى معرفة وظائف هذه الأعضاء وكيفية قيامها بهذه الوظائف. لقد اصططح الباحثون فى علم اللغة على تسمية الأعضاء التى تشترك فى عملية النطق باسم أعضاء الطبق أو أعضاء الكلام أو الجهاز الصوتى، وهذه الأعضاء تقوم بأداء هذه الوظيفة عند الإنسان فقط، ولها وظائفها الأساسية الأولى التى نجدها عند الإنسان وعند الكائنات الحيوانية الأخرى. إن لوظيفية الفسيولوجية للسان هى التدوق، كما أن هواء الزفير المكون للأصوات اللغوية يخرج من الرئتين فى إطار عملية التنفس. وهى عملية فسيولوجية أساسية، أصيقت إليها عد الإنسان وظيفة ثانوية هى تكوين الأصوات اللغوية.

يتكون اصوت اللغوى على نحو يشبه حدوث الأصوات فى آلات النفخ مثل الناي والمزمار. ووجه الشبه بين حدوث الصوت اللغوى من جانب وصوت آلات النفخ من الجانب الآخر أن كليهما يصدر بأن يتحرك عمود من الهواء فى اتجاه محدد

حلال ممر مغلق فتحدث له فى طريقه درجات مختلفة من الإيقاف أو لاعتراض فى مواضع مختلفة فيتنوع الصوت نبعاً لذلك. ولذا يتكون الصوت للغوى فى صل ثلاثة شروط

١- وجود عمود هواء متحرك.

٢- وجود ممر مغلق.

٣- إيقاف أو اعتراض مؤقت لحركة عمود الهواء.

وفى طلق الأصوات اللغوية، فإن عمود الهواء هو ذلك الهواء الذى تصدره ارتداد فى عملية الزفير. وكل الأصوات العربية وأصوات اللغة المعروفة تنطق عن طريق هواء الزفير. يمضى عمود الهواء خلال فراغ أو ممر مغلق، يتكون هذا الممر من الحلق ثم انحناء لحنقى ثم المم أو الأنف. وتنوع الأصوات اللغوية لأن عمود الهواء لا يخرج دون أن يعترض سيره فى نقاط محددة مختلفة فى حين يتغير شكل الممر المغلق وفقاً لنظام محدد، وبذلك يصدر كل صوت لغوى وفق أوضاع معينة تتخذها أعضاء النطق.

وهناك عدد من أعضاء الطق تستطيع بحكم تكوينها أن تتحرك، فالسان من أعضاء النطق المتحركة لأنه يتحرك إلى أعلى وإلى أسفل ويتحرك كذلك إلى الأمام أو إلى الخلف، وحركيته جزء أساسى فى تكوين الأصوات اللغوية. وعلى العكس من هذا فهناك أعضاء نطق ثابتة منها الأسنان العليا. ويوصف الصوت للغوى وفق عدة معايير تقوم أساساً على بيان عضو النطق المتحرك الذى يشترك فى تكوين الصوت وكذلك فى تحديد النقطة التى يتحرك فى اتجاهها عضو النقط المتحرك.

تشكل الأصوات عند المتحدث فى منطقة معينة توجد فيها أعضاء النطق. وترتبط عملية الطق بعمليات فسيولوجية أخرى. الصوت يتكون من هواء الزفير، ولابد أن يوجد تيار الهواء خارجاً من الرئتين عبر القصبة الهوائية لكى يتم الطق. وعدم يمضى تيار الهواء يعبر الوترين الصوتيين. ويتج عن وجود هذا التوتر أو عدم وجوده

تميز بين الأصوات اللغوية. وتختلف الأصوات باختلاف الموقع الذى يتخذه السار فى الفم. وتختلف أيضاً باختلاف وضع الشفتين، ففى نطق بعض الأصوات تكون الشفتان فى وضع استدارة مثل نطق الصمة، وفى نطق أصوات أخرى تكون الشفتان مبسطتين مثل نطق الكسرة.

وعمية النطق عملية مركبة بمعنى أن الصوت لا يتكون إلا بعدة عمليات متكاملة، فلا تكفى استدارة الشفتين لنطق الصوت، ومجرد وضع اللسان فى أى موضع من الفم لا يكفى لنطق أى صوت. ولذا فهناك مقومات أساسية لنطق الأصوات للغوية، وإذا كانت عملية التزفير تمد عملية النطق بتيار الهواء فإن الأعضاء النطقية من حنجرة إلى الشفتين والأف تكون هذا التمر الضيق، أما الأعضاء النطقية المتحركة وأهمها اللسان ثم الهبة ثم الوتران الصوتيان فتقوم باعتراض تيار الهواء الخارج بكيفيات مختلفة فتميز الأصوات اللغوية، فلكل صوت خصائصه النطقية التى تفهم بدراسة الجهاز الصوتى وفسيولوجية الكلام.

وعندما يصدر الصوت اللغوى يحضى فى الهواء فيحدث ذبذبات وتكون به عدة خصائص فيزيائية. وهنا مجال لدراسة ذلك الصوت اللغوى بأجهزة القياس الصوتى التى يتعامل بها المختصون فى فيزياء الصوت. وما أن يصل الصوت اللغوى إلى أذن المستلقى حتى تتفاه الأذنان. وهنا أيضاً مجال لدراسة الصوت من حيث وقعه على أعضاء السمع. فكل صوت خصائصه النطقية وخصائصه الفيزيائية وخصائصه السمعية. ولذا يميز الباحثون ثلاثة مداخل لدراسة الصوت اللغوى :

(أ) علم الأصوات النطقى.

(ب) علم الأصوات الفيزيائى.

(ج) علم الأصوات السمعى.

وفيد البحث الصوتى من نتائج علوم التشريح والفسيولوجيا فى علم الأصوات النطقى وعلم الأصوات السمعى، كما يفيد من علم فيزياء الصوت فى علم الأصوات الفيزيائى.

ثالثاً : التحليل الفونولوجي

يتناول التحليل الفونولوجي أصوات اللغة باعتبارها عناصر رمزية تتكون منها اللغة. فلا يهتم علم الفونولوجي بالخصائص النطقية والفيزيائية والسمعية للأصوات باعتبارها هدفاً في ذاتها، بل يهتم بها اعتبارها مجرد وسيلة لتحديد الصوت المعنى في إطار اللغة الواحدة. يتضح الفرق بين البحث الصوتي والبحث الفونولوجي من الفرق بين ما تسجله أجهزة القياس وما يؤثر في المعنى. فالكاف في العربية لا تنطق انطق نفسه في كل سياق صوتي، فالكاف التي بعدها كسرة في كلمة "كتاب" يختلف مخرجها عن الكاف المضمومة في كلمة "كل". ولكن هذا الاختلاف ليس بذي دلالة في تغير المعنى، وكذلك اللام العربية فإنها تنطق تارة بالترقيق في 'بائه' وأخرى بالثفخيم في "والله".

إن البحث الصوتي بوسائله المعملية التجريبية يكشف في اللغة العربية عن عدد كبير جداً من الأصوات، فالكاف التي بعدها كسرة صوت يختلف عن الكاف التي بعدها ضمة، واللام المرفقة صوت يختلف عن اللام المفخمة وهناك باء مفخمة وباء مرفقة، وهناك واو مفخمة وواو مرفقة. وإذا كان ثمة خلاف بين المتحدث الواحد على نحو ما ذكرنا فإن الاختلاف يزيد بتعدد الأشخاص فلا ينطق كل إنسان مثل الآخر، فكل فرد له خصوصيته في النطق. ولذا يصعب الاعتماد على الأجهزة لتحديد الأصوات المكونة للغة من اللغات. ويزيد الأمر تعقيداً أن الانتقال من نطق صوت لآخر ليس انتقالاً مباشراً أو واضح الحدود، بل يحدث تتابع الأصوات المنطوقة في سلسلة، بين كل عصر من عناصرها مرحلة انتقال. فأعضاء النطق في الكلام العادي لا تنطق كل صوت مستقلاً، بل يتأثر نطق الصوت الواحد بالأصوات السابقة عليه والتالية له. وتستطيع الدراسة الصوتية المعملية التمييز بين الخصائص الفيزيائية لكل صوت ينطق، ولهذا يكون عدد الأصوات من هذا الجانب بلا حدود.

ولكن البعة باعتبارها مجموعة من الرموز المحددة الحاملة للمعاني لا يمكن أن تتكون من عدد غير محدود من الأصوات، فكل نظام من الرموز لابد أن تكون عاصره احاسمة محددة، حتى يكون فعالا عند مستخدمى هذا النظام.

يهدف البحث الفونولوجى إلى تحديد العناصر المكونة للنظام اللغوى فى ضوء التمييز الموضوعى بين الوحدات الصوتية والصور الصوتية المختلفة. وترجع فكرة التمييز الموضوعى بين الوحدات الصوتية وصورها الصوتية المختلفة إلى مدرسة براغ فى البحث الفونولوجى، وأهم أعلام هذه المدرسة اللغوى الروسى تروبتسكوى واللغوى السويدى الأمريكى ياكوبسون، وقد بدأت آراؤهما المنهجية تتضح بعد سنة ١٩٢٩. ويقوم التمييز بين الوحدات الصوتية والصور الصوتية فى التحليل الفونولوجى عند تروبتسكوى على أساس التقابل. فإذا ما اختلف صوتان من ناحية الخصائص النطقية أو الفيزيائية أو السمعية فإن هذا الاختلاف يمكن أن يكون مؤثرا فى تغيير الدلالة ويمكن ألا يكون كذلك. فإذا قاربا كلمتين تشتركان فى كل الأصوات عدا صوتا واحدا، على نحو الكلمتين العربيتين (سائر، صائر) فإننا نلاحظ أن معنى الأولى يخالف معنى الثانية، والعنصر الرمزى الصوتى الذى جعل دلالة الكلمة الأولى تختلف عن الثانية هو وجود صوت السين فى إحدهما والصاد فى الأخرى. ومعنى هذا أن إحلال أحدهما محل الآخر يعنى تغيير المعنى، ومن ثم نقول بأن السين وحدة صوتية والصاد وحدة صوتية أخرى. وقد استخدمنا هنا مصطلح الوحدة الصوتية فى مقابل ما يطبق عليه فى اللغات الأوربية Phonem، وهكذا حددنا عن طريق التقابل وجود السين وحدة صوتية متميزة ووجود الصاد وحدة صوتية متميزة أخرى فى العربية. هذا التمييز على أساس اختلاف الصوت واختلاف المعنى، والمعنى أمر مرتبط بالنظام اللغوى الواحد، فالكلمة لا تؤدى إلى معناها إلا فى لغتها. شبيه بهذا مقارنة الكلمتين (تيس، طيس)، اختلافهما فى المعنى يقوم على اختلاف الكلمتين فى الصوت الأول، ومعنى هذا أن إبدال أحدهما محل الآخر يغير المعنى، لأن ذلك يؤدى إلى تكون كلمة أخرى بمعنى مغاير. ولو قال أحد الناس تيسن وهو يريد الطين أو العكس لحدث لبس فى

الفهم. ومن هنا نقول بأن التاء فى العربية وحدة صوتية مستقلة والتاء وحدة صوتية مستقلة أخرى. ليس معنى هذا أن نطق كل الأفراد لصوت التاء هو نفس لصق نفسه تماما، وليس معنى هذا أن نطق كل الأفراد لصوت التاء متفق اتفاقا كاملا، فأجهزة التقييم الصوتي تسجل درجات من الاختلاف فى نطق التاء وكذلك فى لصق التاء. ولكن الحد العاقل بين التاء والتاء موضوعي بمعنى أنه يقوم على معيار لا يختلف باختلاف الأفراد. والتقابل معيار موضوعي لأن أبناء الجماعة اللغوية الوحدة متفقون على استخدام كلمة (تين) بمعنى يعاير كلمة (طين)، واستخدام كلمة (سائر) بمعنى يفاير كلمة (صائر).

وينضح الفرق بين الوحدة الصوتية والصورة الصوتية عند العرب المعاصرين فى نطق اللام والراء والباء وغير ذلك من الأصوات. فنحن نقول : (والله) فننطق لام مفخمة، ونقول (بالله) فتنطق لاما مرفقة ونحس فى وضوح الفرق النطقى بين اللام المفخمة واللام المرفقة، ولكن اللامين صورتان صوتيتان لوحدة صوتية واحدة. ولا يمكن اعتبارهما على الرغم من وضوح الفرق النطقى بينهما وحدتين صوتيتين متميزتين، وذلك لأننا لو جربنا بأنفسنا وجعلنا أحدهما ينطق اللام فى (بالله) دون ترفيق فهذا النطق غير مألوف فى العربية، ولكن المعنى يظل مفهوما لأن إبدال صورة صوتية محل أخرى لا يغير المعنى.

يختلف تحديد الوحدات الصوتية من لغة لأخرى. وقد بينا فكرة الوحدة الصوتية بأثرة عربية لأنها تناسب هذا الكتاب، ولو ألف لغوى شارحا هذه الفكرة بأثرة يابانية لكان الأمر مختلفا. فما نسميه بالعربية لاما يكون مع ما نسميه بالعربية راء وحدة صوتية واحدة فى اللغة اليابانية، ومن ثم يحد أبناء اليابانية صعوبة فى تمييز الراء عن اللام فى اللغات التى تميز بينهما. فكل الأصوات التى يمكن تصيغها - كما لو كانت فى العربية - إلى راء مرفقة وراء مفخمة ولام مرفقة ولام مفخمة تدخل فى اليابانية فى إطار وحدة صوتية واحدة. وإذا كانت الراء بكل صورها الصوتية تكون

وحده صوتية فى العربية فإن عدداً من اللغات الأوربية لا تميز الراء عن الغين من الناحية النغونية. ولذا يجد أبناء اللغة الألمانية مثلاً صعوبة فى التمييز بين الراء والغين عند نطقهم للغة العربية، وبصعب هذا الأمر لو التقى الصوتان فى كلمة واحدة مثل كلمة (معر) فسمع هذه الكلمة عند كثير منهم كما لو كانت غين مشددة. كل إنسان يسمع وفق مجموعة عاداته الصوتية المكتسبة ولكل لغة نظامها النغوني، وهذه الوحدات رموز كامنة فى ذهن أبناء البيئة اللغوية الواحدة، ولذا فمن واجب البحث الصوتى تحديد الوحدات الصوتية وغيرها من الوحدات فى اللغة الواحدة. يقوم بحث الصور الصوتية على أساس السياق الصوتى، وتتحدد علاقات الوحدات الصوتية فى اللغة الواحدة على أساس التقابل الدلالى الصوتى المؤدى إلى اختلاف المعنى.

رابعاً : تصنيف الأصوات اللغوية :

هناك عدة معايير لتصنيف الأصوات اللغوية، أكثرها استخداماً تلك المعيار التى تقوم على عم الأصوات النطقى، فهو أقدم فروع البحث الصوتى، ومصطلحاته فى الوصف والتصنيف هى أكثر المصطلحات شيوعاً. وتصنف الأصوات اللغوية وفق المعايير الآتية :

١- الصوامت والحركات :

تقسم الأصوات اللغوية إلى صوامت وحركات، ويرجع الفرق بينهما إلى كيفية تكون الصوت فى أعضاء النطق، فعند النطق يندفع هواء الزفير من الرئتين بتأثير الحجاب الحاجز على القفص الصدرى ويمضى هواء الزفير محاولاً الخروج، وعند نطق بالصوامت Consonants يحدث نوع من الاعتراض يعوق خروج هواء الزفير، قد يكون هذا لاعتراض كاملاً أو جزئياً. وفى كل حالات النطق بالصوامت يحدث هذا لاعتراض، ومن الطبيعى أن يظل هذا الاعتراض لوقت قصير جداً ثم يروى. وتختلف الصوامت من ناحية القطة التى يتم فيها الاعتراض أى القطة التى تصدر فيها الصوت.

أما فى حالة النطق بالحركات Vowels فلا يحدث هذا الاعتراض، بل تتحدد طبيعة الحركة عن طريق وضع الشفتين ووضع اللسان، وهما يشكلان مجرى الهواء على نحو يجعلنا نميز الحركة عن الأخرى، فالضمة العربية مثلاً تنطق بأن تتحدد الشفتان وضع الاستدارة، وهى بهذا تختلف عن الفتحة والكسرة ففيهما تتخذ استدارة وضع الإبساط. وتختلف الفتحة عن الكسرة - أيضاً - فى وضع اللسان داخل الفم من حيث درجة ارتفاعه، فعند النطق بالفتحة يكون فى أدنى مستوى له فى الفم وعند النطق بالكسرة يكون فى أعلى مستوى له فى الفم. وهناك عدة حركات تخفف باختلاف درجة ارتفاع اللسان فى الفم، وباختلاف المطقة التى يتم فيها هذا الارتفاع داخل الفم فى مقدمه أو فى وسطه أو فى آخره.

٢- المخارج :

وتوصف النقطة التى يتم عندها الاعتراض فى مجرى الهواء والتى يصدر الصوت فيها بمصطلح "المخرج" Point of Articulation. ولذا توصف الباء بأنها صوت شفوى وتوصف الفاء بأنها صوت شفوى أسنانى. ولكل صوت وفق هذا الاعتبار مخرجه الخاص به. وقد صنف الخليل بن أحمد فى القرن الثانى الهجرى الأصوات العربية وفق مخرجها، ونجد هذا أيضاً عند تلميذه سيويه، ويتفق البحث الصوتى الحديث مع البحث الصوتى فى التراث العربى فى اعتماد المخارج أساساً من أسس التصنيف، وإن اختلف التعبير عن هذه المخارج باختلاف مدارس اللغويين، فصوت الدال - مثلاً - ينطق فى العربية بالتقاء كل من طرف اللسان والأسنان العليا، ولذا يوصف عند بعض اللغويين بأنه صوت طرفى نسبة إلى طرف اللسان ويوصف عند غيرهم بأنه صوت أسنانى نسبة إلى الأسنان العليا. وتختلف الأصوات التى تبدو لأول وهلة متقاربة المخارج بين لغة وأخرى، فالثاء والذال والظاء فى العربية أصوات بين أسنانية مخرجها طرف اللسان بين الأسنان العليا والأسنان السفلى، وهو مخرج ليس له وجود فى نطق الأصوات الإنجليزية الشبيهة، ومخرجها قريب من ذلك.

٣- طريقة النطق :

تختلف الأصوات من حيث كيفية نطقها، والمقصود بهذا المصطلح حالة مرور الهواء عند النطق بها، فهناك أصوات توصف بأنها انفجارية، وصفها سيبويه بأنها شديدة، منها متلا، الباء والكاف والقاف والطاء. ويتكون الصوت الانفجاري بحدوث حبس ثم لمحرى الهواء فى نقطة المخرج، وينتج عن هذا الحبس أن يضغط الهواء ثم يحدث انفراج فيندفع الهواء محدثاً ذلك الصوت الانفجاري. وهذا الاعتراض يتم عند النطق بالباء فى الشفتين، ولهذا يوصف الباء بأنه صوت شقوى انفجاري، وما يحدث عند النطق بالباء فى الشفتين يحدث عند النطق بالكاف بين أقصى اللسان وأقصى الحنك الأعلى (الحنك اللين)، ويحدث عند النطق بالتاء بين طرف اللسان وأصول الشاى العليا (أصول الأسنان العليا).

وهناك أصوات كثيرة لا تدخل ضمن الأصوات الانفجارية، منها الأصوات الاحتكاكية التى تنطق بأن يضيق محرى الهواء فى موضع من المواضع فيحدث خروجه احتكاكاً مسموعاً، كما يحدث فى نطق الفاء بين الشفة السفلى والأسنان العليا وفى نطق الثاء والذال والظاء فى مخرجها بين الأسنان.

٣- الهمس والجهر :

يهتز الوتران الصوتيان اهتزازاً شديداً عند النطق ببعض الأصوات ولا يهتز عند النطق ببعض الآخر. والوتران الصوتيان شفتان تتكون كل منهما من مجموعة من العضلات غاية فى الدقة، ولذا يفضل كثير من الباحثين وصفهما باسم الشفتين الصوتيتين Vocal Lips. أما تسميتها فى العربية بالأحبال الصوتية فيقوم أساساً على خطأ فى الترجمة، لأن اللغة الانجليزية لا تعرف صيغة للمثنى، وتعبر عنهما بصيغة الجمع Vocal Cords. ويوجد الوتران الصوتيان أو الشفتان الصوتيتان فى المحجرة.

عندما يمر هواء الزفير محاولاً الخروج فإن الوترين الصوتيين قد يتوتران بشدة فيحدث ذلك الصوت الذى يحسه الناطق بأن يضع يديه على أذنيه وهو ينطق بصوت مثل (ر) عربية ويطلق على الصوت الذى يطلق بهذا التوتر الشديد فى الوترين الصوتيين صفة المحجور. تشترك الزاى والسين فى كل الخصائص النطقية المذكورة فى تصنيف الصوامت، فكلاهما صامت، وكلاهما من المخرج نفسه، وكلاهما يطلق نفس درجة الاعتراض، ولكنهما يختلفان فقط من حيث الهمس والجهر. ويمكن معرفة ذلك بأن يضع الإنسان يديه على أذنيه ويجرب بنطق الزاى ثم السين، فيحس فى نطق السين باختفاء ذلك الصوت الناجم من الوترين الصوتيين، وهو ما يحس به عند اسطق بلزى.

والفرق بين التاء والذال يتعلق فقط بالهمس والجهر، فالتاء صوت مهموس والذال صوت مجهور. ولا يختلف الصوتان إلا من هذا الجانب. فكلاهما من المخرج نفسه، وكلاهما ينطق بنفس درجة الاعتراض. والفرق بين التاء والذال - أيضاً - أن التاء صوت مهموس والذال صوت مجهور، وكلاهما ينطق من المخرج نفسه بدرجة الاعتراض نفسها. وهكذا تدرس الوحدات الصوتية فى اللغة العربية وسفات لأخرى فى ثنائيات تقابل تميز المجهور عن المهموس.

٤- الإطباق وعدم الإطباق

تميز لغات السامية ومنها العربية بين ثنائيات من الأصوات تنصق فى مجموع خصائصها لنطقية وتختلف فى وضع اللسان فى داخل الفم من حيث درجة ارتفاع لسان. والفرق بين التاء من جانب والطاء من الجانب الآخر هو أن التاء صوت غير مصنق وطاء صوت مطبق. وفى حالة النطق بالطاء يرتفع طرف اللسان وقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه. وهذا هو الإطباق الذى يلاحظ فى الأصوات العربية الآتية. نصاد، نصاد، الصاد، الضاء. وهذه الأصوات لها مقابلات غير مطبقة، فاصاء فى نطق

لعربي لحلى صوت مطبق يقابل التاء، والضاد في نطق أبناء مصر صوت مطبق يقلل الدال، والصاد صوت مطبق مقابل السين، والظاء صوت مطبق يقابل الذال. وتتكون خصائص الصوت الواحد من مجموعة خصائصه المستخرجة بالمعايير السابقة، فكل صوت لغوي إما صامت أو حركة، وله بالضرورة مخرج، وله طريقة في السطق، وهو إما مهموس أو مجهور، وهو إما مطبق أو غير مطبق. ولذا يكون تحت الأصوات اعتماداً على كل هذه المعايير أساساً لتحديد خصائصها.

الفصل الرابع

المصطلحات الصوتية فى التراث العربى

كانت المصطلحات الأساسية فى بحث الأصوات عند الخليل وسيبويه أساس دراسة أصوات اللغة العربية عند النحاة واللغويين وعلماء القراءات. ولذا يعد الفهم الدقيق لمحتوى العلمى لهذه المصطلحات أداة ضرورية لدراسة الفصول الصوتية فى كتب النحويين واللغويين وعلماء القراءات. ويتطلب فهم هذه المصطلحات الأساسية تتبع شرحها فى عبارات الخليل وسيبويه ودراسة الأمثلة المذكورة عندهما فى ضوء عم الأصوات الحديث.

أولاً: الحروف

المصطلح الأساسى الذى بدأ به سيبويه الأبواب الخاصة بالإدغام مصطلح "الحروف". ويرجع استخدام كلمة الحروف بهذا المعنى الاصطلاحى إلى الخليل بن أحمد الفراهيدى فى مقدمة كتاب العين. لقد وجد الخليل بن أحمد فى الحروف العربية منطلق تحليله للأصوات اللغوية، فالكتابة العربية بصورتها التى أتحت للخليل بن أحمد تدون الصوامت بصورة مطردة، وتدون الحركات الطويلة فى أكثر الأحوال. ولكنها لا تدون الحركات القصيرة إلا على نحو اختياري وقد ظلت الكتابة العربية منطلق الاهتمام الأول ببحث الأصوات اللغوية عند الخليل وسيبويه، ومن جاء بعدهما من النحاة واللغويين العرب، وقد أدى هذا الارتباط بين الكتابة العربية والبحث الصوتى إلى أن مصطلح "حروف" كان يدل تارة على الصوت اللغوى المنطوق وتارة على الحرف المدون المرئى. وبمعنى آخر كان مصطلح الحرف يدل على الرمز المدون وعلى نطقه دون تمييز بين الكتابة والصوت، كان التركيز على تلك الأصوات التى لها فى الخط العربى رموز تدونها، أما الحركات القصار وهى الفتحة والضمة والكسرة فكان الاهتمام بها فى البحث الصوتى العربى أقل من الاهتمام بدراسة نطق "الحروف"

يتضح الفرق بين حصر الخليل وسيبويه للحروف العربية وتحديد الوحدات الصوتية في اللغة العربية على النحو التالي :

تتكون البنية الصوتية للغة العربية من الوحدات الآتية :

٢٨	وحدة صوتية من الصوامت (ب ، ك ، س ، ع ، الخ)
٣	وحدات صوتية من الحركات القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة)
٢	وحدات صوتية من الحركات الطويلة: ألف المد (= فتحة طويلة)، ياء المد (= كسرة طويلة)، واو المد (= ضمة طويلة)

المجموع ٣٤ وحدة صوتية للصوامت والحركات

يتكون الحظ العربى وبالتالي الحروف العربية فى تحديد الخليل وسيبويه من ٢٩ حرفا، إن سيبويه لم يدخل الحركات القصيرة فى اعتباره، لأنه كان ينظر إلى الحروف المدونة فى سياق الكتابة. والخط العربى لا يدون الحركات القصيرة فى السياق اعام لكتابة. لا يضم الخط العربى العادى رموزا مستقلة للحركات الطويلة، وبذا فقد كان حساب الحروف عند سيبويه يضم الأصوات الصامتة فى اقسام الأول، وأضاف إليها الألف بعد ذلك. والألف تشير فى التدوين بصفة عامة إلى الفتحة الطويلة، وتكون الألف أحيانا قاعدة مرئية لكتابة الهمزة. أما حرف الياء فيرمز - أيضا - إلى حركة صويلة ويرمز إلى صوت نصف صامت، فالياء فى كلمة (فى) تختلف عنها فى كلمة (ينعب). وبالمثل فحرف الواو الذى ذكره سيبويه يرمز إلى حركة صويلة فى كلمة (سعود) وإلى نصف صامت فى كلمة (ورّد).

ولهذا، كان تمييز النحاة بين القيمتين الصوتيتين للياء بعبارة واضحة، مثل اياء ساكنة امسوقة بكسرة، أو الياء الساكنة المسوقة بفتحة تميزا بين اياء فى كلمة (فى)، والياء فى كلمة (يّن).

ذكر سيويه فى باب الإدغام أن "أصل حروف العربية" تسعة وعشرون حرفاً. وبصم هذه الحروف رموزاً مدونة لكل الوحدات الصوتية الصامتة ورمزاً مدوناً خاصاً بالألف وهكذا ميز سيويه بين الهمزة من جانب والألف من الجانب وهذا تمييز دقيق، وذلك لأن الهمزة صوت سميته الأساسية وقف حنجرى أما ألف المد، فتدل على حركة طويلة.

ثانياً : المخارج والأحياز

ينبع أقدم تصنيف للأصوات اللغوية عند اللغويين العرب من بحث قضية المخارج. والمقصود بمصطلح المخرج فى الدراسة الصوتية تلك النقطة يحدث فيها اعتراض لمجرى الهواء فى أثناء محاولة الخروج وهى القطة التى يصدر الصوت فيها، أى ينطق فيها صوت، ولذا تسمى نقطة الطق. Point of articulation. أما مصصح المخرج فهو أكثر المصطلحات شيوعاً فى التراث اللغوى العربى وصفاً لنقطة النطق، ويرجع اصطلاح المخرج إلى الحليل بن أحمد فى مقدمته لكتاب العين، وقد أفاد منه سيويه بعد ذلك، وأصبح هذا المصطلح متداولاً عند المؤلفين العرب بعد ذلك.

لم يكن مصطلح "المخرج" وحده عند الحليل بن أحمد لوصف نقطة النطق، فقد أفاد الخليل من عدة مصطلحات لذلك، وهى: الحيز (والجمع أحياز)، ولبدأ (والجمع مبادئ) والمدرجة (والجمع مدارج).

وقد استخدمت هذه المصطلحات كلها عند الخليل، وأكثر شيوعاً عنده

مصصح "حيز". ينضج هذا من العبارات التالية الواردة فى مقدمة كتاب العين :

"الصاد والسين والزى فى حيز واحد"

"الصاد والذال والهاء فى حيز واحد"

"الطاء والذال والهاء فى حيز واحد"

ويتضح من هذا أن كلمة حيز كانت تعنى عند الخليل النقطة التى يصدر فيها الصوت، فقد أثبت البحث أن الصاد والسين والزاي تكون من هذا الجانب مجموعة الأصوات المعروفة باسم "أصوات الصغير". والطاء والذال والتاء تكون مجموعة الأصوات المعروفة باسم "الأصوات الأسنانية"، والظاء والذال والهاء تكون مجموعة "الأصوات بين الأسنانية".

أما مصطلح "المبدأ" والجمع مبادئ، فقد ورد عند الخليل أيضاً. يقول الخليل: الفاء والذال والتاء لثوية لأن مبدأها من اللثة. وهكذا اتضح أن مصطلح مبدأ مرادف عند الخليل لمصطلح "حيز"، وذكر الخليل أيضاً أن الفاء والباء والميم شفوية - وقال مرة شفوية - لأن مبدأها من الشفة. والمقصود هنا بمصطلح المبدأ كون هذه الأصوات تصدر عند الشفتين، فهذه المجموعة تكون الأصوات الشفوية.

وذكر الخليل أيضاً فى هذا الصدد مصطلح "المدرجة" والجمع مدارج بالمعنى السابق. فقد ذكر الخليل مدارج الحلق ومدارج اللسان بمعنى النقاط التى يتم فيها تكون الأصوات.

والمصطلح الرابع "المخرج" والجمع مخارج جاء أيضاً عند الخليل بن أحمد. قال: الفاء والباء والميم مخرجها من بين الشفتين. وفى موضع آخر يقول: أما مخرج العين والحاء والباء والحاء والفين الحلق.

ولكن سيويه عرف هذه المصطلحات، واختار مصطلح المخرج والجمع محارج، وفضله على كل المصطلحات الأخرى. وتحولت بذلك كلمة 'مخرج' إلى مصطلح شائع الاستخدام عند سيويه وعند من جاء بعده من النحويين وارتصاه البحث الحديث. ولكن مصطلح "حيز" لم يرد عند سيويه إلا على نحو نادر، وبذلك كان دور سيويه فى بحث قضية المخارج معتمداً على جهود الخليل بن أحمد، وله بهذا فضل اختيار مصطلح "المخرج" وطرح باقى الكلمات المرادفة له.

صنف سيبويه الأصوات العربية في ستة عشر مخرجاً ووصف مخارج الحلق بعبارات موجزة، وقسم مخارج الحلق إلى أقصى الحلق ووسط الحلق وأدنى الحلق. أما باقى المخارج فقد وصفها بعبارات طويلة حاولت تحديد النقطة التى يتم فيها انطق من حاسير اثنين : اللسان والحك الأعلى. فمثلاً فى وصف نطق "القاف" ذكر سيبويه أن مخرجها "أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى". وبذلك تضمن هذا التحديد وصفاً أكثر تفصيلاً من العرف الحديث عند علماء الأصوات، فهم يحددون المخرج بوصف أساسى واحد، وكأنهم يجعلون الصفة الأخرى أو باقى الصفات تابعة. ومعنى هذا أن الأصوات التى تنطق فى أقصى اللسان من جانب والحنك الأعلى واللهة من جانب يمكن أن توصف نسبة إلى أقصى اللسان، فيقال لسانى قصى dorsal نسبة إلى dorsum أى أقصى اللسان، وهذا هو العرف السائد عند اللغويين الأمريكيين. ويمكن أن توصف باعتبار المنطقة العلوية المقابلة، فيقال هذا الصوت لهوى uvular (نسبة إلى uvula وهى اللهة) أو حنكى قصى postpalatal (إلى المنطقة الأخيرة فى الحنك الأعلى). ولكن سيبويه كان يصف المخرج من الجانبين معا فيصف المخرج باعتبار اللسان والحنك الأعلى معا.

ويمكننا إيضاح قضية الوصف المزدوج عد سيبويه بمقارنة وصفه لمخرج الطاء والذال والتاء بوصف المخرج نفسه عند علماء الأصوات المحدثين. لقد وصف سيبويه مخرج الطاء والذال والتاء على النحو التالى : "من بين طرف اللسان وأصول الثنايا". وهنا نجد العنصرين : لسان وهو عضو متحرك وأصول الثنايا أى أصول الأسنان الأمامية. ويوصف هذا المخرج عند كثير من اللغويين الأمريكيين بأنه Apical (نسبة إلى Apex أى طرف لسان)، ويصفه لغويون أوريون بأنه dental (نسبة إلى Dents أى الأسنان)، وهكذا نجد سيبويه يعتمد فى وصف المخرج على الوصفين معا.

وهذا ينصق أيضاً على وصفه لمخرج الطاء والذال والتاء ، لقد ذكر سيبويه أن هذا المخرج "من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا". ويوصف هذا المخرج عند

للفويس الأوربيين بأنه interdental (أى بين أسناني). وهكذا نجد وصف محرج يقوم عند سيويه على وصف النقطتين، وهما: اللسان - وهو عضو متحرك - من جانب، ووصف النقطة الثابتة (الحنك الأعلى أو الأسنان) من الجانب الآخر.

وتتميز كيمية وصف سيويه مع الوصف الحديث اتفاقاً كاملاً في بعض المحارج. فقد وصف سيويه مخرج الفاء على النحو التالي: "من باطن شفة سفلى وأطراف الثنايا العليا". ويوصف هذا المخرج في البحث الحديث بأنه شفوي أساسي Labiodental. والمقصود بأنه شفوي اشتراك الشفة السفلى في النطق، والمقصود بكونه أسنانيا اشتراك الأسنان العليا في نطقه. وهكذا يعبر مصطلح شفوي أسناني Labio - dental عن وصف هذا المخرج من كلا الجانبين.

ثالثاً: المجهور والمهموس

يقوم تصنيف الأصوات العربية عند اللغويين العرب إلى مجهور من جانب ومهموس من الجانب الآخر على جهود سيويه، فلا توجد أية إشارة إلى مثل هذا التصنيف في مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد. وبذلك يختلف تاريخ بحث هذه القضية عن البحث في قضية المحارج التي كان للخليل بن أحمد دور كبير وحاسم فيها.

قد أثار تصنيف سيويه للأصوات العربية إلى مجهور ومهموس عند الدراسين المحدثين قضية المحتوى العلمي لهذين المصطلحين. وكان الباحث الألماني شاده Schaade أول من بحث المصطلحين في ضوء علم الأصوات الحديث (١٩١١). والقضية التي بحثها شاده تلخص على النحو التالي: هل يطابق تصنيف الأصوات عند سيويه إلى مجهور ومهموس التصنيف الحديث للأصوات إلى voiced (المجهور) و voiceless (المهموس) على التوالي، أم أن سيويه كان يعنى أمراً آخر. والفرق بين مفهومين على النحو التالي: يحدث أثناء النطق أن يندفع هواء نرفير محبولا لحروح، وما يختلف وضع الوترين الصوتيين، فإذا انفرج الوتران الصوتيان على نحو

لايتيح مجالا لأى توتر فإن الصوت يوصف بأنه voiceless. أما إذا تصاغط وتران وهترا استمرارا شديدا، فإن هذا التوتر يعرف فى علم الأصوات باسم voice ويوصف الصوت الذى ينطق عنى هذا النحو بأنه voiced أى به voice. وعلى هذا فتوتر التوترين الصوتيين سمة أساسية فى نطق مجموعة من الأصوات وعدم توترهما سمة أساسية فى نطق مجموعة أخرى من الأصوات.

ومن الممكن إيصاح الفرق بين المجموعتين بعدة طرق بسيطة، كأن يضع الإنسان يديه فوق أذنيه وينطق بصوت (د) فيشعر بهذا الصوت الحادث نتيجة توتر التوترين الصوتيين، ثم ينطق بصوت (ت) فلا يحس بوجود أى أثر ناجم عن التوترين الصوتيين، ويمكن كذلك الإحساس بالفرق بين (ز) التى تنطق بتوتر شديد فى التوترين الصوتيين، (س) التى تنطق دون أى توتر فيهما بهذه الطريقة. وهناك طريقة أخرى لمعرفة الفرق بين نطق الدال والزاي من جانب والتاء والسين من الجانب الآخر تلخص فى وضع أصبعين فوق تفاحة آدم، أى فوق منطقة الحنجرة التى يوجد فيها الوتران الصوتيان، فيحس الإنسان فى حالة نطق (د) أو (ر) بما يحدث فى التوترين الصوتيين، على عكس ما يحدث فى (ت) أو (س). ولذا يطلق على (د)،(ز) مصطلح voiced على عكس (ت)،(س) voiceless.

وعندما ناقش الباحثون المعاصرون مصطلحات علماء الأصوات العرب وجدوا عند سيويه مصطحى : المجهور والمهموس. لقد صنف (د)، (ز) مثلا ضمن الأصوات المجهورة، وصنفت (ت) ، (س) فى الأصوات المهموسة. ويوحى هذا تقبل لأول وهلة بأن مجهور تعنى voiced (د،ز)، ومهموس تعنى voiceless (ت،س).

وكن مجموع الأصوات التى ذكرها سيويه ضمن المهموس، والأصوات الأخرى التى ذكرها ضمن المجهور آثار بالضرورة مشكلات الطاء والظاف والهمزة. فقد صنفها سيويه ضمن المجهور ولا يمكن وصف نطقها المعروف اليوم فى

انفصحي بأنها من المجهور. وطرح هذا التساؤل أيضاً مشكلة معرفة سبويه أساساً بالفرق العلمي بين الهمس والجهر - على نحو ما يعرفه علماء الأصوات امعاصرون. ويمتد هذا التساؤل إلى عدم معرفة سبويه بالوترين الصوتيين، وبالتالي كان ثمة شك في إدراكه لأثرهما في عملية النطق. وقد أمكن مناقشة الاعتراضين على النحو التالي :

يقوم تصنيف سبويه للأصوات على أساس تحريري بسيط، وهناك رأى مسوب لسبويه سجله السيرافي في شرح كتاب سبويه ويوضح منهج سبويه في تحريبه. يتخصص هذا الرأى فى أن بعض الأصوات يمكن أن تنطق برفع الصوت فقط، ادل والزأى مثلاً لا يمكن نطقها الواضح المتميز بصوت حفيض، فإذا حاول الانسان نطق ادال بصوت خفيض فإنه لا يستطيع نطقها دالاً بل هى تاء. وعلى انعكس من هذا فهناك أصوات تنطق بأية درجة فى الصوت، حتى إنها تنطق أيضاً بخفض الصوت دون أن يحدث لها أى تغيير مثل التاء والسين. وعلى هذا فهناك أصوات لا يجوز أن تنطق إلا بصوت عال نسبياً وهذه هى المجهورة، والجهر رفع الصوت. وهناك أصوات يمكن أن تنطق بخفض الصوت، وهذه الأصوات هى المهموسة، والهمس خفض الصوت. وبهذا اتضح من هذا الرأى المنسوب لسبويه الطريقة التى ميز بها سبويه بين المجهور والمهموس، كما اتضح منها لماذا وصف مجموعة منها باسم "المجهور" وأخرى باسم "المهموس".

اما قضية تصنيف سبويه للقاف والطاء والهمزة فى المجهور وتصنيفها عندنا اليوم فيمكن إيضاحها على النحو التالى :

كان سبويه يعنى فى وصفه لنطق القاف نطقاً يخالف النطق المعروف اليوم، للصوت المألوف لدينا فى نطق الفصحى مهموس، ولا شك أن سبويه كان يعنى صوتاً مجهوراً، وهذا ما يمكن تفسيره فى ضوء المثل اللغوية العليا فى عصر سبويه. فقد كان البدو فى القرن الثانى الهجرى حجة فى قضايا اللغة، ولذا كان من الطبيعى أن يعتمد عليهم سبويه فى قضايا الأصوات أيضاً. والقاف تنطق عند البدو أحد طليق

وكلاهما مجهور، فهي صوت شديد من أقصى الحنك مثل الجيم القاهرية أو هي صوت من أدنى الحلق مثل الغين. وكلا الصوتين مجهور. ولذا فمن المحتمل أن يكون المقصود عند سيبويه في وصف القاف المجهورة أحد هذين الصوتين.

والصاء القديمة كانت دون شك تخالف النطق الحديث للطاء. فقد كانت الطاء القديمة تشترك مع الدال في كل خصائصها النطقية، غير أن الطاء صوت مطبق. فقد كانت الطاء هي المقابل المطبق للدال. عبارة عن سيبويه توضح هذه الحقيقة "لولا الإطباق لصارت الطاء دالا". ويبدو أن الطاء القديمة على هذا النحو كانت تختلف عن الطاء في نطقها الحديث. ويمكن إيضاح هذا وفق الجداول التالية للأصوات الأساسية:

النطق القديم

مجهور	مهموس	
د	ت	غير مطبق
ط		مطبق

وعى هذا فقد كانت الطاء القديمة مجهورة نطقاً، ولكن صفة الجهر فيها كانت محايدة، أى غير حاسمة من الناحية الفونولوجية، لعدم وجود مقابل لها غير مجهور.

الناء والطاء في النطق الحديث :

مجهور	مهموس	
د	ت	غير مطبق
(ض) في نطق مصر والشام على عكس نطق البدو والكويت والخليج	ط	مطبق

ومعنى هذا أن الطاء تحركت من موقعها القديم في النظام الصوتي للعربية لتصبح مقابلاً مطبقاً للناء. وتغير نطق الضاد فاحتلت مكان الطاء القديمة، مقابلاً مطبقاً للدال في نطق أباء العربية في مصر والشام بصفة خاصة.

وقد صنف سيبويه الهمزة من المجهور، ولا شك أن هنا نوعاً من اللبس. فهمة
نقص تنطق بانطباق الوترين الصوتيين على نحو يخالف انفراجهما في اسطق بالمهموس
ويخالف توترهما في حالة النطق بالمجهور، ولذا يمكن وصف الهمزة من هذا الجانب
بأنها صوت محايد من ناحية الهمس والجهر. ولعل السبب في هذا اللبس أن سيبويه
كان يحرب بالهمزة ومعها حركة، والحركات كلها متهجورة.

وهكذا اتضح أن سيبويه عرف منهجاً تحريياً لتمييز الفرق بين مهموس
والمجهور، واستطاع أن يميز الأصوات تميزاً واضحاً وصحيحاً. أما اختلاف التصنيف
في حانة بعض الأصوات فلا يرجع إلى خطأ من سيبويه بل يرجع إلى تغير نطق اطاء
واعتماد سيبويه في دراسة نطق القاف على البدو، وإلى تجربته نطق الهمزة مصحوبة
بحركة. ولكن سيقى بعد هذا كله أن نذكر أن سيبويه قد قدم للبحث اصوتى إضافة
أصيلة جادة يبحث الأصوات من حيث الهمس والجهر.

رابعاً: الشدة والرخاوة

صنف سيبويه الأصوات اللغوية من حيث درجة الاعتراض التى تحدث عند
انطق بها إلى ثلاث مجموعات :

١- الشديدة : مثل الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والباء

٢- الرخوة : مثل الحاء والخاء

٣- بين الرخوة والشديدة : العين، الراء واللام والواو والياء

وقد أوضح سيبويه الفرق بين هذه المجموعات على النحو التالى :

الحرف الشديد هو الذى يمنع النفس أن يجرى فيه"، ومن هذا الجانب يتضح
أن صوت الشديد هو الصوت الذى يحدث فى أثناء النطق به اعتراض قوى بحس
الهواء، ثم يتم الانفراج بعد ذلك. قد يكون هذا الاعتراض القوى فى الشفتين عندما
تتقيان التقاء كاملاً فى نطق الباء، وقد يكون بين طرف اللسان وأصو لثايا العليا فى

اسطق سطاء، وقد يكون بين أقصى اللسان وأقصى الحنك الأعلى بما في ذلك
انتهاء في اسطق بالقاف، وقد يكون بين أقصى اللسان وأقصى الحنك الأعلى في
سطق بالكاف.

وقد يكون في الحنجرة عند النطق بهمزة القطع، ومن هذا الجانب يطابق
مصصع بشديد عند سيبويه مصطلح Plosives أى الانفجاري، فالأصوات لقاف
والكاف واطاء أصوات شديدة عند سيبويه انفجارية في علم الأصوات الحديث.

وبكن سيبويه عدّ أيضاً من الأصوات الشديدة صوت الجيم. وتعد جيم
انفصحة في علم الأصوات الحديث مركباً احتكاكياً Affricate، يبدأ نطقها كما لو
كنا ننطق دالاً ثم ينتهي نطقها كما لو كنا ننطق شينا مع الجهر، أى (dj) وقد لاحظ
سيبويه أن هذا الصوت ينطق في بدايته بحس النفس لوجود اعتراض شديد يجعله بين
الأصوات الشديدة. وهكذا يضم مصطلح الشديدة عند سيبويه مجموعة الأصوات
الانفجارية مع الصوت المركب الاحتكاكي (ج).

أما الصوت "الرخو" فقد حدده سيبويه بأنه لا يمنع مرور الهواء، كما هي الحال
في نطق الأصوات الشديدة. وقد ذكر سيبويه من الأصوات الرخوة :

١- مجموعة أصوات الحلق (عدا الهمزة والعين) وهي: الهاء والحاء والغين والخاء.

٢- مجموعة أصوات الصفيح : الصاد والسين والزاي، ثم الشين.

٣- مجموعة الأصوات بين الأسنان : الثاء والذال والظاء.

٤- صوت الفاء، وهو صوت شفوي أسناني.

٥- صوت الضاد.

ونقابل مصطلح الرخو بهذا المعنى مصطلح الاحتكاكي Fricative في علم
الأصوات الحديث. وتعريف الصوت الاحتكاكي أنه الصوت الذي ينطق بأن يصبق
محري الهواء في لقطة التي يصدر منها الصوت، أى عند المخرج، ويسب صيق

المجرى في أثناء خروج الهواء احتكاكاً مسموعاً. وينطبق هذا الوصف على كل الأصوات الرخوة عند سيبويه الاحتكاكية في التصنيف الحديث.

غير أن الضاد عدت عند سيبويه صوتاً رخوياً، ولكنها تصنف في علم الأصوات الحديث وفق النطق المعروف في مصر وبلاد الشام تصنيفاً مختلفاً، فقد تغير نطقها، كانت قديماً صوتاً رخوياً - على نحو وصفها عند سيبويه - وأصبح نطقها اليوم في الفصحى صوتاً شديداً، أى انفجارياً.

وتضم مجموعة الأصوات بين الرخو والشديد عند سيبويه الأصوات التالية :

١- صوت الغين

توصف الغين اليوم وصفاً مخالفاً، فعند النطق بها يضيق مجرى الهواء، ولذا تعد صوتاً احتكاكياً.

٢- صوت اللام.

وصفت عند سيبويه بأنها صوت منحرف ينطق على نحو بين الشديد والرخو. ويبدو أن المقصود بكونه منحرفاً أنه كان ينطق نطقاً جانبياً، بمعنى أن عقبة ما تكون في وسط مجرى الهواء فيخرج الصوت من أحد الجانبين، ولذا يوصف بأنه lateral أى جانبي.

٣- صوت الراء

وصف سيبويه هذا الصوت بأنه مكرر، والمقصود بهذا تكرار اهتزازات اللسان في أثناء النطق به. وقد جعله سيبويه بين الشديد والرخو، ويصنف في البحث الحديث وحده في مجموعة الصوامت المكررة Rolled Consonants.

٤- النون والميم

صنفهما سيبويه بين الشديد والرخو ، لأن حيساً كاملاً يحدث لمجرى الهواء في مخرجهما في الفم، ولكن الصوت الناجم عن تيار الهواء مع الاهترار لشديد في

الموترين الصوتيين يمضى دون عائق إلى التجويف الأنفى. ففى نطق الميم مثلاً تنطق الشفتان تمام الانطباق فتحدث عقبة على نحو ما يحدث فى نطق الصوت الشديد، ولكن الهواء يمضى إلى التجويف الأنفى، فتحدث تلك النغمة التى سماها العلماء العرب باسم "الغنة".

وفى نطق النون تحدث العقبة بالتقاء طرف اللسان مع أصول الثياب العليا (الأسنان العليا) على نحو ما يحدث فى نطق الصوت الشديد، ولكن الهواء يمضى إلى التجويف الأنفى فتحدث الغنة.

ولهذا صنف سيبويه النون والميم بين الشديد والرخو، ويصنفان اليوم فى مجموعة تسمى باسم الصوامت الأنفية Nasal Consonants، وقد سماها البعض باسم "الصوامت الغناء" أى التى فيها غنة.

وأخيراً فلا بد من الإشارة إلى أن سيبويه صنف الواو والياء فى مجموعة حروف اللين، وتسمى هذه المجموعة اليوم باسم "مجموعة أنصاف الحركات" Semi Vowels. ويرجع هذا إلى أن نطقهما يبدأ مثل نطق الحركة، ثم تحدث عقبة على نحو ما يحدث فى نطق الصوامت.

فالواو يبدأ نطقها كما لو كانت ضمة ثم تحدث العقبة فى أقصى الحنك. والياء يبدأ نطقها كما لو كانت كسرة ثم تحدث العقبة فى وسط الحنك. أما الفتحة الطويلة فقد أدرك سيبويه اختلاف طبيعتها، ولذا سماها "بالحرف الهاوى" باعتبار اتساع مخرجها. والواقع أنها حركة، والحركات كلها كذلك. ولكن سيبويه لم يصف نطق الفتحة القصيرة ولا الكسرة القصيرة ولا الكسرة الطويلة ولا الضمة القصيرة.

خامساً: الإطباق والانفتاح

تصنيف الأصوات اللغوية من حيث "الإطباق والانفتاح" يعد من السمات المميزة لبعث السامية. وكان سيبويه أول من تعرف هذه السمة. والأصوات المطبقة

فى النّعة العربيّة: الصّاد والضاد والطاء والظاء. أما باقى الأصوات العربيّة فتعدّ غير مصقّة، أى "مفتحة" فى مصطلح سيبويه. ولكى يوضح مجموعة الأصوات امطبقة فى مقابل الأصوات المنفتحة قال سيبويه : "لولا الإطباق لصارت الطاء دلاً ولصاد سيبا والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شئ من موضعها غيرها".

ويتلخص ما قاله سيبويه فى الجدول التالى :

غير مطبق :	د	س	ذ	لا شئ
مطبق :	ط	ص	ظ	ض

سبق أن أشرنا أن نطق الطاء والضاد فى وصف سيبويه يخالف نطق لحديث بهما. والسمة الأساسيّة التى تميز الأصوات المطبقة تتلخص فى عبارة سيبويه لتالية: 'إذا وضعت لسانك فى مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان، ترفعه إلى الحنك'. وقد لاحظ الباحثون المحدثون أن المقصود بإطباق هو ارتفاع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك وتقرع وسط اسنان. وهذا هو الفرق بين نطق الأصوات المطبقة ومقابلاتها غير المطبقة.

الفصل الخامس

النظام الصوتى

يتكون اصنام الصوتى من الوحدات الصوتية الجزئية من جانب، ونظام لمقاطع وانسر من الجانب الآخر.

أولاً الوحدات الصوتية الجزئية :

أ- تتحدد السمات المميزة لكل صوت من أصوات المجموعة الشفوية على أساس التقابل الفونولوجى مع الصوتين الآخرين فى المجموعة :

(١) الوحدة الصوتية : ب

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ب : ف

بِرُق : فَرُق ربيع : رفيع عَابَ : عَاف

ب : م

بَكُر : مَكُر سَمْع : شَبْع شَبَّ : شَمَّ

ويتضح منها أن السمات المميزة للباء هى :

(١) الباء صوت شفوى على عكس الفاء فهى صوت شفوى - أسنانى.

(٢) الباء صوت مجهور على عكس الفاء فهى مهموسة.

(٣) ليست شدة الباء حاسمة من الناحية الفونولوجية.

(٤) ليس وجود الإطباق أو عدم وجوده حاسما من الناحية الفونولوجية.

(٥) الباء صوت غير أنفى على عكس الميم.

٢) الوحدات الصوتية : ف

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ب : ف

فرق : برق ريع : رفع عَابَ : عَافَ

ف : م

فَاتَ : مَاتَ سَافَرَ : سَافَرَ عَافَ : عَامَ

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للفاء هي :

١) الفاء صوت شفوي - أسناني على عكس الباء فهي شفوي.

٢) الفاء صوت مهموس على عكس الباء فهي صوت مجهور.

٣) ليست الرخاوة في الفاء سمة فونولوجية حاسمة.

٤) ليس للاتطابق أو عدمه أهمية في تمييز الفاء.

٥) الفاء صوت غير أنفي على عكس الميم.

٣) الوحدة الصوتية : م

أمثلة التقابل الفونولوجي :

م : ب

مَكْرَ : بَكْرَ عَمْرَ : عَمْرَ حَالِمَ : حَالِبَ

م : ف

مَاتَ : فَاتَ كَامِلَ : كَافِلَ عَامَ : عَافَ

م : ن

مَسَكَ : نَسَكَ قَمَعَ : قَمَعَ لَوَمَ : لَوَنَ

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للميم هي :

١) الميم صوت شفوي على عكس النون.

٢) ليس جهر الميم سمة حاسمة لها من الناحية الفونولوجية.

٣) ليست شدة الميم سمة حاسمة لها من الناحية الفونولوجية.

٤) ليس للإطلاق أو لعدمه أهمية في تمييز الفاء.

٥) الميم صوت أنفى على عكس الباء والفاء.

ب- يضم النظام الفونولوجي ثلاث وحدات صوتية بين أسنانية هي اشاء والذال والظاء، ويتضح مخرجها من مقابلتها بأصوات من مخارج أخرى، وتتضح باقى السمات المميزة لكل وحدة صوتية منها بالمقابلة مع الوحدات الأخرى، ومع أصوات أخرى قريبة منها تختلط بها :

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ث	:	ذ			
ثَمَّ	:	ذَمَّ	ثَرَّ	:	ذَرَّ
					ثَفَّ : ذَفَّ
ث	:	ظ			
ثَلَمَ	:	ظَلَمَ	ثَرَّ	:	ظَرَّ
					ثَغَّ : ظَغَّ
ث	:	ف			
ثُرْد	:	فُرْد	ثَرَّ	:	فَرَّ
					ثَاث : فَاث
ث	:	س			
ثَمَر	:	سَمَر	كَثَر	:	كَسَر
					ثَبَّ : سَبَّ
ث	:	ت			
ثَمَّ	:	تَمَّ	بَثَر	:	بَثَّ
					بَثَّ : تَثَّ

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للثاء هي :

١) الثاء صوت بين أسناني على عكس الفاء الشفوية والسين الأسنانية.

ط	:	ض
طَلَّ	:	ضَلَّ
حَظَرَ	:	حَضَرَ
غَبِظَ	:	غَيْضَ
ط	:	ط
طَفَّرَ	:	طَفَرَ
مَظْهَرَ	:	مَظْهَرَ
غَائِظَ	:	غَائِظَ

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للطاء هي :

- (١) انطاء صوت بين أسناني على عكس الطاء.
- (٢) انجهر فى انطاء ليس سمة فونولوجية لها، فليس هناك مقابل مهموس.
- (٣) انطاء صوت غير جانبي على عكس الضاد فهى صوت جانبي.
- (٤) انطاء صوت مطبق على عكس الذال فهى صوت غير مطبق.

جـ - يصم النظام الصوتي للغة العربية ثلاث وحدات صوتية أسنانية هي انطاء وانداد وانطاء، ويتضح مخرجها من مقابلتها بأصوات من محارج أخرى ويتضح تميز كل صوت منها بمقابته بالصوتين الآخرين فى المجموعة وبمقابله كذلك بصوت النون.

١) الوحدة الصوتية : التاء

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ت	:	د
تَرَبَّ	:	دَرَبَ
بَثَّرَ	:	بَدَرَ
بَات	:	بَاد
ت	:	ط
تَرَبَّ	:	طَرَبَ
فَثَّرَ	:	فَطَّرَ
شَثَّ	:	شَطَّ
ث	:	ث
تَمَّ	:	ثَمَّ
بَثَّرَ	:	بَثَّرَ
بَثَّ	:	بَثَّ
ت	:	ن

تابع : نابع أتاح : أتاح سكت : سكن

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للتاء هي :

(١) التاء صوت أسناني على عكس التاء فهي بين أسنانية.

(٢) التاء صوت مهموس على عكس الدال فهي صوت مجهور.

(٣) التاء صوت شديد، وهذه صفة تابعة لمخرجه.

(٤) التاء تنطق دون إطباق، ولم يكن عدم الإطباق سمة أساسية في نطقها قديماً، فقد

كانت اطاء في عصر سيويه هي المقابل المطبق للدال لا للطاء. ولكن نطقها اليوم

يجعل عدم الإطباق سمة حاسمة لها يفرقها عن الطاء في نطقها الحديث.

(٥) التاء صوت غير أنفي على العكس من النون.

(٢) الوحدة الصوتية : الدال :

أمثلة التقابل الفونولوجي :

د	:	ت			
دَرَبَ	:	تَرَبَ	يَدَرَ	:	بَتَرَ
د	:	ض			
درب	:	ضرب	أدواء	:	أضواء
د	:	ط			
درب	:	طرب	بدر	:	بطر
د	:	ن			
دفع	:	نفع	مدافع	:	منافع
د	:	ذ			
دم	:	ذم	بدر	:	بذر
د	:	ج			
درب	:	جرب	مدر	:	محرب
	:		برد	:	برج

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية المميزة للدال :

- ١) الدال صوت أسناني على عكس الدال بين الأسنان.
- ٢) الدال صوت مجهور على عكس التاء فهي صوت مهموس.
- ٣) الدال صوت غير مطبق، مقابلها المطبق هو (d) على النحو التالي:
أ - الطاء في عصر سيويه.
ب - الصاد في النطق المعاصر للعربية الفصحى في مصر والشام
٤) الدال صوت غير أنفي.
٥) تنطق الدال نطقا شديدا، وهذه صفة تابعة للمخرج.

٣) الوحدة الصوتية : الطاء

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ط	:	د			
طار	:	دار	بَطَرَ	:	بَدَرَ
ط	:	ض			
طامر	:	ضامر	مطبعة	:	مضبعة
ط	:	ظ			
ظفر	:	ظفر	مظهر	:	مظهر
	:		غائظ	:	غائظ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للطاء هي :

- ١) الطاء صوت أسناني عكس الطاء فهي صوت بين أسناني وعكس السين.
- ٢) الطاء في نطقها الذي وصفه سيويه صوت مجهور، وتنطق اليوم نطقا مهموسا، فلم تعد تقابل من هذا الجانب الدال بل هي مقابل للتاء.
- ٣) الطاء صوت شديد وهذه صفة تابعة للمخرج.

صِفَر : سِفَر نَصَل : نَسَل حَمَص : حَمَس
ص : ط
صَابِح : طَالِح رَصَانَة : رَطَانَة رَبَص : رِبَط
ص : ظ
صَرَف : ظَرَف انتصر : انتظر فصّ : فظّ
ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للصاد هي :

(١) الصاد صوت صفيّر على عكس الأصوات بين الأسنان مثل ظ والأسنانية مثل ط.

(٢) الصاد صوت مطبق على عكس السين.

(٣) ينطق هذا بصوت مهموسا، وليس لهذه السمة دلالة فونولوجية في النظام الصوتي العربية الفصحى، فلا يوجد له في الفصحى مقابل مجهور.

٣) الوحدة الصوتية : الزاى

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ز	:	س			
زهرة	:	سهره	حُزن	:	حُسن
ز	:	ص			
زف	:	صف	رَزين	:	رَصين
ز	:	ذ			
زل	:	ذل	أعزب	:	أعذب
ز	:	ظ			
عزيمة	:	عظيمة	عَزم	:	عَظْم
			لمز	:	لمظ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للزاى هي :

- (١) الزاى صوت صفيى على عكس الذاى فهى بين أسنانىة.
- (٢) الزاى صوت مجهور على عكس السىن فهى صوت مهموس.
- (٣) الراى صوت غير مطبق على عكس الصاى فهى صوت مطبق (مهموس) وعلى عكس الضاى فهى صوت مطبق مجهور.

هـ - يصف علماء الأصوات النون واللام والراء بأنها فى منزلة بين الصوامت والحركات، ومن ثم جعلناها مجموعة واحدة، ولتحدى السمات الفونولوجية المميزة لكل وحدة صوتية فيها نقابلها بالوحدتين الأخرى ثم مع أصوات أخرى قد تختلط بها:

(١) الوحدة الصوتية : اللام

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ل	:	ر			
لبنى	:	ربى	بلد	:	برد
ل	:	ن			
لقم	:	نقم	حالب	:	جانب
			حل	:	حن

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية المميزة للام هى :

- (١) اللام صوت غير أنفى على عكس النون.
- (٢) اللام صوت غير مكرر على عكس الراء المكررة.
- (٣) تنطق اللام جانبية وهذه السمة ليست فونولوجية مميزة، فلا يوحد صوت معادل غير جانبى، أما نطق اللام صوتا جانبيا فإنما يحدث تحسب نطقها راء اهتزازية مكررة.
- (٤) تنطق اللام مطبقة وغير مطبقة، وليس للإطباق هنا دلالة فونولوجية فى العربية الفصحى.

(١) النون صوت أنقى على عكس اللام.

(٢) النون صوت غير اهتزازى (غير مكرر) على عكس الراء.

(٣) النون صوت غير شفوى على عكس الميم فهى صوت شفوى.

(٤) للنون أكثر من مخرج، ولها عدد من الصور الصوتية المقيدة، والإظهار هـ هو انطق الواضح على عكس الإخفاء أى تحويل النون إلى غنة فى الحيشوم.

الوحدة الصوتية : الضاد

الضاد وحدها فى مجموعة، ولذا قابلناها بالظاء التى التقت بها فى اللهجات الحديثة، ومع اللام الجانبية مثلها، ومع الشين القريبة منها مخرجاً.

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ض	:	ظ			
ضَلَّ	:	ظَلَّ	حَضَرَ	:	حَظَرَ
ض	:	ل			
ضَغَطَ	:	لَفَطَ	قَضَبَ	:	قَلَبَ
ض	:	ش			
ضَائِقٌ	:	شَائِقٌ	نَاضِرٌ	:	نَاشِرٌ
			حَضَّ	:	حَشَّ

يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للضاد هى :

(١) الضاد صوت جانبي على العكس من الظاء بين الأسنان.

(٢) وصف النحاة للضاد ما زال موضع خلاف بين اللغويين المحدثين.

و - يعرف النظام الفونيمى للعربية وحدتين صوتيتين تنطقان من وسط الحنك، هما الجيم والشين:

١) الوحدة الصوتية : الجيم :

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ج	:	ش			
جمال	:	شمال	وُحُوم	:	وُشُوم
ج	:	د			
جَرَب	:	دَرَب	نَحَب	:	نَدَب
ج	:	ق			
نَجْد	:	نَقْد	جَلْد	:	قَلْد
			رائع	:	رائق

يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للجيم الفصيحة هي :

١) الجيم صوت مجهور على عكس الشين فهي صوت مهموس.

٢) مخرج الجيم مركب: لثوي حنكي على عكس الدال الأسنانية والقاف من أقصى اللهاة

٢) الوحدة الصوتية : الشين :

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ش	:	ج			
شمال	:	جمال	نَشَر	:	نَحَرَ
ش	:	س			
شَب	:	سَب	تَشْرَب	:	تَسْرَب
ش	:	ك			
شَامِل	:	كَامِل	رَاشِد	:	رَاكِد
			أُنْعَشَ	:	أُنْهَكَ

ويتضح من هذا أن الخصائص الفونولوجية المميزة للشين هي :

١) محرر الشين لثوي حنكي على عكس الكاف فهي من أقصى الحنك.

(٢) الشين صوت مهموس على عكس الجيم فهي صوت مجهور.

ز _ يعرف النظام الصوتي للغة العربية صوتين يخرجان من أقصى الحنك والنهاة، وهناك خلاف فى مخارج الصور الصوتية المختلفة لكلا الصوتين الكاف والقاف.

الوحدة الصوتية : الكاف

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ك	:	ق			
كَلْب	:	قَلْب	لَكَم	:	لَقَم
					شَوْك : شَوْق
ك	:	خ			
كَامِل	:	خَامِل	نَكَسَ	:	نَخَسَ
					سَلَك : سَلَخ
ك	:	ش			
كَامِل	:	شَامِل	رَكَدَ	:	رَشَدَ
					فَرَك : فَرَشَ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للكاف هي :

(١) مخرج الكاف من أقصى الحنك على عكس الشين فهي من وسط الحنك والنعاء فهي من أدنى الحلق، كما أنها ليست أسنانية أو صغيرية أو أنفية.

(٢) على الرغم من وجود فرق دقيق فى المخرج بين القاف والكاف - وصورها النطقية الحديثة كثيرة باختلاف المحيط الصوتي حولها - فإن التضاد الفونولوجي بينهما يكون باعتبار القاف مطبقة والكاف غير مطبقة.

(٣) تنطق الكاف عادة صوتاً مهموساً، وهناك حالات إجهار بتأثير بعض اللهجات غير أن الهمس أو الجهر هنا ليس صمة فونولوجية حاسمة.

٢) الوحدة الصوتية : القاف

أمثلة التقابل الفونولوجي

ق	:	ك			
قَلْب	:	كَلْب	نَقْل	:	نَكْل
ق	:	ح			
قَل	:	جَل	نَقْد	:	نَحْد
ق	:	غ			
قَالِب	:	غَالِب	وَقَى	:	وَعَى
			سَائِق	:	سَالِغ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للقاف هي :

١) مخرج القاف من اللهاة على عكس الفين من أدنى الحلق والحييم المركب الثوى الحنكى.

٢) وصف سيبويه يجعلها مجهورة وتنطق اليوم هكذا عند البدو ونطقها المجهور يجعلها جيما قاهرية، ولكن نطق المتخصصين فى العربية والمذيعين يجعلها صوتا مهموسا.

ح - هناك وحدتان صوتيتان فى العربية مخرجهما من أدنى الحلق، أحدهما انحاء والأخرى هي الفين.

١) الوحدة الصوتية الخاء :

أمثلة التقابل الفونولوجي :

خ	:	غ			
خَامِر	:	خَامِر	فَخَر	:	فَغَر
خ	:	ح			
خِمَار	:	حِمَار	نَحْل	:	أَفْرَاح

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للخاء هي :

(١) محرج الحاء من أدنى الحلق على عكس الحاء فهي صوت من وسط الحلق.

(٢) الخاء صوت مهموس على عكس الغين فهي صوت مجهور.

(٢) الوحدة الصوتية : الغين

أمثلة التقابل الفونولوجي :

غ	:	ع			
عَزَل	:	عَزَل	تَفَرَّغ	:	تَفَرَّغ
غ	:	خ			
عَامَر	:	عَامَر	فَغَر	:	فَغَر
غ	:	ق			
غَلَى	:	غَلَى	بَغَل	:	بَغَل

ط - يوجد في النظام الفونيمى للغة العربية صوتان يخرجان من وسط الحلق،

هما الحاء والعين:

(١) الوحدة الصوتية : الحاء

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ح	:	خ			
حَامِل	:	حَامِل	بَحْر	:	بَحْر
ح	:	ع			
حَامِل	:	حَامِل	بَغْر	:	بَغْر
ح	:	هـ			
حَرَم	:	حَرَم	فَحْم	:	فَحْم

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية المميزة للحاء هي :

(١) محرج الحاء من وسط الحلق على عكس الغاء من أدنى الحلق والهاء انتهى من المحجرة.

(٢) الحاء صوت مهموس على عكس العين فهي صوت مجهور.

(٣) ينطق هذا الصوت احتكاكيا.

٢) الوحدة الصوتية : العين

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ع	:	ح							
عَامِد	:	حَامِد	مَقْمَل	:	مَحْمَل	شَرَع	:	شَرَح	
ع	:	غ							
عَق	:	عَلَق	تَفَرَّع	:	تَفَرَّغ	عَرَض	:	غَرَض	
ع	:	همزة							
عَاهِل	:	أَهْل	سَعَل	:	سَالَ	شَاع	:	شَاء	

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للعين هي :

(١) منخرج العين من وسط الحلق على عكس الغين من أدنى الحلق والهمزة التي من المحجرة.

(٢) العين صوت مجهور على عكس الحاء فهي صوت مهموس.

(٣) تنطق العين نطقا رخوا، وهذه السمة ليست حاسمة من الناحية الفونولوجية في انظام الصوتي للعربية، فالصوت المشترك معها في المخرج الحاء رخو كذلك، ولا

يفترقان إلا في جهر العين وهمس الحاء.

الوحدات الصوتية الحنجرية :

(١) الوحدة الصوتية : الهاء

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ه : ء

هَجَرَ	:	أَجَرَ	سَاهَلَ	:	سَاءَلَ	شَاءَ	:	شَاءَ
هَرَمَ	:	حَرَمَ	سَهَّرَ	:	سَحَّرَ	شَبَّهَ	:	شَبَّعَ

ويُضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للهاء هي :

(١) هذا الصوت من الحنجرة على عكس الحاء فهي من وسط الحلق، ولكنه ليس من مخرج الهمزة أقصى المخارج.

(٢) ينطق صوت الهاء مهموساً، وليس لهذا دلالة فونولوجية فليس له مقابل مجهور.

(٣) توجد صور صوتية مطبقة وأخرى غير مطبقة للهاء، وهذا يختلف من لهجة لأخرى ويظهر أثر ذلك في نطق الفصحى، وهناك اختلافات فردية في نطق الهاء مفخمة أو غير مفخمة.

(٢) الوحدة الصوتية : الهمزة (المحققة)

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ه	:	ه	أَجَرَ	:	هَجَرَ	سَاءَلَ	:	سَاهَلَ	شَاءَ	:	شَاءَ
ع	:	ع	أَهَلَ	:	عَاهَلَ	سَأَلَ	:	سَعَّلَ	شَاءَ	:	شَاعَ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للهمزة هي :

(١) الهمزة صوت من الحنجرة على عكس العين فهي من الحلق.

(٢) الهمزة صوت شديد ليس له مقابل رخو.

(٣) الهمزة صوت محايد من ناحية الهمس والجر، الوتران الصوتيان في أثناء نطقها في وضع يمنعهما من الاهتزاز.

ك - يعرف النظام الصوتي للعربية كسرة عادية وكسرة طويلة يعبر عنها في الكتابة بما يطلق عليها "مد الياء" أو "الياء الممدودة".

١) الوحدة الصوتية الكسرة

أمثلة التقابل الفونولوجي :

الكسرة :	الفتحة :	الكسرة :	الضمة :
جَمَال :	جَمَال :	كَبِير :	كَبِير :

يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للكسرة هي :

١) الكسرة صوت أمامي على عكس الضمة فهي حركة خلفية.

٢) الكسرة صوت ضيق على عكس الفتحة فهي حركة مفتوحة.

٢) الوحدة الصوتية : الكسرة الطويلة :

أمثلة التقابل الفونولوجي :

الكسرة الطويلة :	الكسرة (القصيرة)	الكسرة الطويلة :	الفتحة الطويلة :
كُتَابِي :	كُتَاب :	قُومِي :	قُومَا :
قُولِي :	قُول :	قُولَا :	قُولَا :

الكسرة الطويلة : الضمة الطويلة : |

قُولِي : قُولُوا : |

اَكْبِي : اَكْبُوا : |

عَرِيْس : عَرُوس : |

رِيْح : رُوح : |

- يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للكسرة الطويلة هي :

١) صوت أمامي على عكس الضمة الطويلة فهي حركة خلفية.

-٧٧-

(٢) صوت ضيق على عكس الفتحة الطويلة فهي حركة مفتوحة.

(٣) حركة طويلة على عكس الكسرة القصيرة.

ر - يوجد في النظام الصوتي للغة العربية ضمة عادية وضمة طويلة، وقد أثرا هما التسمية الصوتية على تسمية الضمة الطويلة بالواو.

(١) الوحدة الصوتية : الضمة

أمثلة التقابل الفونولوجي

الضمة : الفتحة

جُمِلَ جَمَل

الضمة : الكسرة

جُلِمَ حُلِمَ

يُضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للضمة هي :

(١) اضممة حركة ضيقة على عكس الكسرة، وتنطق الضمة باستدارة في الشفتين.

(٢) الضمة حركة بخلفية على عكس الكسرة.

الوحدة الصوتية : الضمة الطويلة :

أمثلة التقابل الفونولوجي

اضمة الطويلة : الضمة القصيرة الضمة الطويلة : الفتحة بطويلة

مسلمو : مسلم قولوا : قولوا

الكسرة الطويلة : قولى

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للضمة هي :

(١) حركة ضيقة على عكس الفتحة الطويلة.

(٢) حركة خلفية على عكس الكسرة الطويلة.

(٣) حركة قصيرة على عكس الضمة القصيرة.

م - الفتحة والفتحة الطويلة حركتان مختلفتان كما لا كيفا

(١) الوحدة الصوتية : الفتحة

أمثلة اسقيل الفونولوجي :

الفتحة : الضمة : الفتحة : الكسرة

يذكر : يذكر : عالم : عالم

يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للفتحة هي :

(١) حركة مفتوحة عكس الضمة فهي حركة ضيقة.

(٢) مخارجها متغير بين صورتين أساسيتين :

أ - الفتحة بلا إمالة.

ب - الفتحة الممالة.

(٢) الوحدة الصوتية : الفتحة الطويلة :

أمثلة التقابل الفونولوجي :

الفتحة الطويلة : الفتحة القصيرة : الفتحة الطويلة : الضمة الطويلة

مطار : مطر : قولوا : قولوا

الضمه الطويلة : الكسرة الطويلة

قوموا : قومي

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية الحاسمة للفتحة الطويلة هي :

(١) حركة مفتوحة على عكس الضمة والكسرة

٢) يتغير مخرجها فلها صورتان.

أ - بدون إمالة.

ب - بالإمالة.

ثانياً : المقاطع والنبر والتنغيم :

كان البحث الصوتي في التراث العربي يركز على بحث الأصوات المفردة وتغيراتها، فأضاف البحث الصوتي الحديث معرفة بحقائق صوتية تتجاوز الأصوات المفردة إلى علاقاتها في بنية اللغة. ومن أهم هذه الحقائق وجود المقاطع والنبر والتنغيم.

إن الوحدات الصوتية في اللغة الواحدة يكون لها تابع تحدد البنية المقطعية، وهي بنية تختلف باختلاف اللغات، فاللغة الفرنسية - مثلاً - يمكن فيها أن تبدأ الكلمة بصامتين، وهذا ما نجد مثلاً في كلمة France، والبداية بصامتتين غير ممكن في العربية. وعندما دخلت هذه الكلمة اللغة العربية أضيفت حركة بين الصامت الأول والصامت الثاني، وهذه الإضافة هادفة إلى التغلب على مشكلة عدم البدء بصامتتين في العربية. فاللغة العربية تعرف عدة أنواع من المقاطع، وليس من بينها أن يبدأ المقطع بصامتتين.

توجد في اللغة الفصحى أنواع المقاطع الآتية :

١- أنواع الأول : صامت + حركة قصيرة، مثل : و ، ف. = مقطع قصير مفتوح

٢- أنواع الثاني : صامت + حركة طويلة، مثل : يا ، في. = مقطع طويل مفتوح

٣- النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت، مثل : بل، هل.

= مقطع طويل معلق

٤- النوع الرابع : صامت + حركة طويلة + صامت، مثل :

عاش، حَال (بسكون). = مقطع مغرق في الطول مغلق

٥- النوع الخامس : صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت، مثل : مَشَقْ (بسكون). = مقطع مغرق في الطول مغلق بصامتين

وتصنيف المقاطع السابقة يكون وفق معيارين :

١- طبيعة الصوت الأخير في المقطع، النوع الأول والنوع الثاني كلاهما مقطع مفتوح، على العكس من الثالث إلى الرابع والخامس فهي من نوع المقطع المغلق. المقطع المفتوح هو المقطع المنتهي بحركة، أما المغلق فهو المقطع المنتهي بصامت أو أكثر.

٢- طول المقطع، وعلى ذلك يكون النوع الأول مقطعاً قصيراً، وكل مقطع من النوعين الثاني والثالث طويلاً، ومن النوعين الرابع والخامس مغرقاً في الطول.

إنّ درجة ارتفاع الصوت تختلف عد النطق بين مقطع وآخر في الكلمة الواحدة أو ما يشبه الكلمة، ويطلق مصطلح النبر Stress على درجة ارتفاع الصوت. ولذا ففي الكلمة المكونة من مقطع واحد لا مجال للحديث عن مقطع منبور وآخر غير منبور، فالمقطع الواحد منبور دائماً. ولكن قواعد النبر تتناول - بالتفاصيل - الكلمة المكونة بنفسها وبما اتصل بها من أكثر من مقطع، كأن تكون على مقطعين أو ثلاثة أو أكثر. وهنا تكون قواعد النبر للكلمة مع ما يتصل بها.

وتوجد في نطق العربية الفصحى عدة قواعد للنبر، منها :

١- إذا توالى عدة مقاطع مفتوحة يكون الأول منها منبوراً، ففي كلمة كَتَبَ نجد ثلاثة مقاطع من النوع الأول، أولها منبور.

٢- إذا تضمنت الكلمة مقطعاً طويلاً واحداً، يكون النبر على هذا المقطع الطويل، فجد هذا في كلمة كِتَاب، حيث النبر على المقطع الثاني.

٣- إذا تكومت الكلمة من مقطعين طويلين، يكون النبر على أولهما، ففي كلمة كَتَبَ نجد مقطعين طويلين أولهما مفتوح والثاني مغلق، والنبر على المقطع الأول.

وهناك فروق واضحة بين اللهجات العربية في النبر تجعل السامع يحس بسرعة أن محدثه من أبناء لهجة أخرى.

وأخيراً فإن التنغيم Intonation من الحقائق الصوتية في اللغات المختلفة، واستيعام مرتبط بالارتفاع والانخفاض في نطق الكلام نتيجة لدرجة توتر وترين الصوتيين مما يؤدي إلى اختلاف الوقع السمعي. ومن هنا نجد كلمات كثيرة تعدد طرق تنغيمها لتؤدي وظائف دلالية مختلفة، فإذا كانت (نعم) للإجابة تختلف تنغيمها عنها للاستفسار. والتنغيم لا يقتصر على الكلمة الواحدة، بل يتجاوز إلى التركيب، فالتحية (سلام عليكم) لها تنغيم يختلف عن التنغيم في حالة الغضب.

ثالثاً : التغيرات الصوتية

١- التغيرات الصرفية

يطلق مصطلح التغيرات الصرفية الصوتية Morphophonemic Changes على التغيرات التي تطرأ على البنية الصرفية لاعتبارات صوتية. وذلك مثل فكرة تحويل المقطع المغروق في الطول من [صامت + حركة طويلة + صامت] إلى [مقطع طويل مغلق]. إن المقطع المغروق في الطول من النوع الرابع نادر في العربية الفصحى، وتعمل اللغة العربية إلى حصره كلها أوتيت إلى ذلك سبيلاً. ومن هذا الجانب نجد العربية الفصحى تختلف عن بعض اللهجات العربية التي تعرف المقطع المغروق في الطول على نحو أكثر شيوعاً. فعندما كان القاهري يقول أمراً : "بيع" فالفصحى "بِعْ"، وكذلك : "عيش" في مقابل الصيغة الفصيحة "عِشْ"، فالفرق بالمقارنة مع الصيغة العامية أن المصباح حوّل المقطع المغروق في الطول إلى مقطع طويل، وبذلك تحوّل الحركة الطويلة إلى حركة قصيرة.

٢- التغيرات الصوتية والمستويات اللغوية

التغيرات الصوتية تكون مطردة فى أصوات المستوى اللغوى الواحد بغض النظر عن السياق الصوتى للكلمة ومعنى هذا أنها تغيرات غير مشروطة بسياق معين، ونمى هى عامة فى المستوى اللغوى الواحد. ومن هذه التغيرات تلك القوانين التى توصف المقابلات الصوتية بين العربية الفصحى واللهجات العربية، ونوضح هذا بتناول الأصوات بين الأسنانية فى الفصحى وما يقابلها فى لهجة القاهرة. ودراسة هذه التغيرات عبر الزمن تدخل فى علم اللغة التاريخى. لقد أصبحت لهجة القاهرة لا تعرف الأصوات العربية التى تصنف فى مجموعة الأصوات بين الأسنانية، وهى أصوات الشاء والذال والظاء. تتفق هذه الأصوات العربية فى المخرج، فهذه الأصوات بين أسنانية، بمعنى أن مخرجها يكون بوضع ذلق اللسان بين الأسنان العليا والأسنان السفلى. وتختلف هذه الأصوات وفق معايير أخرى، فالثاء صوت مهموس والذال مجهورة، وهما غير مطبقتين على خلاف الظاء المطبقة.

الأصوات بين الأسنانية فى العربية

مجهور	مهموس	
ذ d	ث t	غير مطبق
ظ d		مطبق

تحولت مجموعة الأصوات بين الأسنانية المذكورة فى عدد من اللهجات العربية، منها لهجة القاهرة إلى مجموعة الأصوات الأسنانية. وينطبق هذه القانون على كل الألفاظ الأساسية فى اللهجة، فالعدد اثنان ينطق فى هذا اللهجات ثاء، وكلمة "تعلب" تنطق بالثاء أيضاً. وقد تحولت الظاء إلى ضاد، نجد هذا فى الكلمات "طِل" تحولت إلى "ضِل" و"ظُهر" وقد تحولت إلى "ضُهر". ويلاحظ فى هذا التحول أن كل صوت تحول إلى صوت آخر يتفق

معه فى الخصائص النطقية الأخرى، باستثناء المخرج. ويتضح هذا من الجدول التالى :

الأصوات الأسنانىة

مجهور	مهموس	
د d	ت t	غير مطبق
ض d	ط t	مطبق

وهكذا تحولت مجموعة الأصوات بين الأسنانىة الثاء والذال والظاء إلى مجموعة الأصوات الأسنانىة الثاء والذال والضاد على التوالى. تحولت اشاء إلى ثاء لاتفاقهما فى الهمس وعدم الإطباق، كما تحولت الذال إلى دال لاتفاقهما فى الجهر وعدم الإطباق، وتحولت الظاء إلى ضاد لاتفاقهما فى الجهر والإطباق. أما انطاء المذكورة فى الجدول فليست امتدادا لأى صوت بين أسنانى، فليس بها فى جدول الأصوات بين الأسنانىة مقابل.

يرتبط أى تغير صوتى بمستوى لغوى بعينه، فالتغير الصوتى يتم كاملا فى كل كلمات المستوى اللغوى الذى حدث فيه التغير، فإذا دخلت بعد حدوث التغير كلمات جديدة إلى ذلك المستوى عوملت معاملة جديدة. من ثم يلتقى فى اللهجة الواحدة مستويان أو أكثر. ويرجع كل مستوى منها إلى تغير تاريخى معين أو إلى مرحلة تاريخية محددة. فالكلمات الهابطة فى مرحلة تالية من الفصحى إلى اللهجة تحتفظ بظواهرها الصوتية وتخضع لتغيرات صوتية تخالف الألفاظ الأساسية فى اللهجة. فعلى الرغم من وجود التغير الصوتى الخاص بتحول الثاء إلى تاء فى لهجة القاهرة، لا أحد يقول "اثرة" بالثناء بل تنطق هذه الكلمة فى تلك اللهجة كما لو كانت بالمسین أو بالصاد. وكذلك كلمة "الثرة" وكلمة "ثانية" بمعنى ٦٠/١ من الدقيقة. فهذه الكلمات ليست من الألفاظ الأساسية فى اللهجة القاهرىة، ولذا لم يسر عليها قانون

تحول الثاء إلى تاء. وهذه الكلمات هابطة فى مرحلة حديثة من المستوى الفصحى إلى المستوى العامى، وفى وقت لم تكن اللهجة المحلية تعرف الأصوات بين الأسانية ومن ثم لم تحتفظ هذه الكلمات بالثاء وإنما حلت محلها السين فى محاولة غير كاملة لمحاكاة الفصحى، ولكن هذه المحاكاة غير الكاملة تتخذ أيضاً شكل النظام المتكامل إذ حلت مجموعة الأصوات الصغيرة أو أصوات الصغير وهى السين والزى مع صوت ليس له فى الفصحى مقابل هو الزى المطبقة، محل الثاء والذال والطاء على التوالى.

وهكذا توضح القوانين الصوتية تنوع المصادر التى زودت اللهجة الواحدة بمفرداتها، فالألفاظ الأساسية تخضع لقوانين، والألفاظ الهابطة من الفصحى وكذلك الألفاظ الدخيلة من لغات أخرى تخضع لقوانينها الصوتية الخاصة بها.

٣- التغيرات الصوتية السياقية

هى تغيرات صوتية مشروطة وليست بتغيرات تاريخية، بل هى هى تغيرات تحددها طبيعة الأصوات المحيطة بالصوت موضع التغير. ومن أهم هذه التغيرات.

(١) المماثلة

لاحظ سيبويه أن بناء وزن افتعل من الفعل ضرب ليس: *اضرب، كما هو القياس، بل "اضطرب"، وكذلك وزن افتعل من المادة "صبر" ليس: *اصتبر، كما هو القياس، بل: اصطر. وقد فسر سيبويه هذه الظاهرة تفسيراً يستقيم فى مجموعة مع البحث اللغوى الحديث. وإذا نظرنا فى العناصر الحاسمة فى هذا التغير لاحظنا أن الضاد والصاد وكذلك الطاء من أصوات الأطباق. تشترك الطاء مع الثاء فى كل خصائصها النطقية، إلا أن الثاء غير مطبقة والطاء مطبقة، فالتحول الذى حدث يتلخص الصيغة التالية:

(ص + ت) ← (ص + ط)

(ض + ت) ← (ض + ط)

(مطبق + غير مطبق) — (مطبق + مطبق).

ويمكن بيان عدد من التغيرات الصوتية فى بنية الكلمة بصيغة مماثلة،
ممتلا كلمة "ازدهر" هى وزن افعل من المادة "زهر" وما حدث يمكن
إيضاحه بحث خصائص الزاى والذال والتاء من ناحية اهمس والجهر.
فالسمة الحاسمة هنا أن الزاى صوت مجهور، أى أن الوترين الصوتيين يهتز
بشدة عند النطق به. أما التاء التى كنا نتوقعها فى وزن افعل من المادة "زهر"
ليكون الفعل "ازتهر" فهى صوت مهموس، أى لا يوتر الوتران الصوتيان عند
نطقها. وما حدث يتلخص فى أن توتر الوترين الصوتيين فى نطق الزاى استمر
بعد المدة الواجبة جدا التى ينطق فيها صوت الزاى، فأعضاء النطق عند
الإنسان دقيقة، ولكن لدقتها حدودا. لقد استمر توتر الوترين الصوتيين عند
النطق بما كان يظن أنه سيخرج تاء، وهنا نطقت الذال. وبعبارة أخرى إذا
إضفنا إلى التاء بكل خصائصها الصوتية توترا فى الوترين الصوتيين نطقنا ذالا،
فالتاء صوت لا يختلف عن الذال إلا من هذا الجانب. ويمكن تخصيص هذا
التغير فى الصيغة التالية :

(ز + ت) — (ز + د)

(مجهور + مهموس) — (مجهور + مجهور)

وهكذا يمكن تفسير أبنية (افعل) من الأفعال التى تبدأ بصوت مطبق
أوبصوت مجهور وفق الصيغتين المذكورتين، كلتا هما تدخل فى إطار
المماثلة، وذلك لأن الصوتين الناتجين أقرب إلى بعضهما من الصوتين المسبقين
على التغير.

توصف المماثلة بين الحركات بأنها التوافق الحركى Vocalic
Harmony ومعناه أن حركات المقاطع المتابعة تتماثل بشكل ما، وتعد

ظاهرة انوافق الحركى من السمات الأساسية لبنية عدد كبير من اللغات، منها اللغة التركية. واللغة التركية لغة إلصاقية تظهر وحدتها الصرفية على شكل لواصق تنحرف وفق نظام خاص بالكلمة الأساسية، ولذا تتخذ اللاحقة الواحدة عدة أشكال. محرف الجر (إلى) فى اللغة العربية يؤدي فى اللغة التركية عن طريق لائحة، هى عبارة عن وحدة صرفية مقيدة. ويتضح هذا فى اللغة التركية من مثال اللاحقة الدالة على معنى (إلى)، فهى إما (e) مثل eve إلى المنزل، أو (a) مثل ormana إلى الغابة، فالحركة الأساسية فى الكلمة حددت الصورة المناسبة لها فى اللاحقة:

$$1- \text{eve} + e = \text{eve}$$

$$2- \text{orman} + a = \text{ormana}$$

(ب) المغايرة

المغايرة نقيض المماثلة، تؤدي المغايرة إلى أن تصبح الأصوات المكونة مختلفة بعد أن كانت متفقة أو متقاربة.

وتتضح المغايرة من الأمثلة الآتية :

ن ن ← ل ن	- عنوان — علوان
ل ل ← ل ن	- لعل — لعن
ر ر ← ر ن	(كرسار Corsar) — قد صان

وكل هذه الأمثلة توضح أن الصوتين الناتجين متباعداً عن الصوتين الموجودين فى الكلمة الأساسية، ولذا فالتغير الحادث مغايرة.

(ج) القلب المكانى :

القلب المكس طاهرة صوتية تعنى تبادل صوتين لمكانيهما، بأن حل كل منهما محل الآخر

وهناك ثنائيات كلمات مألوفة لنا في اللهجة المصرية تعطى أمثلة للقلب المكاني
مها: أرانب ← أنارب، ملاعق ← معالق، مسرح ← مرسع.
وهناك أمثلة للقلب في التراث العربي، ولكن واقع الحياة اليومية يعطى
أمثلة أكثر.

الفصل السادس

بناء الكلمة

تتكون كل لغة من اللغات من عدد محدود من الوحدات الصوتية، وتعبر اللغة بهذا العدد المحدود من الوحدات الصوتية عن الجوانب المتنوعة من الحياة والفكر، والبنية المعوية لا تتكون من الوحدات الصوتية مفردة، بل تتألف اللغة من الوحدات الصوتية مركبة في أبنية مختلفة. فالصوامت (ك+ت+ب) يمكن أن تتخذ عدة ترتيبات، وهى (ك ت ب، ك ب ت، ب ت ك، ت ك ب، ب ك ت، ت ب ك). وقد أفادت اللغة العربية من عدد من هذه الترتيبات المتاحة، وعندما بحث الخليل بن أحمد فى القرن الثانى الهجرى أصوات اللغة العربية، وحدد المواد اللغوية الممكنة - نظرياً - لاحظ أن كثيراً منها ليس له استخدام فى الواقع اللغوى العربى، فأطلق عليه مصطلح "المهمل". أما المواد اللغوية الموجودة - فعلاً - فكانت عنده تمثل "المستعمل". إن المادة اللغوية الواحدة - مثل (ك ت ب) - ليس لها وجود مباشر، فليست هناك كلمة واحدة فى العربية تتألف من هذه الصوامت وحدها دون إضافات. فالفعل (كتب) يتكون من تتابع الكاف والفتحة والتاء والفتحة والباء والفتحة. وبقية كلمات هذه المادة تتكون بإضافات إلى صوامتها. وهذه الإضافات تكون فى مواقع مختلفة من الكلمة، كأن تكون فى البداية وتسمى السوابق Prefixes، أو فى الوسط وتسمى الدواخل Infixes، أو فى الآخر وتسمى اللواحق Suffixes. وقد تتكون أبنية صرفية بأكثر من إضافة كما نجد فى كلمتى : مكتوب، وكتابة. ومجال البحث فى الصرف أو بناء الكلمة هو دراسة الوسائل التى تتخذها كل لغة من اللغات لتكون الكلمات من الوحدات الصرفية المتاحة فى تلك اللغة.

أولاً : الوحدات الصرفية :

المصطلح الأساسى فى التحليل الصرفى الحديث هو مصطلح المورفيم Morpheme أى الوحدة الصرفية. إن الباحث اللغوى يحاول تقسيم اسلسلة الكلامية إلى عناصرها المكونة ثم يصف هذه العناصر، كانت المرحلة الأولى فى هذا التقسيم على مستوى التحليل الصوتى، وبذلك أمكن تعرف الوحدات الصوتية المكونة للسلسلة الكلامية. والمرحلة التالية فى التقسيم تهدف إلى تعرف الوحدات الصرفية. وهناك تعريفات كثيرة للمورفيم عد مدارس البحث اللغوى الحديث، غير أنها تتفق فى أنها تعد الوحدة الصرفية أصغر وحدة فى بنية الكلمة تحمل معنى أو لها وظيفة نحوية فى بنية الكلمة.

نقد عرف اللغوى بلومفيلد المورفيم بأنه "صيغة لغوية لا تحمل أى شبه جزئى فى التابع الصوتى والمحتوى الدلالى مع أية صيغة أخرى". ومعنى هذا الباحث فى تقسيمه للسلسلة الكلامية يقسم الكلمة إلى أجزائها الحاملة للمعنى أو للوظيفة النحوية، وهذه الأجزاء الحاملة للمعنى أو للوظيفة النحوية لا يمكن تقسيمها إلى أجزاء أصغر منها ذات معنى أو وظيفة نحوية. وحتى نوضح رأى بلومفيلد فى الفونيم يمكن النظر فى الكلمات الانجليزية :

read, reads, reading, sing, sings, singing

لنلاحظ العلاقة بين الكلمات الثلاث الأولى فى وجود read وبين الكلمات الثلاث الأخرى فى وجود sing ، ثم نجد بعد هذا أن كلمتى sings, reads تنتهيان بهية صوتية واحدة لأداء الوظيفة النحوية نفسها، وبالمثل نجد كلمتى singing, reading تنتهيان نهاية واحدة ing لأداء الوظيفة النحوية نفسها. ومعنى هذا أن اللغة الإنجليزية تعرف هذه العناصر الصغيرة باعتبارها حاملة للوظائف النحوية، وهى المورفيمات أو الوحدات الصرفية. والوحدات الصرفية هى أصغر وحدات حاملة لمعنى، فإذا حاولنا أن نقسم ing إلى عناصرها المكونة لما عرف لكل وحدة صوتية من وحداتها المكونة أى معنى نحوى فى إطار بنية اللغة الإنجليزية.

إن التقسيم المباشر على النحو السابق مناسبة بشكل واضح عندما يكون الباحث يصدد تحليل اللغات الإلصاقية **Agglutinative Languages**، وهي كثيرة في العالم المعاصر. فإدنا نظرياً في المثال التركي **Evidir** (ويعنى : هو في المنزل) أمكننا بالطريقة السابقة أن نتعرف الوحدات الصرفية الآتية : **ev** بمعنى منزل، **de** هي لاحقة المكايمة، **dir** هي اللاحقة الخاصة بالوجود. ولكن التقسيم المباشر متعذر بهذه الطريقة في اللغات المعربة **Inflectional Languages**، ولهذا ظهرت فكرة الوحدات الصرفية والصور الصرفية.

إن إمكان وجود الوحدات الصرفية على نحو غير مباشر، في حين تظهر لنا صورها الصرفية على نحو مباشر - تعد من الحقائق التي تنطلق منها نظريات حديثة في التحليل الصرفي. ويكفي لإيضاح هذا أن نقارن نهاية الجمع في الإنجليزية في الأمثلة الآتية لنجد نهايات مختلفة لأداء الوظيفة النحوية الخاصة بالدلالة على جمع الاسم: **glasses(iz), pens (z) , books (s)**

أما المعنى الذي تحمله هذه النهايات فهو معنى الجمع، ويمكن تعريف النوع الصوتي لهذه النهايات بمقارنة الكلمات المذكورة بصيغها في المفرد. إن هذه النهايات المختلفة تدور في إطار واحد من الناحية الصوتية، فالفرق بين **(s)** و **(z)** أن الصوت الأول مهموس والثاني مجهور، وكأننا بهذا قد فسرنا بالحوار الصوتي تعدد هذه النهايات. توزيع هذه النهايات على النحو التالي : بعد مجموعات الأصوات المعروفة باسم الأصوات السينية **sibilants** مثل **(s), (sh)** والأصوات المركبة الاحتكاكية مثل **(ch)** تأتي في الجمع النهاية **(iz)**. هذه صورة صرفية أي الومورف. وثمة صورة صرفية أخرى تكون بعد بقية الأصوات المجهورة، وهنا تكون النهاية **(z)**، والصورة الصرفية الثالثة تكون بعد بقية الأصوات المهموسة تأتي النهاية **(s)**. والنهايات الأخيرة تنتمي إليها درجة من المماثلة، فإلى حوار الصوت المهموس جاءت النهاية **(s)**، وإلى حوار الصوت المجهور جاءت النهاية **(z)**، ولكن كل هذه النهايات المختلفة

والتي يمكن تفسير اختلافها صوتياً تؤدي وظيفة واحدة في بنية الانحليزية، وعلى هذا فهي صور صرفية مختلفة لوحدة صرفية واحدة. الصور الصرفية *allomorphes* لها وجود مباشر منطوق مسموع، أما الوحدة الصرفية الجامعة لها فلا شك أنها موجودة، ولكن وجودها غير مباشر.

ويمكن إيضاح الفكرة نفسها بمثال عربي، فالفرق بين (ضرب) و(اضطرب) من ناحية البنية الصرفية هو الفرق بين (قرب) و(اقترب). التغير ليس واحداً من الناحية الصوتية، على الرغم من اتحاد الوظيفة في بنية اللغة، ومعنى هذا أن التاء تأتي هنا في حوار صوتي بعينه والطاء في حوار صوتي آخر. وشبيه بهذا أمر التاء والذال في (قرب) و(اقترب) من جانب، و(زهر) و(وازدهر) من الجانب الآخر، فالتاء في حوار بعينه والذال في حوار صوتي آخر. ومعنى هذا أن (التاء) و(الذال)، (الطاء) في هذه البنية، ويؤدي هذا إلى القول بوجود ثلاث صور صرفية لوحدة صرفية واحدة.

هناك عدة اتجاهات في تصنيف الوحدات الصرفية، منها التصنيف الشكلي إلى وحدات صرفية حرة *free morphemes* ووحدات صرفية مقيدة *bound morphemes*. والفرق بينهما أن الوحدات الصرفية الحرة يمكن أن توجد مستقلة أي منفصلة على عكس الوحدات الصرفية المقيدة التي لا توجد إلا مرتبطة أي متصلة. ومثال هذا في العربية الضمائر، فيها المنفصل وفيها المتصل. الضمائر المنفصلة وحدات صرفية حرة، والضمائر المتصلة وحدات صرفية مقيدة. ويمكن أن نجد في الكلمة الواحدة وحدات صرفية حرة وأخرى مقيدة فكلمة (مصريون، مصريين) تتكون من وحدة صرفية حرة (مصر)، ثم وحدة صرفية مقيدة مكونة من الكسرة والباء المشددة (iyy) ولها وظيفة صرفية وهي تكوين صيغة النسب، ثم تأتي بعد ذلك وحدة مقيدة أخرى هي الضمة الطويلة في الحالة الأولى والكسرة الطويلة في الحالة الثانية، وكل وحدة صرفية منهما وظيفة إعرابية للدلالة على الرفع أو على النصب والجذر، وبعد هذا كله تنتهي الكلمتان بوحدة صرفية مقيدة (na) تشير إلى كون الكلمة غير مضافة. ومن

هذا كله نخرج بأن في الكلمتين المذكورتين وحدة صرفية حرة واحدة، وعدة وحدات صرفية مقيدة. بها وظائف النسب، والجمع المرفوع، أو الجمع المنصوب والحرور، وحالة عدم الإضافة. وتقسيم سلاسل كلامية مختلفة ومتنوعة في اللغة العربية من شأنه أن يعطى نية الوحدات الصرفية في العربية وتوزيعها، أى مواضع استخدامها، من الجانب الآخر. فالوحدات الصرفية في كل لغة من اللغات تتخذ مواقع خاصة بها.

وثمة تصنيف آخر للوحدات الصرفية قد يكون أقرب إلى طبيعة الأوزان في العربية، وهو تقسيم الوحدات الصرفية إلى تنابعية وغير تنابعية. الوحدات الصرفية التنابعية Sequential morphemes. هي الوحدات الصرفية التي تكون مكوناتها الصوتية من الصوامت والحركات متتابعة دون فصل يفصل بين هذه المكوسات، وهذا النوع ما نجده في الضمائر المتصلة بالفعل، وكذلك في الوحدات الصرفية المقيدة في المثال العربي السابق وكذلك في المثال التركي المذكور. وأيضاً في المثال الإنجليزي السابق. أما الوحدات الصرفية غير التنابعية non — sequential morphemes فهي الوحدات الصرفية التي تأتي مكوناتها الصوتية من الصوامت والحركات متتابعة على نحو غير متصل، ومعنى هذا أن الوحدات الصوتية المكونة لها تتخللها وحدات صوتية لوحدة صرفية أخرى. مثال هذا كل ما يتعلق بالأوزان في العربية، فكلمة (كاتب) تتكون من وحدتين صرفيتين غير تنابعتين، تتكون الأولى من الحروف الأصول (ك+ت+ب) وهي وحدة صرفية غير تنابعية لأن هذه الصوامت بدون حركات لا تكون تنابعاً متصلاً في أية كلمة عربية، وتتكون الوحدة الصرفية غير التنابعية الثانية من فتحة طويلة + كسرة. وهي كذلك وحدة صرفية غير تنابعية لأن أصواتها لا تكون تنابعاً متصلاً في أية كلمة عربية. وبذلك تعد الحروف الأصول في البنية الصوتية لعربية والبعات السامية الأخرى وحدات صرفية غير تنابعية، وتعد الأوزان في هذه اللغات أيضاً وحدات صرفية غير تنابعية أيضاً.

من الحقائق التي أبرزها علم اللغة الحديث أن لكل لغة ولكل لهجة مصها
 احصاص بها، وتختلف اللغات في بنية مفرداتها وقابليتها للتغير الداخلي والتغير الإعرابي
 اختلاف بينا. كل لغة وكل لهجة تعرف الكلمات، لكن أنماط هذه الكلمات تحتف
 من لغة لأخرى ومن لهجة لأخرى، وهنا يهتم علم اللغة الحديث بدراسة الأنماط التي
 تتخذها كل لغة لمفرداتها دون أن ينظر إليها بمعيار الحسن أو القبح، بل يحاول
 تحديد وسائل بناء الكلمة في كل لغة هادفا إلى تقرير الحقائق دون قدح أو مدح. وإذا
 كان بعض اللغويين قد لاحظ وجود التغير الإعرابي في العربية الفصحى وعدم وجود
 أكثر ظواهره في اللهجات العربية وظن وجود التغير الإعرابي فضلا يجعل الفصحى
 مكانة فوق اللهجات، فالواقع أن مستويات الاستخدام اللغوي لا تستمد مكانتها من
 البنية بل من استخدامها ومكانة المتعاملين بها ومستويات التعامل بها ومجالات
 استخدامها، ولا دخل في هذا لوجود الأعراب في لغة ما أو عدم وجوده في لغة
 أخرى. لا فضل لاسم على فعل، ولا لفعل على اسم، ولا لإعراب على بناء، ولا بناء
 على إعراب، وكل هذه تصنيفات عرفتتها العربية ولغات أخرى، وتخو منها لغات
 كثيرة، فكل لغة نمطها الخاص في الوحدات الصرفية وتوزيعها ووسائلها المتعددة لبناء
 المفردات، ويمكننا أن نوضح فكرة النمط الصرفي واختلافه بين اللغات وتنوعه بمثال
 بسيط من لغة تختلف بنيتها عن اللغات السامية واللغات الأوربية التي يعرفها كثير من
 القراء، فاللغة السواحلية على الرغم من كون اسمها مشتقا من كلمة عربية ومع كثرة
 عدد الألفاظ الدخيلة فيها من اللغة العربية، هي لغة من لغات البانتو التي تحتف في
 خصائصها عن اللغات السامية واللغات الأوربية من جوانب كثيرة، تصنف اللغة
 السواحلية الأسماء طبقا لنظام السوابق، فيها مثلا مجموعة تبدأ في المفرد بالصوت m
 في المفرد وفي الجمع بالمقطع wa، فوجود هذه الميم في أول الاسم المدرج في
 هذه المجموعة دليل على كونه مفرداً، ووجود المقطع wa علامة على كونه جمعا،
 وعلى هذا فكلمة mtoto تعنى طفلا، وكلمة watoto تعنى أطفالا، وهنا نلاحظ أن

الأصل toto هو مجرد صيغة ذهنية مفترضة ليس لها وحدها وجود مباشر، أما الصيغ الحقيقية المدركة فنظهر من هذا الأصل مصحوبة دائما بالسابقة الدالة.

وسطر في مجموعة أخرى من الأسماء في اللغة السواحلية أيضاً، فيها أسماء تبدأ في المفرد بالمقطع ki وفي الجمع بالمقطع vi، فوجود ki في أول اسم منها دليل على كونه للمفرد، وعلى هذا فكلمة kitu تعني بالعربية "شيئاً"، وأما أشياء فهي vi-tu، وبغنى ن نتوقف قليلاً عند الأمثلة السابقة لنوضح فكرة "الوحدة الصرفية" أو المورفيم. فعندما نستبدل بالسابقة m السابقة wa في المثال الأول، أو بالسابقة ki المقطع vi في المثال الثاني نكون قد عبرنا عن دلالة جديدة هي الجمع، وبهذا يصبح إحلال علامة محل أخرى تعبيراً للمعنى بوسيلة صرفية، وهنا نتحدث عن السواحلية قائلين أن ki, wa, m مورفيمات أو وحدات صرفية.

وننظر بعد هذا في العربية لنلاحظ مثلاً وجود وحدات صرفية تدل على التعريف والتكثير، فإذا قلنا "الولد" كما قد دللنا على التعريف السابقة "ال" وعلى التكثير بنون التثنية، قد يتصور بعضنا أن تصنيف الأسماء إلى نكرة ومعرفة يعكس فسمة عقلية لا تستقيم أمور اللغة الإنسانية بدونها، وفي هذا نظر، فهناك لغات كثيرة لا تعرف تمييزاً بين نكرة ومعرفة، منها مثلاً اللغة التركية، فكلمة ev تعني المنزل أو منزل دون دليل فيها على تكثير أو تعريف. وقد يجد أحدنا من المنطق أن تكون للتعريف في اللغة ابواباً واحدة واحدة هي مثلاً "ال" في العربية و the في الإنجليزية. ولكن ننظر مثلاً في اللغة الألمانية لنجد وحدات متعددة تدل على التعريف أو على التكثير، فالتعريف يظهر في الرفع بإحدى الأدوات التالية der للمذكر، das للمحايد، die للمؤنث، و كل هذه الأدوات في حالة الرفع، ولو شئنا الجدول كاملاً لذكرنا أدوات أخرى للمنصوب ومجموعة ثالثة للمجرور بحرف ومجموعة رابعة للمجرور بالإضافة، وليس في هذا دليل سمو أو ضعة. فعلم اللغة يقرر الحقائق لموضوعية ودون أحكام تقويمية، ولا شك أن تنوع أدوات التعريف والتكثير في

الأممية يسبب ضيقاً شديداً لمن استقر في ذهنه النمط العربي لأداة التعريف العربية، فهي واحدة لا تتغير بغض النظر عن كون الاسم مذكراً أم مؤنثاً، مفرداً أم مثنى أم جمعاً، مرفوعاً أم منصوباً أم محروراً، وهذا فرق بين نمطين متغايرين للفتين مختلفتين.

وتختلف اللغات في التغير الأعرابي إيجاباً وسلباً، فهناك لغات كثيرة تفرق بين ثلاث حالات مثل العربية والأكادية في العراق القديم، وقد أطلق النحاة على هذه الحالات الثلاث اسم المرفوع والمنصوب والمحرور، وهناك لغات تفرق بين أربع حالات إعرابية مثل الألمانية، وقد أطلق النحاة على هذه الحالات أسماء مختلفة تقابل في العربية: الرفع *Nominativ*، والنصب *Akkusativ*، والجر *Dativ*، بالإضافة *Genetiv*. وتحفظ هنا في الترجمة إذ إن النصب في الألمانية لا يقابل دائماً النصب في العربية، ويمكن مثلاً أن نسمي هذه الحالات: الحالة الأولى، الحالة الثانية، الحالة الثالثة، الحالة الرابعة، فتجنب بذلك إيهاءات غير دقيقة. وهناك لغات تعرف حالات أكثر تنوعاً، فالتركية مثلاً تعرف الحالة المكانية *Lokativ* وتعرب عما نعبر عنه في العربية بالجار والمحرور، فمثلاً *ev* معناه منزل، *evde* تعني (في المنزل). فهل نقول بأن هذا النمط يفضل ذلك النمط أم العكس؟ واللغة الانجليزية لا تعرف تمييزاً بين حالات إعرابية، ولو جاز لنا أن نخلع سمات من النمط العربي على الانجليزية لقلنا بأن الانجليزية لا تعرف نصبا ولا رفعا ولا جراً. وفي اللهجات العربية الحديثة نجد حالة النصب في تعبيرات بعينها، مثل دائماً، شكراً، أهلاً، ولا نجد بعد هذه العبارات تمييزاً في المفرد بين المرفوع والمحرور، وأما في الجمع المذكور فقد استقر الأمر بضياع التمييز بين المرفوع والمنصوب والمحرور.

ثانياً: الأصول اللغوية بين الثنائية والثلاثية :

كان نحاة القرن الثاني الهجري أقدم من حاول تصنيف أبنية المفردات في اللغة العربية وبحث أصولها وتحديد أوزانها. وفي كتاب سيبويه - وهو أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي - جهد كبير في بحث الأنماط الصرفية، وفيه نجد فكرة الميزان

انصرفى الذى كان مفتاح فهم طبيعة بنية الكلمة لا فى العربية فحسب بل فى سمات السامية الأخرى أيضاً.

وتقول هذه الفكرة بوجود حروف أصول وحروف زوائد، الحروف الأصول يرمز لها فى الميزان الصرفى بحروف الفاء والعين واللام، وحرف الزيادة هو ما يأتى بالإضافة إلى الحروف الأصول. فإذا قارنا بين الكلمات "كتب وكتب ويكتب ومكتوب وكتابة ومكتب ومكاتب" لاحظنا ارتباط فكرة ما بالكاف والتاء والباء بهذا الترتيب. وكى نوضح هذا نقول: أن المادة "كتب" ليس لها وجود مباشر فى الواقع اللغوى، ولا بد من وضع حركات بين الكاف والتاء، وبين التاء والباء كي نحصل على صيغة الفعل الماضى، ولو تصورنا أن الأصل هو هذه الصيغة كاملة بصوامتها وحركاتها لكن فى وهم، المشترك فى هذه الكلمات تلك الحروف الأصول، كما يقول النحاة، وهى الكاف والتاء والباء على ذلك النحو التحريدى الذى ليس له وجود مباشر.

قل أكثر النحاة العرب بثلاثية الأصول، ورمزوا لهذه الأصول الثلاثة بالفاء والعين واللام، ويرمز إلى ما قل أو زاد عن ذلك فى وزن الكلمة، فكلمة "كتب"، يوزن فاعل، وكذلك قائل، خالتي، ماهر. عرفنا هذا بالمقابلة بين مفردات كثيرة بها الكاف والتاء والباء، وزدنا بين الفاء والعين فتحة طويلة وبين العين واللام كسرة، وهكذا حددنا هذا الوزن، أما كلمة: مُرٌ وكلمة: عِدٌ وكلمة: يِعٌ وكلمة: قُلٌ فأوزانها على التوالى، عُلٌ، عِلٌ، فُلٌ، قُلٌ، وذلك باعتبار أن فاء الفعل أو عين الفعل قد سقطت وهو ما عرفناه كذلك بالمقابلة بين كلمات من المادة نفسها، مثل "أمر ويأمر وأمر.... الخ". هذا هو منهج النحاة العرب فى تحديد الحروف الأصول ومقابلة الزيادة والنقص فى الميزان الصرفى.

وعندما بدأ البحث المقارن فى اللغات السامية زاد مجال المقابلة، فاتضحت أشياء خالفت فى بعض الحالات رأى الشائع عند جمهرة النحاة العرب، ولسطر معا فى بحث اللغوى العربى الرائد الخليل بن أحمد الذى كان صاحب فكرة الميزان

صرفى فى العربية مقارنين نظرتة بجهد علماء المقارنات فى أمثلة عبيها. فقد لاحظ احبيل أنه قد جاءت أسماء لفظها على حرفين وتامها على ثلاثة أحرف، مثل : 'يد، دم وهم'. فالحليل يتجاوز الثنائية التى تبدو فى هذه الكلمات ليحاول بدراسة الكلمات المعروفة من المواد نفسها تحديد حروفها الأصول، ومهجه واضح فى هذا فهو يقول : 'إذا أردت معرفتها فاطلبها فى الجمع والتصغير' وهنا نلاحظ مثل أن كلمة يدُ وردت إياها فى كلمات أخرى مثل أيديهم، ويديّه (بتشديد الياء ندية وفحجها). وما يلاحظ احبيل أن هذه الكلمة لا بد أن أصولها ثلاثية، وأنها تكونت فى الأصل من الياء وادل والياء، فهى على هذا ثلاثية الأصول وما يبدو منها فى كلمة 'يد' ليس كل الأصول بل يظهر حرفان أصليان من ثلاثة. وشبه بهذا ما فعله الخليل بن أحمد فى دراسته لكلمة "دم"، فقد لاحظ وجود صيغ من هذه المادة وبها أصوات ثلاثة بدت به هى الحروف الأصول، ودرس الخليل كذلك "فم"، ولاحظ التشية : "فوان" واجمع : 'أفواه'، فاستقر لديه أن الأصل هنا ثلاثى مكون من الحروف ف م و.

غير أن البحث اللغوى المقارن فى القرن التاسع عشر انطلق من مادة أكثر فأدى بنا إلى نتائج مغايرة، لقد قارن اللغويون اللغات السامية والمختلفة، ومنها العربية والعربية الجنوبية والحشية والعبرية والفينيقية والأرامية والأكادية بحثا عن الشكل الأقدم الذى خرجت منه هذه اللغات، فانتهى البحث بهم إلى أن اللغات السامية تعرف الأصل للاثى أساسا لأكثر المفردات، ولكن عددا منها قد تكون عن أصل ثائى، وقد أرتز بوندكه فى دراسة له عن الأسماء الثائية فى اللغات السامية أن أسماء مثل : "ويد ، وده، أم من هذه الثنائيات المفرقة فى القدم، وأن تلك الصيغ التى تبدو من هذه المواد وكأنها ثلاثية تفسر باعتبارها تمثل اتجاهها فى التغير نحو الثلاثية. بل وظهر ناحتون يقولون بالأصل الأحادى لكلمة "فم"، فالأصل فى رأيهم هو تلك الاء التى تظهر عصرا مشتركا فى كلمات هذه المادة فى اللغات السامية، وهى تظهر مثلا فى الكلمة لعربية التى رددتها كتب النحو العربى فى تناولها للأسماء الستة. وهى كلمة

(فِ فِ فِ) رفعا ونصباً وجراً، فهي تتكون من هذه الفاء وقد لحقتها حركة الإعراب صوية، وهكذا، أظهر البحث الحديث تعديلاً لفكرة الأصل الثلاثي التي سادت عند حمهرة، سحاة.

أدت النظرة الحديثة في ألفاظ عربية كثيرة إلى إيضاح ثنائية الأصول لعدد آخر من الكلمات. ولنقارن مثلاً كلمة "سحف" التي تبدو لأول وهلة بوزن 'فعل' بكلمة 'حف' التي تبدو أول الأمر تعديلاً طفيفاً لوزن فعل أيضاً، وبالمعل 'استحف' لنلاحظ علاقة دلالية وعلاقة اشتقاقية، فاللغات السامية تجعل من الثقل احتراماً ورحابة عقل وقديماً قالوا 'أحلامه تزن الجبل ررارة'، وتجعل العبرية الاحترام من مادة 'ك ب د' الدالة على الثقل والرزانة وتكبد المشاق، وعلى العكس من هذا نجد الخفة واستحف والاستخفاف، وهنا نلاحظ أن المادة الأصلية للكلمتي "سحف، حف" لابد أن تكون واحدة، هي الحاء والفاء. الأصل على هذا ثنائي وسع عندما كانت اللغات السامية تستكمل ملامح الثلاثية، وذلك بإضافة السين فتكونت كلمة "سحف" وبتضعيف الفاء، فتكونت كلمة "حف". ومثل هذا يلاحظ بمقاربة كلمة "سكب"، "كب" في الفصحى والعامية؛ فالدلالة واحدة - والاشتقاق واحد، كلتاهما من أصل واحد هو اكاف وإباء، ثم وسعت الصيغة الثنائية الأولى بالسين فظهرت كلمة 'سكب'، وبتشديد إباء كلمة "كب"، بإضافة السين والتضعيف وسيلتان توصلت بهما اللغات السامية في استكمالها لملامح الثلاثية في بناء الكلمة.

وهناك ألفاظ أخرى يتضح منها الأصل الثنائي وقد وسع بالون، ولنقارن الكلمات 'ذل، نذل' لنلاحظ أن من أذلّ نفسه فهو نذل، ويتضح لنا من هذه الأمثلة أن الأصل اكمن وراء هذه الكلمات كان ثنائياً مكوناً من الذال اللام، ثم وسع هذا الأصل لثنائي بطرق مختلفة منها إضافة النون، فتكونت كلمة "نذل"، ومثل هذا نلاحظه في: "قص ونقص" فقصر الشعر إتقص له وقص القماش كذلك، والأصل ثنائي وسع هنا بالتشديد وهناك إضافة النون، وهذا ما نجده أيضاً إذا قارنا: "حس

وحسباً، فلمس بعض الأشياء - فى تصور ما إنجاس للامسها أو للشئ، وواضح أن الاشتقاق واحد، وقد وسعت المادة بالتضعيف هنا وبإضافة الـون هناك. وهكذا اتخذت العربية وسائل مختلفة لتكون كلمات فيها محولة إياها من انشائية الأولى إلى الثلاثية الشائعة.

وربما لا يخطر ببال العارفين بكتب النحو أن هناك وزناً يطلق عليه فى علم اللغة المقارن وزن شَفْعَلْ أو سَفْعَلْ وأن هذا الوزن هو وزن التعدية القياسى فى بعض اللغات السامية. أمثلة ذلك الكلمات شَعَلَ وشَقَلَ وسَهَمَد، نعرفها فى اللهجات العربية. وقد تصوّر لأول وهلة أنها كلمات مستحدثة، والواقع أنها ليست كذلك بل هى رواسب لوزن استخدم قديماً فى اللهجات العربية الجنوبية القديمة التى وصلت من القرن الخامس قبل الميلاد فصاعداً، أن العربية الشمالية لا تعرف هذا الوزن وتستخدم للتعدية فى مقابل ذلك عدة أوزان مثل أَفْعَلْ وفَعَّلْ (بالتشديد)، ونحن لا نستخدم فى العربية الفصحى الفعل شَعَلَ بل عَلَّقَ، ولا نستخدم شَقَلَ بل نقول قَلَّبَ، ونقول مَهَّد بدلاً من سَهَمَد. والسين والشين هنا هماك ليستا أصليتين بل هما من أحرف الزيادة. وهذا الوزن من أقدم الأوزان التى عرفتها اللغات السامية، ويفيد التعدية أى تكون فعل متعد.

ثالثاً : الأبنية الصرفية وتسمية المفردات

تناولت مجموعة قرارات أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة قضية "الاشتقاق"، وقد أكد المجمع بهذه القرارات أن الحياة المعاصرة تتطلب اشتقاق كلمات لم ترد فى المعاجم العربية ويمكن صياغتها بعدة وسائل لغوية. كان اللغويون العرب فى عصر الحضارة الإسلامية قد سجلوا عدة ضوابط للاشتقاق، فأضاف المجمع إلى هذه القواعد قرارات فتحت مجال الاشتقاق لتكوين ألفاظ جديدة. كان قرار المجمع بحوار الاشتقاق من أسماء الأعيان منطلقاً جديداً، لا يجافى روح العربية عنى الرعم من عدم ذكر الساحة الأقدمين له، فقد تصور جمهور النحاة أن الاشتقاق يصدر من الفعل

فحسب فائت المجمع أنه يصدر أيضا من الاسم، وأجاز اشتقاق صيغ جديدة وفق ضوابط واضحة. وتلخص أهم قرارات المجمع فى الاشتقاق فى قضايا : المصدر الصناعى، وقياسية أوزان المصادر، والصفة المشبهة ، واسم الآلة، وصيغة السب، وقياسية أبنية الافعال.

(أ) المصادر :

(١) المصدر الصناعى صيغة عرفتھا العربية فى عصر الحضارة الإسلامية فى كلمات مثل : الشعبية، وكان قرار مجمع اللغة العربية حول المصدر الصناعى إقرارا صريحا بصحة كلمات كانت قد وضعت فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، فالطهطاوى يتحدث عن البدائين ويصفهم بكلمة (الساذجية)، وشبلى شميل يذكر (الانسانية)، و(الحيوانية)، و(الحاذية) . وتكون صيغة المصدر الصناعى من الكلمات بإضافة ياء النسب والتاء. وقد أصبحت هذه الصيغة شائعة فى العربية الفصيحة المعاصرة للدلالة على المذاهب والتيارات والآراء. تكونت هذه الصيغة عند العرب المعاصرين بإضافة النهاية إلى أنواع مختلفة من المفردات منها :

- (اسم جمع + يه) ، مثلا : قومية، جنسية، شعبية.

- (مصدر + يه) ، مثلا : تقديمية ، اشتراكية، تعاونية، انهزامية.

- (اسم فاعل + يه) مثلا : عاطفية ، جاذبية.

- (كلمة مركبة + يه) ، مثلا : فيدرالية ، كلاسيكية ، رومانسية.

وفى كل هذه الصيغ نجد العربية الفصيحة أفادت من هذه الإمكانية التى عرفها الاستخدام القديم بشكل محدود، وأجازها المجمع، وأصبحت صيغها شائعة فى الكتابات المعاصرة فى العربية العربية الفصحى.

(٢) أقر مجمع اللغة العربية قياسية أوزان المصادر للدلالة على معان محددة، وبهذا ارتبطت الصيغة بالدلالة على نحو مباشر فى هذه القرارات:

- وزن (تَفَاعُل) للمساواة والاشتراك، مثل: تبادل، تحارب، تخاطب، تدخُل، تكامل، تصارع، تعارض، تعاوُن، تعايش.

- وزن (فِعَال) للدلالة على المطاوعة، مثل: التهاب، ابتكار، اجتماع، حتك، احتكاك، احتمال، اختزال، ارتحال.

- وزن (فَعِيل) للدلالة على الصوت، مثل: صَهِيل، زَكِير، نَجِيب، غَوِيل.

- وزن (فَعَالَة) للدلالة على الحرفة أو شبهها، مثل: نَحَّارَة، سِمَّاكَة، طِبَّاعَة.

- وزن (فَعْلَان) للدلالة على التقلب والاضطراب، مثل: غَلِيَّان، حَفَقَان، هَذِيَان.

- وزن (فُعَال) للدلالة على المرض، مثل: صُدَّاع، هُزَال، كُسَّاح.

(٣) أقر مجمع اللغة العربية جواز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه، ونجد في الاستخدام المعاصر صيغاً كثيرة لجمع المصدر، منها: تحليل / تحليلات وتحاليل، تدريب / تدريبات، إرشاد / إرشادات، انتخاب / انتخابات، اشتراك / اشتراكات، استنتاج / استنتاجات، إعانة / إعانات.

(ب) المشتقات والأبنية الأخرى للأسماء:

(١) أقر مجمع اللغة العربية قياسية اشتقاق وزن (فَعَال) للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء وفي هذا استمرار للعرف اللغوي السائد في كلمات مثل: نجار، حداد، خباز.

وأضاف قرار المجمع بعد هذا: إذا خيف ليس بين صانع الشيء وملازمه كانت صيغة فعال للصانع وكان النسب بالياء لغيره. فيقال: زَجَّاج لصانع الزجاج، ورجاجي لئاعه. ويبدو أن العصر الأخير من القرار لم يقبل في الاستخدام الحديث إلا بشكل محدود. وحل محله في المثال المذكور المضاف والمضاف إليه: يائع الزجاج.

(٣) أقر المجمع - انطلاقاً من استخدام وزن (فَعَّال) - صياغة (فَعَّالَة) اسماً للآلة باعتبار أنها تقوم بأشئ على نحو مطرد ويتفق هذا القرار مع العرف اللغوى لسائد: عَسَّالَة، دَنَاسَة.

وفوق هذا فقد درس المجمع الصيغ الواردة فى الاستخدام اللغوى اقديم سدلالة على الآلة. وأقر وجود الأوزان التالية لاسم الآلة: فَعَّال، فَاعُول، وبهذا كنه أصناف المجمع هذه الأوزان التى لم تنص عليها كتب الصرف إلى الأوزان الأخرى. وبذلك أصبح اسم الآلة من الصيغ التالية:

أوزان نصت عليها كتب الصرف	مبرد	(١) مِفْعَل
	مقصلة	(٢) مِفْعَلَة
	منشار، ميزان	(٣) مِفْعَال
	سَمَّاعَة	(٤) فَعَالَة
أوزان اقرها المجمع	جِزَام، رِبَاط	(٥) فَعَال
	ساقية	(٦) فَاعِلَة
	ساطور	(٧) فَاعُول

(٣) أقر المجمع صحة صيغة النسب إلى المجمع. وكان نحاة البصرة قد ذهبوا إلى أن صيغة النسب لا تكون إلا من صيغة المفرد. ولكن الاستخدام القديم عرف - أيضاً - تكوين صيغة النسب من المجمع، مثل: شعوبى، أنصارى، ملوكى، أصوبى. وقد عرف الاستخدام العربى الحديث صيغتي (دَوَلَى) نسبة إلى المفرد - من ناحية الصيغة، و (دَوَلَى) نسبة إلى المجمع. وكلا الاستخدامين صحيح فى رأى المجمع. وستقر الصيغة القياسية القديمة فى مصر، ويميل الاستخدام فى بعض الدوائر لعرية إلى الصيغة الأخرى بالنسب إلى المجمع.

(٤) أقر مجمع اللغة العربية جواز دخول (أل) على حرف النفى المتصل بالاسم واستعماله فى لغة العلم. وفى هذا إقرار بصحة صيغ قديمة مثل: اللادرية. وقد

تكونت فى الاستخدام العربى الحديث عدة صيغ على هذا النحو: اللاهوائى -
اللاسلكى، اللاوعى، اللاشعور... الخ.

(ج) قياسية أبنية الافعال:

(١) كان قرار مجمع اللغة العربية بخصوص وزن (فَعَّلَ) لإفادة التعدية أو التكثير .
السبب أو السلب أو لوصف الحدث إقرارا لكثير من الصيغ المستخدمة، وانطلاقا
نحو صيغ أخرى، مثل: حضر، شخص، جسم، حلل، شرع.

وأقر المجمع - أيضا - صياغة وزن (فَعَّلَل) من أسماء الاعلام الأجنبية
والكلمات الدخيلة عموما، ولهذا أقر المجمع: (بستر) من باستير Pasteur،
(وبلشف) من البلشفية، و (تلفن) من التليفون، و (فبرك) من الفابريكة أى المصنع،
و (جبس) من الجبس.

وأجاز المجمع كذلك صحة صيغة (قَيَّمَ) باعتبارها وزن فعل من القيمة وذلك للتمييز
بين (قَيَّمَ) أى عرف أو حدد القيمة، وبين (قَوَّمَ) أى أصلح أو عدل. ويتضح الفرق
الدلالى بين الفعلين بمقارنة: قَيَّمَ التمثال، قَوَّمَ التمثال.

وبهذا كان قرار المجمع بصحة صيغة (فَعَّلَ) غير مشروط بوجود وزن (فَعَّلَ) من نفس
المادة، فالاشتقاق جائز من الاسم العربى أو الأجنبى.

(٢) أجاز المجمع قياسية وزن (استفعل) للاتخاذ والجعل، مثل: استبعد، استهدف،
وكذلك لإفادة الطلب والصيرورة، مثل: استخرج، وفى هذا إقرار للعرف القديم مع
جواز الاشتقاق القياسى منه.

(٣) أقر المجمع قياسية أوزان المطاوعة على النحو التالى.

- الفعل الثلاثى مطاوعه افتعل، إذا كانت فاء الفعل (ل / م / ن)، مثل
(نصف: انتصف).

- الفعل الثلاثى مطاوعة انفعال، إذا كانت فاء الفعل أى حرف آخر، مثل:
(جذب: انجذب).

- وزن (فَعَّلَ) مطاوعة تفعّل (قرب: تقرب).

- وزن (فاعِل) مطاوعة تفاعل (صارع: تصارع).

- وزن (فعلِل) مطاوعة تفعّلل (دحرج: تدحرج).

ويرجع اهتمام المجمع بأوزان المطاوعة إلى أنها شاعت فى الاستخدام العربى منذ قرون، بدلا من صيغ المبنى للمجهول التى قل استخدامها فى الفصحى بعد أن انتهى من اللهجات. وفى كل هذه القرارات الخاصة بالاشتقاق كان مجمع اللغة العربية يعتمد على بحث الاستخدام اللغوى القديم ويضع القاعدة تسجيلا للعرف القديم وانطلاقا منه تيسيرا للاستخدام الحديث.

الفصل السابع

بناء الجملة

أولاً : مفهوم النحو :

بناء الجملة أو النحو أو تركيب الجملة مصطلحات مألوفة فى الكتابات المعاصرة للدلالة على مفهوم واحد، يتصل بالقواعد التى تحدد نظام الجملة فى اللغة، وتجعلها قادرة على أداء المعنى الذى يريده المتحدث أو الكاتب فيصل إلى المستمع أو القارئ. ومفهوم النحو طبقاً لهذا المعنى مألوف عند أعلام النحو العربى، وغير صحيح أن النحو عند جمهور النحاة اقتصر على ضبط النهايات الإعرابية، كما نجد عند بعض النحاة المتأخرين فى مؤلفاتهم المدرسية الصغيرة. قضايا النحو عند أبى سعيد السيرافى (المتوفى سنة ٣٦٨هـ) منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف فى مواضعها المقتضية لها، وتأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخى الصواب فى ذلك".

وهنا نجد - أيضاً - بداية استخدام مصطلح "معانى النحو" الذى عنده النحاة من محالات عمل النحوى، وطوره البلاغيون إلى "علم المعانى". والسكاكى عرّف النحو بأنه "كيفية اتركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين منية عليها". والنحو هنا يحث "تأليف الكلام" أو 'تركيب فيما بين الكلم"، ولهذا فإن البحث النحوى يعنى التوصل إلى القواعد المفسرة لنظام تأليف الكلمات أو تركيب الكلمات فى الجملة، حتى تودى المعنى المراد طبقاً لنظام اللغة.

الفكرة الأساسية لتحليل تركيب الجملة تنطلق من فكرة أساسية : ممارسة منكم أو اكتب لغة ما تعنى وضع الكلمات فى تتابع مناسب للتعبير، ويكون هذا تتابع طبقاً بقواعد المتتجة لأنماط بناء الجملة. ويطلق على البحث فى بنية اللغة على

مستوى التراكيب مصطلح النحو أو علم التركيب أو علم التراكيب أو قواعد الجملة، وليس كل تناع في كلمات اللغة يؤدي إلى جمل صحيحة، فكل كلمة من كلمات الجملة قد تكون صحيحة في نفسها، ولكن تركيب هذه الكلمات قد يكون جملة صحيحة طبقاً للمتعارف عليه في الجماعة اللغوية وقد لا يكون أية جملة مقبولة ومفهومة عند أبناء الجماعة اللغوية وقد لا يحمل أى معنى على الإطلاق. وكان سيويه قد لاحظ أن أنماط المفردات قد تكون جملة سليمة من حيث التركيب والمعنى، وعبر عن هذا المفهوم بعبارة: "المستقيم الحسن"، مثل: أتيتك أمس وسأتيك غداً. هنا نجد تناع الكلمات لتكوين الجملة صحيحة، ونجده في الوقت نفسه استخدم صيغة الفعل الماضي للتعبير عن الزمن الماضي مع كلمة أمس، كما نلاحظ استخدام السين الفعل المضارع للتعبير عن المستقبل مع كلمة غداً.

وفكرة الاهتمام بالمعنى الذي يحمله التركيب أصيلة في التراث النحوى. خصص سيويه باباً في بداية كتابه عن الاستقامة والإحالة. وهنا نجد تناولاً مهماً لقضية مدى العلاقة بين صحة التركيب نحويًا ومدى استقامته لأداء المعنى. الكلام المستقيم الحسن يكون مستقيماً من الناحية النحوية وحسنًا من الناحية الدلالية. أما الكلام المحال فهو الكلام الذي يبدو تركيبه النحوى سليماً، كأن يكون التركيب مكوناً من فعل وفاعل ومفعول به وظرف زمان، ولكن هذا التابع الصحيح نحويًا قد لا يحمل أى معنى على الإطلاق لأن كلماته متناقضة دلاليًا، مثل: أتيتك غداً، أو سأتيك أمس. والتناقض هنا بين فعل دال على الماضي وظرف زمان للمستقبل في المثال الأول، وبين فعل دال على المستقبل وظرف زمان دال على الماضي في المثال الثانى. وفي تصنيف سيويه للمحمل من حيث الاستقامة والإحالة نجد أيضاً نوعاً ثالثاً وهو المستقيم القبيح، مثل: قد زيدا رأيت، كى زيدا يأتيتك. وهنا نجد تناع الكلمات لا يتفق وقواعد بناء الجملة العربية. ومن هنا كان فكر سيويه النحوى يربط بين قواعد التركيب، ويظهر أيضاً في مدى اتفاق المكون الدلالي ونسق قواعد التركيب.

ثانياً : مفاهيم أساسية :

تكوّن على مدى القرون مفاهيم أساسية للتحليل النحوي نجد عدد، منها في التراث النحوي العربي. ومن أهم هذه المفاهيم ما يأتي :

١- لكل موقع نحوي صيغ صرفية خاصة به، ومعنى هذا مثلاً أن ما بعد حرف الجر في العربية يكون اسماً، ولا يكون فعلاً. حروف الجر تدخل على الأسماء وبهذا نجد في العبارة: في المدرسة، أو في العبارة: مع أحمد، أن ما بعد حرف الجر هو اسم. وبغض النظر عن كون اسم العلم أحمد له صيغة تشبه صيغة الفعل المضارع من الفعل حمد، فإن ورود ما بعد حرف الجر يقضى بكونه اسماً، وهو هنا اسم علم.

٢- بعض التراكيب النحوية تتكوّن من مكونين متلازمين. كل مكون منهما يتطلب وجود المكون الآخر، من ذلك: المبتدأ والخبر، إن واسمها، ولن والفعل المضارع المنصوب، وبم والفعل المحزوم، وحرف الجر والاسم المجرور بعدها.

٣- تتخذ الوظائف النحوية للمفردات ترتيباً محدداً يُحدده نظام "الرتبة"، أي ترتيب الكلمات في النمط الأساسي للجملة. مثال ذلك الجملة الفعلية، الترتيب الأساسي فيها: الفعل + الفاعل + المفعول به. وفي حالة عدم ظهور العلامة الإعرابية تكون الرتبة حاسمة لبيان الوظيفة النحوية : زارت سلوى سني، بعد الفعل يكون الفاعل وبعد فاعل يأتي المفعول به. وتحدد الرتبة - أيضاً - وجود المعطوف عليه قبل حرف العطف والمعطوف، ووجود الموصوف قبل الصفة.

٤- إذا أُمِنَ اللّسُ أُمِنَ التحرر من الرتبة في حالات محددة، وذلك - على سبيل المثال - في الجملة الفعلية: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾. وهنا تكون العلامة الإعرابية مهمة لتحديد المعنى، فالمرفوع هو الفاعل والمنصوب هو المفعول به.

٥ ترتبط الحالة الإعرابية بالمعنى الوظيفي للأداة، فإذا تغير المعنى الوظيفي تغير لُزُوم الإعرابي. مثال ذلك: الواو في العربية للعطف يكون لما بعدها حكم ما قبلها رفع أو نصباً أو جرّاً. ولكن الواو قد تكون للمعية، أى مع المفعول معه. وذلك مثلاً في سرتُ والليل، ولا يجوز أن تكون الواو هنا عاطفة لأن الفاعل هنا لا يمكن عطفه على الليل فيكون مرفوعاً. الواو هنا للمعية وما بعدها مفعول معه منصوب.

٦- يجوز حذف أحد أركان الجملة عند إمكان الاستغناء. ذلك واضح - على سبيل المثال - في جمل الإجابة عن السؤال، فتكون الإجابة عن المسئول عنه مباشرة، دون ضرورة عمل جملة كاملة ظاهرة. ﴿وقيل الذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ السؤال هنا: ماذا أنزل ربكم؟ والإجابة: خيراً، أى أنزل ربنا خيراً. المحذوف هنا الفعل والفاعل مع المضاف إليه، والمعنى واضح، لأن السؤال كان عن المفعول به. ومن أنماط الحذف أيضاً خبر الجملة الاسمية بعد لولا، فالأداة لولا تتضمن من حيث المعنى عدم وجود الخبر، ولهذا فإن الآية ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾. دفع مبتدأ وخبره محذوف وجوباً، وكذا كل مبتدأ وقع بعد لولا، والتقدير: ولولا دفع الله الناس موجود' (شذور الذهب ص ٣٦).

٧- تكامل عناصر الجملة ضرورى، وأركان الجملة، إذا لم تكن كلها ظاهرة وجب تقدير غير الظاهر منها. فعل الأمر لابد له من فاعل يوجه إليه الأمر، ومعنى هذا إذا قلنا: اكتب! كان التقدير اكتب أنت، الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت. والفاعل هنا مستتر وجوباً، أى لا يجوز ظهوره، ولكن تكامل الجملة الفعلية يجعل المحوى يبحث عن فاعل، يوجه إليه الأمر ليقوم بالفعل.

ثالثاً: المادة لغوية :

اقتصر التحليل فى التراث النحوى العربى على مادة لغوية مأخوذة من مراحل محددة فى تاريخ العربية. يدل مصطلح "السماع" عند النحاة وفى علم أصول النحو

على المادة اللغوية الموثوق بصحتها أى سلامتها وبكونها تمثل العربية الفصحى. ويتضح من انصر فى كتب النحو من كتاب سيبويه إلى كتب السيوطى أن المستويات لغوية لتساوئ النحوية ارتبطت بنظرية الفصاحة، فثمة مستويات يوثق بها وأخرى لا يوثق مصحتها وتستبعد عند البحث وعند استخراج القاعدة النحوية. وأول هذه المستويات اللغوية التى يوثق بفصاحتها وسلامتها النص القرآنى. وفى هذا الصدد يقول السيوصى : 'أما قرآن فكلما ورد أنه قرئ به حاز الاحتجاج به فى العربية سواء كتب متواتراً أم آحاداً، أم شاذاً، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً، بل ولو خالفته يحتج بها فى مثل ذلك الضرب بعينه وإن لم يحز القياس عليه كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس فى ذلك السور بعينه ولا يقاس عليه'. وهذا النص يوضح موقفاً عاماً، ويذكر القراءات اقرآنية كلها وييسر أهميتها فى الدراسة النحوية ففيها مادة لغوية مفيدة، جعلت لغوياً متميزاً وهو ابن جنى (المتوفى ٣٩١هـ) يخصص للقراءات كتاباً كبير هو المحتسب تضمن تحجيلاً لعدد كبير من القراءات التى تتجاوز ما اتفق الرأى على تصنيفه من القراءات السبعة.

ولهذا كتب السيوطى عن موقف الحاة من القراءات : "كان قوم من النحاة المتقدمين يعيرون على عاصم وحزمة وابن عامر قراءات بعيدة فى العربية، وينسبونهم إلى اللحن، وهم مخطئون فى ذلك، فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التى لا مطعن فيها، وثبت ذلك دليل على جوازه فى العربية، وقد رد المتأخرون، منهم ابن مائث على من عاب عليهم ذلك بأبلغ رد واختار جواز ما وردت به قراءتهم فى العربية 'وهذه القضية يتطلب بحثها فى كل موضع نحوى مراعاة الوحدة والتسوع فى القراءات وملاحظة مواقف الحاة منها فى وضع القواعد أو القياس عليها، وهى - فى كل الحالات - مصدر مهم للدرس النحوى. يعد الاستشهاد بنصوص الحديث لسوى من أدق المسائل المنهجية فى التحليل النحوى، "إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك نطق برسول صلى الله عليه وسلم، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن فى

إثبات القواعد الكلية". وظل النحاة بعد ذلك يدورون في فلك الشواهد التي تدور بها النحاة المكروون، فكانت الإضافات محدودة، وفي هذا السياق دخلت شواهد حديثة ولكنها ظل قليلة بالمقارنة بالشواهد القرآنية والشواهد الشعرية.

تصم كتب النحو عدة آلاف من الشواهد الشعرية، وترجع هذه استواهد إلى العصر الجاهلي والقرنين الأول والثاني للهجرة. وكانت الشواهد في كتاب سيبويه في صياغته الأولى غير منسوبة إلى أصحابها، ولكن الحاجة إلى نسبتها نجمت وبدأ أبو عمر الجرمي في تحديد قائلها. ظلت الشواهد النحوية المتداولة تتكرر في كل كتب النحو، فقد قصرُوا الاستشهاد على "عصور الاحتجاج" ورفضوا ما بعد ذلك، وكان موقف النحاة هنا أنهم "أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين". وهذا المبدأ طبق في كل كتب النحو وشذت في هذا الصدد استثناءات مشهورة ومعدودة، قيل: أول الشعراء المحدثين بشار بن برد، وقد احتج سيبويه في كتابه ببعض شعره تقرباً إليه، لأنه كان هجاء لترك الاحتجاج بشعره، وثمة أبيات أخر لشعراء عباسيين، منهم المتنبي. ولكن ندرة هذه الأبيات جعل بعض النحاة يبرر وجودها بأنه لتمثيل وليس للاستشهاد، فالقاعدة النحوية قامت على شواهد أخرى، ولكن هذه الأبيات أمثلة توضح القاعدة. وهكذا ظل المبدأ العام عند النحاة في الاستشهاد تحكمه عبارة الأصمعي: "ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الحجاج". وهذه العبارة لها دلالتها الزمنية والمكانية، فابن هرمة ولد سنة ٩٠ للهجرة وتوفي بعد سنة ١٥٠ للهجرة، أي أن حياته تمتد حتى منتصف القرن الثاني الهجري، وكان أكثر مقامه في المدينة المنورة، وبعد بذلك من شعراء الجزيرة العربية.

ترد في كتب النحو عبارات من كلام العرب، وهذه المادة ترد في أغلب المواضع غير منسوبة إلى قبيلة محددة، وتنسب أحياناً إلى لغة معينة أي إلى لهجة قبية. وكانت القبائل العربية الشمالية في نجد وما حولها المصدر الأول عند النحاة تعرف كلام العرب، وفي صدر هذه القبائل "قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين

عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل فى الغريب فى الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم التى تحاور سائر الأمم الذين حولهم". ويلاحظ فى الكلمات والعبارات المأخوذة من كلام العرب فى كتب النحو عدم الاحتجاج فى العربية الفصحى بلهجات أطراف الجزيرة العربية، وعلل النحاة ذلك باختلاط عربية تلك المناطق بلغات مجاورة، 'خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم'. وفى هذا الصدد كانت اللهجات العربية الشمالية، أو "لغات العرب" الفصحاء تعد حجة. قال ابن جنى: اللغات على اختلافها كلها حجة. وهذا رأى تعبير عن موقف النحاة من اللهجات العربية البدوية حتى القرن الثانى الهجرى، أما فى أواخر القرن الرابع الهجرى فكانت لهجات البدو قد حدث فيها تغيرات جعلت ابن جنى نفسه يقول: "لأنكاد نجد بدوياً فصيحاً"، والمقصود بذلك الجوانب النحوية فى لهجات البدو أما الجوانب المعجمية فكان الموقف منها مختلفاً، وقد جمع الأزهرى فى أثناء أسره فى شرقى الجزيرة العربية مفردات كثيرة عن البدو وضمنها فى معجمه "تهذيب اللغة". وتدلنا كتب النحو منذ كتاب سيبويه على أن المادة المأخوذة من كلام العرب سمعت وجمعت ودونت فى القرن الثانى الهجرى ثم تناقشتها كتب النحو على مدى القرون.

لقد اقتصر النحاة على تلك المستويات اللغوية، ومن ثم كان رفضهم للعربية المولدة، أى العربية بعد القرن الثانى الهجرى. وفى هذا الصدد كتب السيوطى: "أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين فى اللغة العربية". ومصطلح المولد من أقدم المصطلحات فى علوم اللغة، فهذا المصطلح ورد فى عبارات تسب بالأصمعى وغيره. كان الأصمعى يقول: "التحرير ليس من كلام العرب، وهى كلمة مولدة". ومصطلح المولد يدل على الكلام المحدث بالقياس إلى عصور الاحتجاج وهو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم، وهكذا نجد التقابل بين "المولد"

من جانب وما يحتاج به من الجانب الآخر. ويلاحظ في الأمثلة النسي يوردها المعربون مع تصنيفها بأنه من المولد، أن نسبة منها تتخذ صيغاً عربية صحيحة، ولكن الكمية نفسها لم تعرف في عصور الاحتجاج. ومن ذلك كلمة الجبرية خلاف القدرية صيغة المصدر الصناعي. ويعبر بعض المؤلفين عن المولد بكلمة محدث. ومن ذلك كلمة : 'الطعني لغة محدثة لا توجد في العتيق من كلام العرب. كان رجل بنكوفه يقال له طفيل يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها فنسب إليه"، أي أن المحدث يقبل عتيق. وفي عبارة أخرى : "زبون كلمة مولدة ليست من كلام أهل البادية".

رابعاً : الجملة بين النحاة والبلاغيين :

ورب قائل يقول : أليس هذا هو جهد النحاة العرب؟ وهنا نقول بأن البحث الحديث يفيد من كل الجهود العلمية السابقة ويتجاوزها نحو مزيد من الدقة والتفسير. النحاة العرب لهم جهد مشكور في دراسة بناء الجملة، ويكفي أن ننظر في كتاب سيويه صاحب أقدم مؤلف وصل إلينا في النحو العربي من القرن الثاني الهجري لنجد دراسة قيمة في بناء الجملة العربية.

ولكن أهم فرق يميز البحث الحديث في بناء الجملة عن البحث العربي يكمن في أن الجهد العربي دار - إلى حد بعيد - حول نظرية "العامل"، بينما يضع البحث الحديث هدفه دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن 'معنى'. وهذا يعد المعنى عنصراً مهماً في دراسة بناء الجملة. ونوضح هذا بالنظر في بحث النحاة بالفعل مضارع بعد "حتى" فقد لاحظوا أنه فعل منصوب، نقول مثلاً : حتى أدخل، أو حتى أخرج أو : حتى تعمل.. الخ. وهذا يمكن أن نقول على نحو وصفي مباشر إن هذا تركيب يتكون من : "حتى + فعل مضارع منصوب" ولكن النحاة طرخوا بعد ذلك سؤال التقليدي عن العامل في كون هذا الفعل المضارع منصوباً. ورب قائل يقول : لعامل هو كلمة : "حتى"، فيرفض جمهور النحاة مقررین خطأ هذه المقولة، ويعلم النحاة هذا برأيهم في "العامل" فالعامل عندهم لا يعمل إلا مختصاً، الأفعال بها

عوملها، الأسماء لها عواملها، وليس ثمة عوامل تعمل فى الأفعال والأسماء. وهنا يتساءل اسحاق : هل "حتى" من عوامل الأسماء أم من عوامل الأفعال، فيقول أكثرهم : إنها من عوامل الأسماء فهى تجر الاسم مثل : ﴿حتى مطلع الفجر﴾. وإذا كانت كذلك فلا بد لد من كونها مختصة بالأسماء، أى أنها لا تؤثر إلا فى الأسماء، ولا بد أن يكون ما بعدها اسماً، وهنا يقول أكثر النحاة : إن تركيب "حتى + فعل مضارع منصوب" ينبغى أن يفسر تقديرًا من خلال أن المقدرة المحذوفة : أن وافعل المضارع المنصوب فى تأويل مصدر مجرور بحرف الجر حتى. إن علم اللغة الحديث يدرس التركيب واصفاً له محللاً له فى اللغة الواحدة أو مقارناً إياه فى المجموعة اللغوية، وهنا نقول أن تعميق البحث يتم بأدوات تختلف عن الجدل المنطقي فى نظرية العامل والاختصاص.

ولنوضح طبيعة جدل النحاة فى موضوع العامل بمثال آخر فقد لاحظوا وردود افعل المضارع منصوباً بعد : كى ، لكى ، كى لا ، لكى لا ، كى ما.، وكان من الممكن الاكتفاء فى وصف هذا بمعادلات بسيطة على غرار: "كى + فعل مضارع منصوب"، ولكنهم طرحوا السؤال حول العامل، والعامل لابد أن يكون واحداً ولا يجوز أن يتعدد، فقام النحاة بعملية تحليلية معقدة فى الآية ﴿لكى لا يكون على المؤمنين حرج﴾، أعربوا لكى فجعلوا اللام حرف جر وجعلوا كى والفعل بعدها مصدرًا مجروراً باللام، إن مثل هذه الظواهر يبحثها علم اللغة الحديث بأسلوب معادلات تشبه المعادلات الرياضية بتساؤل دائم حول الوظيفة والمعنى والقرص، وفعالية التركيب فى التعبير عن معنى.

وقد أدى اختلاف نظرة اللغويين المحدثين للحملة عنها عند النحاة العرب إلى مباحث لم نل حقها من الاهتمام فى كتب النحو التقليدية، فالشرط مثلاً، أو بمعنى أدق 'حملة الشرط' لم يدرسها النحاة فى باب مستقل برأسه متنوع الأنماط مختلف الدلالات، بل تناولوها ضمن مباحث "جزم المضارع"، فاقترضوا فى بحثهم بها على

بحث العامل، فإذا كان التركيب: (إن تكتب أكتب) دار بحثهم حول العامل في حرم
الذى حل بالفعل الأول وبالفعل الثانى، واختلفوا فى هذا اختلافًا جزئيًا لا يحرح عر
هذا الإطار، ولكن أهذا كل ما يمكن أن يبحث فى جملة الشرط العربية؟ هناك جم
شرط لا علاقة لها بالمضارع ولا علاقة لها بالحزم. فما مكانها فى نظرية العامل لئى
دار حولها البحث فى بناء الجملة عند النحاة العرب؟، فنحن نقول: 'إن كتبت
كنت'، فلا نستخدم فعلاً مضارعاً بل فعلين ماضيين، وجملة كهذه لا مكان لها بين
أنماط جملة الشرط فى كتب النحو العربى، ليس لأن هذا التركيب حديث فى لعربية
بل لأن النظرة إلى جملة الشرط فى تكاملها فى البنية والدلالة نظرة حديثة معمقة، وقد
سجل اللغويون المحدثون أنماطاً مختلفة من جملة الشرط العربية، وبعض هذه الأنماط
لم يكن موضع اهتمام النحاة العرب، وذلك مثل: (إن + جملة فعلية ذات فعل ماض +
جملة فعلية ذات فعل ماض) نحو: (إن قاتلونا قاتلناهم)، أو: (إن + جملة فعلية ذات
فعل ماض + جملة فعلية ذات فعل مضارع). مثل: "إن افترقتم لم تجتمعوا"
بعدها أهدأ".

ويزداد الأمر تنوعاً إذا لاحظنا الأزمة المركبة واستخدامها فى جملة الشرط،
وذلك مثل: (إن كنت أصبت فى .. فقد أخطأت فى ..). أما الشرط باستخدام "إذا"
و"لو" فلم يدرس عند النحاة العرب كأصوب قائم برأسه بتركيبه وعلاقاته ودلالاته
بحثاً مفصلاً، وكان حسهم هنا ضروباً من التقدير، ففى الجملة «إذا السماء
انشقت» قدروا اعتبارات نظرية بحثة فعلاً بين إذا والفاعل، وانصرف اهتمامهم إلى
الإعراب والعامل وتقديره وعمله.

ومن الأخطاء الشائعة عن اللغة العربية أنها لا تعرف مقابلاً لما يطلق عليه فى
اللغات لأوربية اسم الأزمة المركبة، والواقع أن نحاة العرب لم يدرسوا هذه الظاهرة
على الرغم من وجودها فى أشكال مختلفة فى اللغة العربية ونحن اليوم نفرق بين
"كنت" و"كنت كبت"، و"كنت قد كبت"، ولكل تركيب معناه الخاص به.

والاهتمام بالمعنى يؤدي إلى موضوعات التي عرفت عند القدماء باسمه 'علم المعاني' أي : معاني النحو. ويكفي أن ننظر فيها لنجد فصولا في بناء الجملة، فهم يفرقون مثلا بين الحبر والطلب، ولو طبقنا هذا لا تضح لنا مدى التجاوز في رأى النحاة في تقدير فعل عامل في المنادى. فقد قدروا في تركيب مثل : (يا كبير القضاة)، (أنادى كبير القضاة). ورغم كل المحاولات النظرية لتفسير هذا، التقدير، فلا بد من التحفظ وملاحظة الفروق بين الطلب والحبر. إن جهود البلاغيين العرب لها مكانها وتقديرها في دراسة الجملة العربية، وهي المكمل الطبيعي لجهود النحاة في هذا الميدان.

وننظر مثلا في دراسة البلاغيين لصيغ الأمر في العربية، نجد عندهم فعل الأمر (اكتب، اكتبى، اكتباء، اكتبوا، اكتبين)، والأمر بالمضارع المحزوم بلام الأمر (لتكتب. لتكتبى .. الخ، واسم فعل الأمر (حذار، ضة)، والمصدر النائب عن الفعل الأمر نحو ﴿وبالوالدين إحسانا﴾. إن دراسة البلاغيين لهذه الإمكانات التعبيرية في العربية إسهام طيب لإدراك الوسائل المختلفة التي يعبر بها عن الأمر في العربية. وشبه وبهذا ما فعله البلاغيون في دراسة الاستفهام وأساليبه المختلفة، فهناك استفهام بهل وبالهزمة وباستخدام من وما ومتى وكيف وأين.. الخ. ودراسة تكوين الجملة الاستفهامية بأدواتها وعلاقاتها ومعانيها مما يدخل في علم اللغة الحديث في دراسة بناء الجملة. وقديما شغل كثير من النحاة بالنهاية الإعرابية، وأخذ عليهم البلاغيون عدم الاهتمام بالمعنى، فتمزق الشكل والمضمون، فهل لنا أن نأخذه بهما مجتمعين؟.

لقد درست كتب النحو الامتناء مركزة البحث على العامل في المستثنى، وكأن النهاية الإعرابية جوهر الأمر، فأكمل البلاغيون هذا الجهد بمحاولة طيبة لدراسة انقصر، فهناك تراكيب مختلفة للقص في العربية، منها (لا .. إلا)، و(لم...إلا)، و(لـ .. لا .. إلا)، و(إنما ..) الخ. شغل كثير من النحاة هنا بالنهاية الإعرابية لما بعد أداة الاستثناء فاصلين بين أداة النفي المقدمة وأداة الاستثناء التي جاءت بعدها، والأقرب إلى

واقع أن يدرس التركيب بوصفه أسلوب قصر، على نحو ما نجد عند البلاعيين وعند
النعويين المحدثين، والأداة هنا مركبة على نحو ما نجد في لفات أخرى
كالإنجليزية not but أو الفرنسية ne que.

وصفة القول : أن الدراسة الحديثة في بناء الجملة تهتم بترتيب الوحدات
الصرفية في الجملة وتراعى الإعراب وتغيره للتعبير عن المعاني المختلفة، وهذا مما
بحث قديما بين علمي النحو والبلاغة.

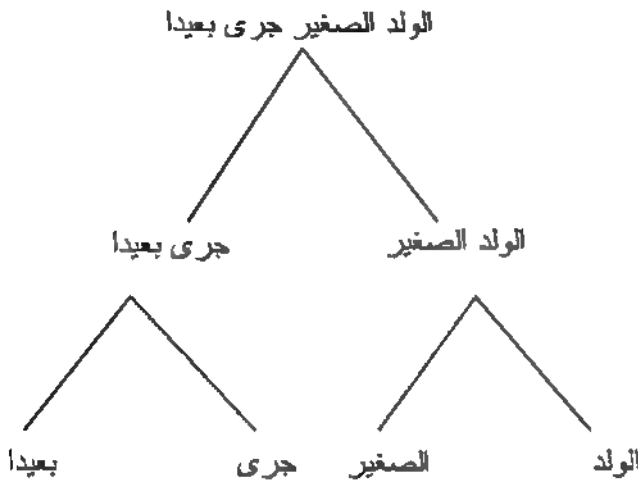
الفصل الثامن

المكونات المباشرة والنحو التوليدي التحويلي

أولاً : المكونات المباشرة

١- ترجع بدايات فكرة تحليل الجملة عند اللغويين في العصر الحديث إلى جهود نحوية كثيرة في القرن التاسع عشر، حاول أصحابها عمل دراسات وصفية للغات ولهجات شتى، تختص كل دراسة بلغة محددة أو بلهجة معينة. وكانت هذه الدراسات روافد مهمة لعلم اللغة المقارن وبقدر الدقة في المادة التي تضمنتها هذه الدراسات كان العمل المقارن، وبقدر القصور فيها استمر القصور في ادراسة المقارنة. ولكن التفكير المنهجي في إيجاد أدوات ومفاهيم للوصف النحوي كان وراء مدارس كثيرة في الدرس النحوي الحديث. إن التفكير في صقل مناهج البحث النحوي كان عملاً تشترك فيه مدارس علم اللغة في القرن العشرين، وفي مقدمتها المدارس الوصفية والمدرسة التوليدية التحويلية. وقدم علم اللغة في هذا الصدد عدداً من المفاهيم الأساسية منها مفهوم المكونات المباشرة Immediate Constituents يرجع هذا المفهوم إلى اللغوي الأمريكي بلومفيلد (١٩٣٣). ويمكن إيضاح هذا المفهوم بتحليل مثال عربي مماثل إلى حد بعيد للمثال الإنجليزي عنده. المثال العربي : الولد الصغير جرى بعيداً. هذا المثال يمكن تقسيمه إلى مكونين: هما: الولد الصغير، جرى بعيداً. المكون الأول يحل بعد ذلك إلى مكونين اثنين: الولد، الصغير، أما المكون الثاني فيتكون من مكونين اثنين: جرى ، بعيداً، وعلى ذلك تكون المكونات النهائية للجملة كلها أربعة : الولد، صغير، جرى، بعيداً. وتنظم هذه المكونات النهائية الأربعة في مكونين اثنين.

يكون هذا التحليل من أعلى إلى أسفل، فالجملة قسمت إلى قسمين كبيرين
سمى كل منهما المكون Constituent، ثم قسم كل مكون إلى مكونين حتى نصل
إلى المكونات النهائية Ultimate Constituents.



وهذا المنهج له طرائق تفصيلية مختلفة في مدارس اللغة قبل تشوسكى، ولكن نظرية
النحو عند المدرسة التحويلية التوليدية رأت - في هذا المنهج - الجوانب الآتية :

١- تعد فكرة المكونات المباشرة بداية تفكير جديد في التحليل النحوي، لقد ثبت أن
تتابع الكلمات في الجملة يقوم على علاقات محددة في داخلها. ونقرب هنا فكرة
بلومفيلد بمثال عربي هو : الرياضى القوى انطلق سريعا. يمكن تقسيم الجملة
السابقة إلى أربعة مكونات نهائية أوصغرى، وكل مكون هو كلمة واحدة. ولكننا
نجد كلمتين الأولى والثانية: الرياضى القوى، تكونان معا مكونا واحدا، وهو
تركيب من موصوف وصفة، ونجد الكلمتين الثالثة والرابعة تكونان مكونا ثانيا،
وهو تركيب من الفعل والمفعول المطلق المبين للنوع.

٢- مشكلة تحليل المكونات المباشرة تكمن فى عدم إمكان تعرف غموض المعنى. وذلك أن فهم المكونات المباشرة لا يؤدي إلى كشف غموض جملة مثل : الطالب والتلميذ العربى لا يحتاج إلى هذا الكتاب. والغموض هنا عد القارئ الحديث يرجع إلى سؤال مهم : هل المقصود الطالب العربى والتلميذ العربى كلاهما يحتاج إلى هذا الكتاب، أم أن كلمة العربى تصف التلميذ فقط. وهنا نصل إلى نقطة مهمة تفرق منهج تحليل المكونات المباشرة عن المباحث الأخرى التى جاءت بعده، وذلك أن المستوى الظاهر لا يقدم سوى "البنية السطحية"، أما الغموض الدلالي نتيجة التركيب فتفسره "البنية العميقة".

٣- فكرة التوزيع من أهم الأفكار التى تكونت فى التحليل النحوى الحديث. وترتبط فكرة التوزيع بمعيار الاستبدال، ومعنى هذا أن العناصر القابلة للاستبدال تكون نوعاً واحداً من أنواع الكلم. فى الحمل الاسمية: الطالب مجتهد، الطالبة مجتهدة، الطلاب مجتهدون، نجد الكلمات : الطالب، الطالبة، الطلاب. ويجوز فى هذه الجملة أن تحل هذه الكلمة محل تلك مع إحداث ما يلزم للمطابقة. ولهذا فهذه الكلمات تعد نوعاً واحداً من أنواع الكلم. وعلى هذا الأساس فإن الكلمات التى تصلح مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً تصنف نوعاً واحداً، وهو: الاسم.

٤- تحليل المكونات المباشرة لا يمكننا من إدراك العلاقات بين الحمل المتقاربة فى المعنى، بل كل جملة لها خصوصيتها الشكلية وكأنها معزولة عن غيرها. ولعل أقرب أمثلة ترد إلى الذهن يطارد الأسد الفريسة أو الأسد يطارد الفريسة. فى منهج المكونات المباشرة الحملتان مختلفتان، الأولى فعلية والثانية اسمية، ولا صلة بينهما، ولكن مستخدم اللغة يرى المعنى متقارباً والصلة وثيقة بين انحملتين.

٥- يركز تحليل المكونات المباشرة على "مادة لغوية" محددة، أى على نص أو مدونة أو كلام مطوق. ومن هذا المنطلق يكون تركيزه على مستوى الكلام وليس على مستوى اللغة بمصطلح دى سوسير، أى على مستوى الأداء وليس على مستوى

الكفاءة اللغوية بمصطلح تشوسكى. ومن ثم لا يكشف عن القواعد محروسة في العقل والتي تمكن من الإنتاج اللغوى.

٦- لا يكشف هذا المنهج عن وصف العلاقات بين أنماط الجمل التى بينها علاقة فى ذهن أبناء اللغة:

أ - العلاقة بين الحملة ذات الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول

كتب الطالب المحاضرة ← كتبت المحاضرة

ب - العلاقة بين فعل المطاوعة والفعل المبني للمجهول

انصق الصاروخ → أطلق الصاروخ

ج - العلاقة بين الإثبات والنفى :

كتب المدرس ← لم يكتب المدرس

د - العلاقة بين الخبر والاستفهام :

حضر الطالب → هل حضر الطالب؟

٧- لا يكشف هذا المنهج عن وصف الفروق الدلالية بين التراكيب المتماثلة، وذلك مثل التركيب الإضافى المكون من مضاف ومضاف إليه :

كتابة الصحفي جيدة كتابة الموضوع جيدة

ثانياً : المنهج التوليدي التحويلي وبناء الجملة :

اتجه اللغويون منذ سنة ١٩٥٧ بصورة متزايدة إلى بحث بناء الجملة، فقد كانت موضوعات الأصوات وبناء الكلمة قد نالت نصيباً كبيراً من الاهتمام على مدى مائة عام، ونوحتت الثغرات فى دراسة بناء الجملة فانصرف لغويون كثيرون إلى بناء الجملة، وارتبط هذا بالتزوع إلى الإفادة من الأجهزة الالكترونية فى البحث المعوى

تحقيق مريد من الدقة والموضوعية. وهنا ظهر النحو فى التحويلي التوليدي Generative Transformational Grammar. والفكرة الأساسية فى النحو التحويلي توليدى أن الوصف الدقيق للغة من اللغات إنما يعنى تحديد الإمكانيات التعبيرية لكامة فى هذه اللغة والتي يتقنى منها ويتوسل بها مستخدم اللغة إيجابا وسلبا. فوصف الاستخدام النغوى عند فرد بعينه ليس وصفا لطاقت اللغة، بل تعرف للقدرة النغوية بهذا الفرد. ومن هنا تتجاوز فكرة النحو التحويلي التوليدي مجرد وصف الأداء الفردى إلى محاولة تحديد "مجموع الإمكانيات التعبيرية" فى اللغة قيد الدراسة، وهذه الإمكانيات كامة عند مستخدم اللغة حتى إنه يستطيع بالمحتزن لديه منها أن يفهم جملا وتعبيرات لم يسبق له أن سمعها أو قرأها. وهذا هو معنى كون هذا الاتجاه "توليديا"، أى أنه يبحث إمكانيات توليد الحمل الجديدة اعتماداً على إمكانيات اللغة.

ويوصف هذا المنهج أيضاً بأنه "تحويلي"، التحويل هنا وسيلة من وسائل تعرف على طبيعة العلاقات بين الوحدات التي نعرفها باسم الكلمات، ولننظر مثلاً إلى التركيب المكون من : "الاسم + الضمير". لجد العلاقات الكامنة بين هذا الاسم وذلك الضمير متنوعة، ولنقارن بين أشياء تبدو من ناحية الشكل متضمنة لعلاقة واحدة مثل : (كتابي، أبى، وطنى، قميصى، دورى، سفرى). فهذه تعبر عن علاقات مختلفة وليس من الصحيح أن نقول : إنها علاقة الملكية، ولكي توضح تنوع هذه العلاقات نحاول نقل كل تعبير منها مبدلين إياه بتركيب بديل مفسر للعلاقة. وسنجد تفسير العلاقة متفاوتاً متنوعاً. فكلمة كتابي تعنى الكتاب الذى ألفته أو الكتاب الذى أملكه. وهنا نجد علاقتين تخسفاً عن العلاقة الكامنة فى الاسم فى : "أبى" فالأب هو الإنسان الكبير الذى أنتمى إليه انتماء بيولوجيا مباشراً، العلاقة هنا مختلفة عن العلاقتين الكامنتين بين لاسم والضمير فى : "معطفى" فهو المعطف الذى أملكه أو أرثنيه لو كان المتكلم ممثلاً يقوم بدور معين، وهذه العلاقات مختلفة بدورها عن "بدى"، فالعلاقة هنا علاقة انتماء مواطن إلى وطن صغير أو كبير، وكل هذا مختلف عن العلاقة

بين الاسم والضمير في "سفرى"، أى السفر الذى قمت أو أقوم به، وهنا يلاحظ أن كل هذه الأشياء متفقة شكلا ولكنها مختلفة فى الدلالة على العلاقات.

فإن كان يصدد تصميم جهاز للترجمة الآلية لكان على اللغوى أن يزوده بالأشكال الصرفية المتاحة وبالعلاقات القائمة بينها فى اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها حتى يتمكن الجهاز من اختيار التعبير المقابل، وهنا نتبين أن أشياء كثيرة تبدو بسيطة ولكنها فى حقيقة الأمر متنوعة، تحتاج لأبراز هذا التنوع إلى التحويل حتى يتسنى لنا فهم العلاقات الكامنة بينها.

وهناك أشياء كثيرة لاحظها النحاة. ويفيد منها الباحث الحديث بالمنهج التحويلي إذا أراد تحديد العلاقات، وقد تحدث النحاة العرب موضحين علاقتين كائنتين فى تركيب مثل "قُتل زيد". قد يكون زيد هو القاتل وقد يكون هو المقتول، وبمعنى النحاة قد يكون هذا من قبيل إضافة المصدر إلى فاعله أو إلى مفعوله، ونستطيع بالمنهج التحويلي إدراك الفرق بينهما بأن نجرب لإحلال عن طريق التحويل، وذلك من خلال الفعل محل المصدر، نجد أن "قُتل زيد" تقابل : قُتل زيد (بفتح القاف)، أو قُتل زيد (بضم القاف) أى أن هذا المصدر يقابل الفعل المبنى للمعلوم أو المبنى للمجهول، وهذا ما يفسر كون هذا التركيب فى العربية حاملا إمكانيتين اثنتين فى التعبير، وعلى العكس من هذا نجد العلاقة الكامنة بين المصدر والمضاف إليه فى "وصول على" ذات دلالة واحدة، وهذا يرجع - كما يقول اللغويون - إلى كون مقابل هذا بالمنهج التحويلي فعلا لازما. ونستطيع كذلك بالمنهج التحويلي - أيضا - إدراك الفرق بين المفعول به الأول والمفعول به الثانى فى الجملة العربية، ففى الجملة "أعطيت التلميذ كتابا" يتضح الفرق الوظيفى بنقل هذه الجملة إلى المبنى للمجهول، "أعطى التلميذ كتابا" أعطى كتاب إلى التلميذ"، والمفعول الأول قابل لحرف الجر عند التحويل ولكن المفعول الثانى غير قابل لحرف الجر.

وأخيراً نود أن نقول بأن أصحاب المنهج التحويلي قدموا لنا وسيلة نستطيع بها إبراز اختلافات كامنة في علاقات الوحدات الصرفية في داخل الجملة. والسنوات القادمة كقيمة بإبراز مدى جدوى ذلك في برامج الترجمة الآلية ومدى الفصور في دس. النظرية التوليدية التحويلية تهدف في المقام الأول إلى تعرف القواعد الكامنة في انقل الإنساني وراء تكوين الحمل في اللغات الطبيعية.

ويقوم التحليل التوليدى التحويلي على ثلاثة مكونات :

أ - قواعد تركيب العبارة، ويمكن التوصل إليها عن طريق تحليل الجملة إلى مكونات صغيرة، وهكذا حتى يتم تحليل الجملة إلى أصغر عناصرها.

ب - القواعد التحويلية، أى القواعد التى يمكن بواسطتها تحويل الجملة إلى جملة أخرى تشابه معها فى المعنى، وذلك مع ملاحظة علاقات الحمل المتماثلة، والإجراءات التى تحدث لتجعل جملة على مستوى السطح تختلف عن الحمل الأخرى عن طريق :

١- الحذف ٢- التعويض ٣- التوسع ٤- الاختصار

٥- الزيادة ٦- إعادة الترتيب ٧- التقديم

جـ القوانين الصرفية الصوتية، وهى القوانين التى تشكل الجملة على مستوى البنية السطحية، ومن ذلك القواعد الصرفية والصوتية.

إن البحث علاقة بين "البنية السطحية" و"البنية العميقة" يعد محورياً مهماً لتحليل بناء الجملة. وغموض دلالة البنية السطحية لا يفسر إلا على أساسى تعدد الأبنية العميقة لها. فإذا قلنا : قرء الشاعر متمعة، فهنا أحد أمرين أحدهما يتعلق بقراءة الشاعر بصوته وثانيهما يتصل بقراءتنا لشعره.

هذا اتعدد فى فهم التركيب فى البنية السطحية هو انعكاس لتركيبه فى البنية العميقة.

لا يكتفى التحليل النحوى بمعرفة التراكيب الموجودة بالفعل، بل عليه أن يحدد ما يقببه النظام اللغوى، وما لا يقبله. إن الجملة تمثل بالضرورة تنابعا من الوحدات الصرفية أو المورفيمات، ولكن ليس كل تنابع من الوحدات الصرفية يكون بالضرورة حملا مفيدة. ولهذا فإن هناك قواعد تحدد كيفية تنابع هذه المورفيمات لتكوين جملة وأداء معنى. ومن هنا يميز نحويون معاصرون بين مصطلحي Grammatical بمعنى مطابق لقاعدة النحوية أو نحوى، وعكس ذلك Ungrammatical أى غير مطابق للقاعدة أو غير نحوى. وليس المقصود بطبيعة الحال المعرفة النظرية الواعية بذلك، بل هذا التصنيف عند النحوى يقوم على ما استقر عند أبناء الجماعة اللغوية. فإذا قفنا : الشجرة لتلميذ زرع، عرفنا كما يعرف أبناء العربية بحسهم اللغوى أن تركيب غير نحوى، أما التركيب النحوى فهو : زرع التلميذ الشجرة. وها يكون من مهام التحليل النحوى أن يكشف القواعد الدالة على الممكن وغير الممكن من حيث التركيب النحوى أو المكون الدلالى.

يهدف التحليل النحوى فى المدرسة التوليدية التحيلية إلى تعرف ما يأتى :

أ - الحمل الصحيحة نحويا، وهى الحمل التى يدرك ابن اللغة بالحدس اللغوى السليم أنها مفهومة ومقبولة.

ب - تركيب الكلمات والوحدات الصرفية طبقاً لنظام اللغة.

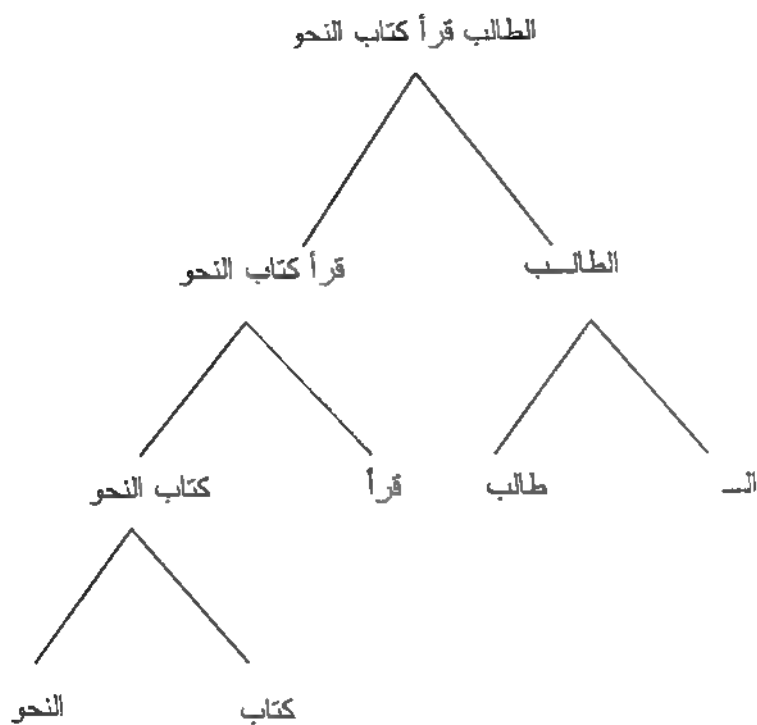
ج - معرفة الغموض الببوى، وكشف جوانب التراكيب ذات الغموض بردها إلى ما يقابلها فى البنية العميقة.

د - معرفة العلاقات بين الحمل المتماثلة فى المعنى.

هـ - معرفة الوظيفة النحوية لكل جزء فى الجملة.

ر - تعرف قواعد القدرة اللغوية لدى أبناء اللغة على إنتاج عدد لا بهائى من الحمل الممكنة طبقاً لقواعد اللغة وفهمها، لأنها صادرة عن منظومة القواعد المكونة للغة.

- يقوم تحليل بنية الجملة فى النحو التولىدى التحويلى على عملية تقسم وتنحجر. تقسم الجملة إلى أركان ثم إلى وحدات صرفية وتعرض بطريقة الشجرة المقلوبة.



الـ + طالب = مركب اسمى

قرأ + كتاب + النحو = مركب فعلى

الفصل التاسع

علم الدلالة المعجمية

أولاً : علم الدلالة

لا تقوم البنية اللغوية على مجرد تتابع الأصوات المكونة للأبنية الصرفية في نسق الحزمة، بل لابد أن تكون هذه الرموز حاملة للمعنى. وتعد قضية الدلالة من أقدم قضايا الفكر في حضارات مختلفة، أسهم فيها فلاسفة ومناطق ولغويون وبلاغيون وأصوليون من العرب وغيرهم، وتقدم البحث الدلالي في إطار علم اللغة الحديث من جانبين، فمن الناحية المنهجية حدث تقدم في نظرية الدلالة ومن الناحية العملية كان التقدم في إعداد المعاجم. وفوق هذا كله، فقد أصبح البحث الدلالي موضع اهتمام المتخصصين في الفلسفة والعلوم الاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية.

علم الدلالة من أهم جوانب علم اللغة، الاهتمام به قديم، واتجاهاته الحديث في تقدم مطرد، وتطبيقاته في إعداد المعاجم الكثيرة، وأهميته في تعليم اللغات لغير الناطقين بها تتأكد يوماً بعد يوم. وعلى الرغم من ندرة البحوث العربية في هذا المجال في العصر الحديث فإن كتباً أوروبية وأمريكية كثيرة تناولت الدلالة والكثير من قضاياها. ولذلك فإن عدداً من المصطلحات الأوروبية لتسمية هذا الفرع من فروع المعرفة قد تدوالت في البحوث المتخصصة.

وأهم هذه المصطلحات بالفرنسية (Semantique) وعنه أخذت الكلمة الإنجليزية (Semantics) والألمانية (Semantik). ويرجع المصطلح الفرنسي إلى العالم برييل (Bréal) في عنوان كتاب له (١٨٨٣). وهذا المصطلح الأوربي يرجع إلى اليونانية، اشتقه برييل من Semantikos بمعنى العلامة و Semaínein بمعنى دل. وكان برييل يريد به أن يسمى البحث عن الدلالة في مقابل البحث الصوتي، وبعد هذا الكتاب. من أوائل الكتب التي بحث طبيعة الدلالة بوجهة نظر جديدة تضع بنية اللغة

موضع البحث. وكان جهد برييل فى هذا المجال مؤثراً فى جمهور الساحتين فى هذه القضايا. فانتشر مصطلحه وساد عند اللغويين وعند غيرهم. وثمة فرق بين جهد المعويين واهتمامات غيرهم، فأصحاب تاريخ الفلسفة - أيضاً - يستخدمون مصطلح Semantics فى إطار بحثهم عن المعرفة، ويعنون به بحث العلاقة بين الكلمات وما تدل عليه فى الواقع الخارجى. وأصحاب الفلسفة المعاصرة يستخدمون أيضاً هذا المصطلح فى إطار نظرياتهم حول "النحو المنطقى" الذى يقوم على أساس تصور نظرى مجرد يشبه المعادلات الرياضية. وليست له علاقة باللغة الطبيعية أو اللغات فى واقعها المدرك. وليس من شأن البحث الدلالى عند اللغويين الاهتمام بتصوير نظرى مجرد منبث الصلة بالواقع اللغوى الحقيقى، تاركين هذا الاتجاه لبحوث فلسفية والمنطقية المعاصرة، أما تلك البحوث التى تعتمد على الواقع اللغوى، فهى عمل اللغويين وهى - أيضاً - موضع اهتمام وبحث عند بعض أصحاب الفلسفة المعاصرة.

وهناك مصطلحات أخرى سُمى بها البحث الدلالى عند اللغويين فى مؤلفاتهم باللغات الأوروبية، ومن هذه المصطلحات الألمانية Semasiologie، وعنه فى الإنجليزية Semasiology. وهذا المصطلح سابق على مصطلح برييل بأربع وأربعين سنة، فقد ألف اللغوى الألمانى رايسج مستخدماً هذا المصطلح سنة ١٨٣٩. وثمة فرق بين منهج رايسج وبحث برييل، الأول يبحث الدلالة فى إطار المدرسة التاريخية والثانى يبحث البنية الدلالية. لقد حدد رايسج موضوع البحث - هنا - بأنه دراسة اقواعد العامة التى تفسر تطور المعنى، وكان هذا الهدف التاريخى أمامه فى بحث الدلالة، فهو لا يهتم بالدلالة ووسائل تحديدها، ولكنه يهتم بتغير الدلالة ويحاول تفسير هذا التغير.

وإذا كان المصطلحان السابقان ينطلقان من الصيغة اللغوية فى محاولة لتعرف دلالتها، فإن هناك مصطلحاً يستخدم للوجهة العكسية أى الانطلاق من المعنى فى

محاولة للبحث عن الكلمة أو الكلمات الدالة عليه، ويطلق على هذا الاتجاه مصطلح Onomasiology أى "علم التسمية"، وقد أفادت معاجم الموضوعات من هذا الاتجاه فصفت كلماتها موضوعياً.

من المصطلحات الأوربية الدالة على علم الدلالة كثيرة، تختلف اتجاهاتها تتعدد المدارس، وقد اقتصرنا على أهم ثلاثة مصطلحات. أما فى العربية فقد استقر مصطلح 'علم الدلالة'، ويفصله جمهور الباحثين عن تسمية هذا الفرع باسم "علم للمعنى". ولعل من أهم أسباب تفضيل المصطلح الأول أصالته ووضوحه، وكذلك سهولة النسبة إليه دون لبس أو غموض، فالنسبة إلى الدلالة دلالية، ولكن النسبة إلى المعنى معنوية، والكلمة الأخيرة "معنوية" لها دلالة مغايرة تجعلها على عكس "المادى". ولهذا كله فإن تسمية هذا الفرع فى العربية "علم الدلالة" تعد من المصطلحات المستقرة لدى أكثر اللغويين العرب المعاصرين.

ثانياً : مناهج علم الدلالة والمعجمات الحديثة :

يبحث علم اللغة الحديث مجالاته المختلفة، وهى : الأصوات وبناء لكمة وبناء الجملة والدلالة، بأربعة مناهج، وهى : المنهج الوصفى والمنهج التاريخى والمنهج المقارن والمنهج التقابلى. ومعنى هذا أن البحث الدلالي يمكن أن يتم بكل منهج من هذه المناهج، وعلى ذلك فهناك : علم الدلالة الوصفى، وعلم الدلالة التاريخى وعلم الدلالة المقارن وعلم الدلالة التقابلى.

أ - علم الدلالة الوصفى جزء من الدراسة اللغوية الوصفية، وهى الدراسة التى تبحث لغة واحدة أو لهجة واحدة فى زمن بعينه أو مكان بعينه. وعلى هذا، فإعداد دراسة دلالية عربية لشعر الجاهلى أو دراسة دلالية للقرآن الكريم أو دراسة دلالية لعربية الفصحى المعاصرة تعد من قبيل الدراسة الدلالية الوصفية. وكل دراسة دلالية مستوى معوى واحد تدخل فى هذا الإطار. سواء أكانت هذه الدراسة للغة قديمة أو حديثة، ولهجة قديمة أو حديثة. وهذه الدراسات الدلالية الوصفية من شأنها أن

تكون مفيدة في إعداد معاجم المستوى اللغوى الواحد، أى معاجم اللغة الواحدة فى عصر بعينه أو معاجم اللهجة الواحدة فى عصر بعينه ومكان بعينه.

ب - عم الدلالة التاريخى جزء من الدراسة اللغوية التاريخية، يبحث لغة واحدة أو لهجة واحدة دراسة تاريخية عبر القرون. والفرق بين البحث اللغوى الوصفى والبحث اللغوى التاريخى أن الأول يعنى بدراسة اللغة الواحدة أو اللهجة الواحدة فى زمن بعينه والثانى يدرسها عبر الزمن. وهذه الدراسة الدلالية التاريخية مرتبطة أو تنسب الارتباط بالمعاجم التاريخية، أى معاجم اللغة الواحدة فى نموها التاريخى عبر القرون.

ج - علم الدلالة المقارن جزء من الدراسة اللغوية المقارنة، وهى الدراسة التى تبحث مجموعة لغات من أصل واحد، أى تنتمى إلى أسرة لغوية واحدة فدراسة الدلالة فى مفردات اللغات السامية بالمنهج المقارن يعنى دراسة هذه المفردات فى كل اللغات السامية لتعرف المعنى الأقدم ولتحديد مسار التغير الدلالي لهذه المفردات فى كل لغة من هذه اللغات. وهذه الدراسة الدلالية المقارنة وثيقة الارتباط بالمعاجم التأصيلية التى توضح أصول المفردات وكذلك بالحوانب التأصيلية من المعاجم العامة عندما يذكر تأصيل الكلمة فى أول المادة وقبل شرحها. وتأصيل المواد والمفردات سمة أساسية فى المعاجم الحديثة، ومن الجديد فى المعجم الكبير الذى يصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

د - عم الدلالة التقابلى جزء من الدراسة اللغوية التقابلية، وهى الدراسة التى تبحث : لغة ولغة ، أو : لغة ولهجة، أو لهجة ولهجة، أو لهجة ولغة. إن الدراسة التقابلية هادفة إلى بحث الفروق بين اللغة (أو اللهجة) الأم التى نشأ عليها الفرد، واللغة (أو اللهجة) المنشودة التى يريد أن يتعلمها. فالفرق بينهما جزء أساسى من الصعوبات الموضوعية التى تواجه أبناء اللغة (أو اللهجة) الأولى فى محاولتهم اكتساب اللغة الثانية. والبحث الدلالي التقابلى عندما ينظر فى المستويين محددا الفروق الدلالية

بين المفردات في كلتا اللغتين يكون قد حدد الجانب الدلالي من الصعوبات في اكتساب اللغة الثانية. وفوق هذا، فإن الدراسة التقابلية من شأنها أن تقدم نتائج مهمة وحاسمة في إعداد المعاجم المزدوجة اللغة.

وهكذا نجد لمناهج علم اللغة تطبيقاتها في الدراسة الدلالية، ونجد لكل مهج في الدراسة الدلالية ارتباطه الوثيق بضرب من المعاجم، وكأن الدراسة الدلالية بحث أساسي وإعداد المعاجم جانب تطبيقي لها.

ثالثاً : تطور الاهتمام بالدلالة :

يعد الاهتمام بالدلالة من أقدم الاهتمامات الفكرية عند الإنسان، كانت قضية الدلالة مرتبطة عند اليونان بعدد من التساؤلات الفلسفية، فقدمى السوفسطائيين قبل سقراط طرحوا عدة قضايا لها صلة بالدلالة. وفي مقدمتها: هل علاقة اللفظ بمعناه "طبيعية" أو 'مجرد مواضعة وعرف إنساني". ودار الحديث عن التسمية والمسمى والعلاقة بينهما، في اتجاهين، فثمة قائل بأن العلاقة طبيعية لا تنفصم، فنكل كلمة دلالتها ولكل مسمى تسميته، فإن صح هذا وكان لكل مسمى تسميته طرحت بالضرورة قضية "ترادف" أى دلالة كلمتين اثنتين على مسمى واحد. والرأى المضاد يقول بأنه لا توجد علاقة طبيعية بين التسمية والمسمى أى بين اللفظ وتلك الدلالة، ولذلك فليس ثمة ما ينفي وجود الترادف. لقد امتد النقاش حول طبيعة العلاقة بين اللفظ ودلالته من عهد السوفسطائيين وسقراط إلى أفلاطون، واتسعت دائرة البحث الدلالي بمضى الوقت، ونظر البعض في هذه القضية فلاحظ وجود الكلمة الواحدة بأكثر من معنى، ونظر آخرون في هذه القضية من الدلالة إلى الكلمة وأثبتوا وجود اشئ الواحد بأكثر من تسمية. وكلا المدخلين بداية اتجاه، الأول في علم الدلالة Semantics والثاني في علم تسمية الأشياء Onomasiology.

وعند أفلاطون (في محاوراة قراطيلوس Kratyllos) طرح - أيضاً - سؤال آخر حول اللغة والمعرفة، فهل المعرفة الحقيقية للأشياء ممكنة عن طريق اللغة أم لا؟ وإلى أي حد تعد اللغة وسيلة للمعرفة؟ وهنا نجد أفلاطون يرى علاقة التسمية بالمسمى في قسم منها طبيعية، ولكنه يؤكد أهمية العرف ودوره في تثبيت هذه العلاقة وكسبها بعدا اجتماعيا. غير أن أفلاطون جعل اللغة مستقلة عن المعرفة، اللغة لها علاقتها مع الواقع. وهذه العلاقة وحدها تارة طبيعية وأخرى عرفية، ولكن المعرفة في نروعها نحو الحقيقة لا يمكنها أن تعتمد على اللغة، فاللغة ليست هي الوسيلة المثلى لمعرفة، وهكذا طرحت في هذه الفترة المبكرة عدة قضايا دلالية، ومسائل أخرى في اللغة والمعرفة ذات ارتباط وثيق بالدلالة.

وكان أرسطو صاحب نظرات دلالية في اللغة، لقد أثبت أن الكلمة ليست مجرد أصوات منصوقة، بل المعنى جزء متكامل من الكلمة، فلا توجد كلمات تكون مجرد أصوات. وعندما قسم أرسطو أنواع الكلام جعل ذلك على أساس دلالي، فالاسم والفعل بهما في نفسيهما معنى على العكس من الحرف فليس له في معنى نفسه. والفرق بين الاسم والفعل يرجع بدوره إلى أمر دلالي، فالاسم دلالة مستقرة عن الزمن في حين ترتبط دلالة الفعل بالزمن. وقد ظل تقسيم أرسطو أنواع الكلام على هذا النحو مؤثرا في الحضارة الأوروبية، بل وفي النحاة العرب عدة قرون، وهو تقسيم يقوم في جانب منه على أساس دلالي.

وبتقدم الزمن تغيرت اللغة اليونانية، فكانت قضية التفسير الدلالي موضع اهتمام رقرلس Proklos في القرن الخامس الميلادي. لقد لاحظ رقرلس بعد قرون من تدوين اللغة اليونانية وبعد انتشارها في مناطق واسعة من العالم القديم وبعد استخدامها في الشعر وانتشور المستويات اللغوية باختلاف الزمن وتنوع اللهجات واختلاف لغة الشعر عن النثر. وكانت الدلالة جانبا من هذا الاختلاف والتنوع. فطرح رقرلس قضية

التغير الدلالي، وحاول أن يفسره بالتغير الحضارى، ولاحظ أن التغير الدلالي يتخذ عدة أشكال منها امحار وتوسيع المعنى وتخصيص المعنى. وهكذا كان الجهد الدلالي عند قدماء اليونان حول العلاقة بين التسمية والمسمى، ثم حول اللفظة وسبلة للمعرفة، وأخيرا كانت قضية التغير الدلالي موضع اهتمامهم.

وقد كان الاهتمام بالقضايا الدلالية فى إطار الحضارة العربية الإسلامية كبيرا، شغلت به عدة بيئات لأسباب متنوعة. فاللغويون من أصحاب المعاجم اهتموا بالدلالة فى إطار تحديدهم للدالة الألفاظ، والبلاغيون شغلوا بقضية الحقيقة والمحار، والأصوليون شغلوا بقضية الدلالة فى مقدمات كتب عدم أصول الفقه فى إطار تعرفهم الدلالة فى اللغة بوصفها وسيلة لفهم النصوص واستخراج الأحكام. أما الفلاسفة والمتكلمون فقد عرفوا القضايا التى أثارها أرسطو فى الدلالة وناقشوها وأضافوا إليها.

كان اهتمام اللغويين العرب بالقضايا الدلالية والمعجمية فى ثلاثة اتجاهات بين النظر والعمل. العمل المعجمى كان سابقا عندهم على أعمال الفكر فى القضايا النظرية، فلجهد المعجمى العربى بدأ مع بداية الازدهار الحضارى. أما التفكير النظرى فى قضايا الدلالة فكان بعد ذلك. لقد نشأت فى القرن الثانى الهجرى حركة للتأليف المعجمى الموضوعى، فظهرت تلك الرسائل اللغوية فى موضوعات محددة. ألف الأصمعى فى 'خلق الإنسان' وألف أبو زيد الأنصارى فى 'النبات والشجر'. وكلا الكتابين رسالة تضم ألفاظ موضوع بعينه، الأولى فى الألفاظ الخاصة بجسم الإنسان من رأسه إلى قدمه، والثانية خاصة بالألفاظ الخاصة بالنبات والشجر من حيث أنواعه وأقسامه وتسميات كل ذلك. وقد تزامن هذا الجهد فى تأليف الرسائل مع جهد آخر لا سيبعد أنماط العربية فى معجم واحد، وكتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدى أقدم المعاجم العربية. لقد تنوعت اتجاهات العمل المعجمى العربى، فثمة معاجم حدث حذو والخليل فى ترتيبها صوتيا وهناك معاجم أخرى اتبعت الترتيب

الهجائي للحروف (أ ب ت ث ج ح خ .. الخ)، ورتبت فيها المواد طبقاً للحرف الأخير ثم للحرف الأول من حروفها الأصول، وأهم هذه المعاجم : لسان العرب لابن منظور (المتوفى ٧١١ هـ) والقاموس المحيط للفيروز أبادي (المتوفى ٧٦١ هـ) وتاج العروس للزبيدي (المتوفى ١٢٠٥ هـ). وإلى جانب هذه المعاجم التي ترتب الكلمات وفق حروفها الأصول، عرفت الحضارة العربية معاجم ترتب كلماتها وفق الموضوعات، أهم هذه المعاجم : المخصص لابن سيده الأندلسي (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ)، وكل هذه الأعمال المعجمية تقوم على تصور نظري وتطبيق عملي، وتعد من أهم ما أنجزه اللغويون العرب.

شغل كثير من اللغويين العرب بقضايا كثيرة من البحث الدلالي، في مقدمتها: الحقيقة والمجاز، والترادف، والأضداد، والمشارك. وكانت هذه القضايا - أيضاً - موضع اهتمام البلاغيين والأصوليين، تعد قضية الحقيقة والمجاز مفتاح فهمهم لقضية الدلالة وتغيرها، فالمعنى الحقيقي ما وضع على أصله في اللغة، هو المعنى القديم الصحيح، هو المعنى المباشر. على وعكس هذا فإن المعنى المجازي هو المعنى الجديد المخالف لمعناه الحقيقي، هو المعنى الفني للفظ له استخدامه العادي الآخر، هو المعنى غير المباشر للفظ له استخدامه المباشر. ولكن المشكلة التي حدثت مجال البحث عندهم أنهم لم يمتروا بالتغير اللغوي، ولم ينظروا في إمكان أن يكون المجاز سبيلاً واضحاً لإحداث تغير دلالي. وتوضع هذه المشكلة - أيضاً - في الموقف الذي صدرت عنه كتب "لحن العامة"، من رسالة "ما تلحن فيه العامة" للكسائي (المتوفى نحو ١٨٩ هـ) و"درة الغواص" للحريري (المتوفى ٥١٦ هـ) و"تقييد اللسان" لابن مكى الصقلي (المتوفى ٥٠١ هـ). ويتخلص هذا الموقف في أن التغير الدلالي "لحن" و"خطأ" و"بغى أن تستخدم المفردات بمعناها القديم ولمعناها القديم

أما قضايا الترادف والأضداد والمشارك فكانت أيضاً موضع اهتمام اللغويين وحلافهم أيضاً. قال بعضهم بوجود الترادف على أساس اتفاق المعنى بين كلمتين

وأنكر بعضهم ذلك لفروق بين الكلمتين. قال بعضهم بوجود الأضداد بأن تدل الكلمة الواحدة على الشيء ونقيضه كدلالة الجون على الأبيض والأسود، وأنكره بعضهم. قال بعضهم بوجود المشترك بأن تدل الكلمة على معنيين اثنين كدلالة العين على العين الباصرة وعين الماء. وتناولوا كل هذه القضايا، جاء المدافعون بالشواهد وأنفوا فيها الكتب، وفصلوا القول فيها تفصيلاً وبالغوا في ذلك أحياناً. وكل هذا يعكس اهتماماً جاداً بالقضايا الدلالية في التراث العربي.

رابعاً : البحث الدلالي الحديث بين النظرية والتطبيق المعجمي :

نقد حقق البحث الدلالي الحديث منذ القرن التاسع عشر نتائج كثيرة بمناهج متعددة تتابع ظهورها، وتنوعت أسسها النظرية، واختلفت وجهاتها في تحديد المعنى.

(١) يعد بحث الدلالة في إطار المدرسة التاريخية بداية البحث الدلالي الحديث، وكان الباحث الألماني رايسغ Reisch من أهم الباحثين في هذا الاتجاه. أن هدف البحث الدلالي عنده أن يبحث تغير الدلالة، وبعد هذا فإن من شأن البحث الدلالي أن يفيد في تبيين الفروق بين المترادفات. وهنا نجد مجال الدلالة عنده ليس بحثاً تاريخياً فحسب، بل هو أسلوبى أيضاً، فالتغير الدلالي أمر تاريخي، وتعرف المترادفات والظلال الدلالية بينها أمر أسلوبى. وكلا الأمرين كان عنده من مجالات علم الدلالة. إن رأى رايسغ في التغير الدلالي دال على اتجاه البحث الدلالي في إطار المدرسة التاريخية. التغير الدلالي لا يحدث وفق قواعد اشتقاقية أو نحوية، بل له قواعده الخاصة به، والدراسة اللغوية تبحث التغير في الأصوات والصيغ وتكوين الجمل، وتبحث أيضاً التغير الدلالي، وهو تغير له قواعده التي ينبغي أن توضع لنا العلاقة بين المعنى القديم والمعنى الجديد.

إن انتغير الدلالي عند رايسغ له عدة اتجاهات :

أ - تخصيص الدلالة، أي إطلاق الكلمة ذات المعنى العام على معنى خاص ونكبي نوضح هذه الفكرة بمثال عربي نلاحظ مثلاً أن كلمة "مدرسة"

كانت تطلق في القرن التاسع عشر في مصر على كل مؤسسات التعليم،
تحصصت بعد ذلك فأصبحت تطلق على مؤسسات التعليم العام و لمهى
أحياناً، ولم تعد تطلق على مؤسسات التعليم العالى.

ب - تعميم الدلالة، أى إطلاق الكلمة ذات المعنى الخاص على معنى عام.
ولكى أوضح هذه بكلمات مستخدمة فى العربية نلاحظ أننا نسمى دولة
كبى فى أوربا باسم "ألمانيا"، وهذا الاسم فى العربية مأخوذ -بطريقة غير
مباشرة- عن اسم تجمع بشرى يشغل أحد الأقاليم فى وسط أوربا على
الحدود مع فرنسا، فهؤلاء الذين يعرفون باسم Alemannen يسوا كل
الشعب، بل هم جماعة منه، جاوروا فرنسا، فأطلق اسمهم فى لغتها على
كل الشعب، وأخذت العربية مع الاتصال بأوربا الحديثة هذه الكلمة عن
الفرنسية. ولو ذكرت تلك الكلمة الألمانية فى لغتها لدلت على جماعة من
الشعب، ولكن الكلمة دخلت الفرنسية ثم العربية لتدل على كل الشعب.

ج - التعبير بالكلمة الدالة على العضو لتدل على أثره، مثال ذلك فى العربية
كلمة لسان التى دلت على عضو فى الفم، ثم دلت على مسا يحدثه هذا
العضو من أصوات تكون كلمات تؤلف جملاً لتحمل معنى، أى على اللغة.
والى اليوم يتوازى كلا المعنيين، فنحن نذكر تشريحاً
اللسان، ثم نتحدث عن الدراسة بكلية الألسن. وشبه بهذه الكلمة العربية
بدلاتيها كلمة Tongue فى الانجليزية.

د - اتعير بالكلمة الدالة على الشئ المادى لتدل على تصور معنوى، مثال ذلك فى
العربية أن نقول : هذه الفكرة ثمرة جهد متصل، وكلمة الثمرة لا تدل ها على
اشرة مادية الملموسة ذات الحجم والوزن، ولكنها الثمرة بمعنى النتيجة. وقد
تأكدت فكرة تحول الدلالة من المادى إلى المعنوى عند كثير من الباحثين فى
القرن التاسع عشر، فوجود كلمة بمعنيين أحدهما مادى والآخر معنوى كان يجعل

المبحث يقدم المعنى المادى على المعنى المعنوى وظلت هذه الفكرة سائدة فى
المبحث الدلالى التاريخى.

٢) كان للبحوث النفسية والأنثروبولوجية وإعجاب الكثيرين فى أواخر القرن التاسع
عشر وأوائل العشرين بنتائجها أثر بعيد فى البحوث الدلالية، وتناول علماء النفس
قضايا الدلالة من عدة جوانب فى إطار نظرياتهم ومناهجهم. وأهم الاتجاهات
النفسية فى دراسة الدلالة قد تطورت على النحو التالى :

أ - حاول عدد من الباحثين فى أواخر القرن الماضى، منهم الألماني هينخت (١٨٨٨)
Hecht بحث قضية التغير الدلالى على أساس قواعد مطردة مستقرة فى النفس
الإنسانية، وكان علم نفس الشعوب Völkerpsychologie - فى تلك الفترة -
يهدف عن طريق المقارنة إلى معرفة تلك القواعد المطردة المستقرة فى النفس
الإنسانية. كان البحث الدلالى المتأثر بهذا الاتجاه يحاول أن يفسر التغير
الدلالى بالبحث عن الفعل النفسى الكامن وراء التغير.

ب - عرف الباحثون المواقف النفسية من بعض الكلمات، وأن مجموعات محددة
تصنف فى إطار الكلمات المحرمة أى فى إطار التابو Taboo، وأمكن ملاحظة أن
التابو السغوى يجعل بعض الكلمات موضع حرج فلا تذكر فى الحديث العادى.
وأهم هذه المجموعات ما يدل على الأمراض الخبيثة والوحوش الكاسرة وأنفاذ
الجنس. وفسر الباحثون فى علم النفس هذه المجموعات بملاحظاتهم حول ربط
الإنسان بين هذه الكلمات وما تدل عليه، فكأن النطق باسم الحيوان المفترس
استدعاء له، يتجنه الإنسان خوفاً من بطشه، وقد أدت هذه الظاهرة إلى تنوع كبير
فى أسماء الحيوان المخيفة للإنسان فى كل بيئة لغوية، وما أكثر تسميات الأسد فى
العربية وما أكثر تسميات الثعابين فى لغات كثيرة، وهى تسميات نشأت - فيما
يدور - لتكون صفات لهذا الحيوان، ثم استقرت بعد ذلك. أما الأمراض الخبيثة
فمن يتجنب ذكرها، وأصبح نطق اسمها إيذاءً لشعور السامع، وكأن ذكر اسم

المرض تقرب للمرض نفسه من السامع. ولاحظ باحثون أيضا أن عوامل نفسية تكمن وراء تجنب ذكر كلمات دالة على الجنس بشكل مباشر، ويتم التعبير عنها في التعامل العلمى بكلمات أجنبية.

ج - بحث السلوكيون من علماء النفس جوانب السلوك الانساني باعتبارها سلسلة تتألف من المثير Stimulus والاستجابة Response. وكان الدعوى الأمريكى بلومفيلد يبحث اللغة فى إطار المدرسة السلوكية وشاركهم تصورهم فى أن معنى الصيغة اللغوية هو الموقف الذى ينطق فيه المتكلم تلك الصيغة والاستجابة التى تثيرها هذه الصيغة لدى السامع. والمعادلة عنده على النحو التالى :

موقف المتكلم ← الكلام ← استجابة السامع

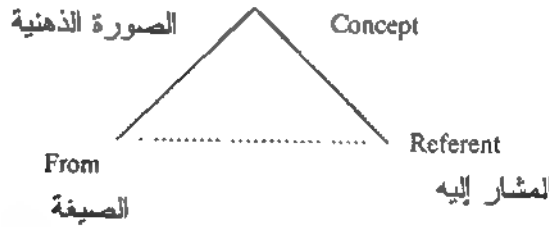
يرى بلومفيلد الصلة وثيقة بين موقف المتكلم والاستجابة لدى السامع. ولكن المواقف التى تجعلنا نستخدم الكلام تتضمن كل شئ فى الحياة وكل ما يحدث فى الكون، ولذا يرى بلومفيلد أن إعطاء تحديد دقيق لمعنى الصيغة اللغوية يشترط وجود معرفة دقيقة بكل شئ فى عالم المتكلم. وهكذا عقد بلومفيلد أمر الدلالة وجعلها أضعف جانب فى دراسة اللغة، حتى تكتمل معلوماتنا العلمية عن العالم.

د - قياس المعنى من أشهر جهود علماء النفس فى التحليل الدلالى والفكرة الأساسية فى قياس المعنى تقوم على وضع مجموعة معايير يمكن فى ضوئها عمل اختيارات نفسية لذلك، الكلمة لها إحياء وترتبط بمجموعة عناصر دلالية تختص عما تشير إليه فى الواقع الخارجى، وما المعنى إلا مجموعة العلاقات المصاحبة لاستخدام الكلمة بما تثيره لدى السامع من استجابة. ولهذا فقد وضع أصحاب قياس المعنى مجموعة أسئلة تكون الإجابة عنها محددة لإحياء الكلمة، وهذه الأسئلة العشرون، نحو : هل هو سعيد أو حزين؟ هل هو صلب أو طرى؟ هل هو طيب أم سيء؟ قد تفيد فى

معرفة المعنى الانفعالي أو المعنى المصاحب، ولكنها لا تحدد المعنى الأساسي للكلمة.

اهتم اللغويون في الخمسين عاما الماضية اهتماما متزايدا بمحاولة التعرف "طبيعة الدلالة". ويعد جهد الباحثين اللغويين في هذا الاتجاه هادفا إلى بحث طبيعة الدلالة من داخل البنية اللغوية مع ربطها بالعوامل الخارجية، ولكن التركيز هنا كان على بحث الدلالة في إطار البنية اللغوية، أى عدم الدخول إلى بحث المعنى من الخارج برؤية نفسية أو انثروبولوجية، بل يكون المنطلق بحث البنية الدلالية والإفادة في هذا البحث من كل ما يعين على فهم ذلك. وأهم الجهود لتحديد طبيعة الدلالة تتلخص على النحو التالي :

أ - الثالث الدلالي The Semiotic Triangle، هذه الفكرة جاءت في كتاب الباحثين Richards و Ogden. وتقول الفكرة بأن الصيغة اللغوية (أو الكلمة) تشير في عقل صورة ذهنية تشير إلى ماهية خارجية.



ومعنى هذا أن الصيغة اللغوية ترتبط دلالتها بالمشار إليه عن طريق الصورة الذهنية، وهذه الفكرة قديمة في التراث العربى، فقد طرح سؤال قديم عن طبيعة المعنى، وهل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية أو بإزاء الماهيات الخارجية؟ وكان رأى الفخر الرازى: "اللفظ يتغير بحسب تغير الصورة فى الذهن، فإن من رأى شحرا من بعيد وظنه شحرا أطلق عليه لفظ الشجر. وهكذا يرى الرازى العلاقة غير مباشرة بين اللفظ والماهية الخارجية، ولكن العلاقة مباشرة بين اللفظ والصورة الذهنية، وهى فكرة تحمل نواة الثالث الدلالي عند ريتشاردز وأوجدن.

ب - الوظيفة الدلالية وسياق الموقف : The Context of Situation

التحليل الدلالي فى رأى اللغوى الانجليزى Firth له أهمية كبيرة فى اسحت
النعوى فى كل محالاته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. والمعنى فى رأى فيرت
هو مجموع الوظائف التى تقوم بها الصيغة اللغوية، وهى الوظائف الآتية:

أ- الوظيفة الصوتية، مثال هذا التمييز بين الوحدات الصوتية والصور الصوتية على أساس
دلالي، لإحلال صوت محل آخر مع تغيير المعنى معناه أن كل صوت منهما وحدة
صوتية مستقلة، وإحلال صوت محل آخر مع عدم تغير المعنى يدل على أن كلا
الصوتين فى إطار وحدة صوتية واحدة. واختلاف التنغيم قد يؤدي إلى اختلاف
المعنى. مثال هذا فى العربية عبارة : سلام عليكم نطقها لتحية يختلف عن نطقها
لإعراب عن الغضب.

ب - الوظيفة الصرفية ، وهذا معناه وجود ارتباط بين الصيغة النحوية والدلالة، يتضح
هذا من دلالة وزن "فاعل" فى العربية على من قام بالمعل، وكل أوزان المشتقات
فى العربية لها ارتباطاتها الدلالية، وكذلك المصادر لها أوزانها وكثير منها
ارتباطات دلالية: فُعَال للمرض وفُعَالَة للحرفة وفُعَلَان للحركة .. الخ.

ج - الوظيفة النحوية، ونعنى هنا ارتباط تراكيب بأعيانها بدلالات محددة فالجملة
الشرطية لها تراكيبها والجملة الاستفهامية لها تراكيبها، وهنا علاقة وثيقة
بين التركيب والدلالة.

د - الوظيفة المعجمية ، وهى الدلالة التى يحددها سياق الموقف، أى السياق
الاجتماعى الذى تستخدم فيه الكلمة، ولذا أطلق عليها فيرت أيضاً: المعنى السياقى
Contextual Meaning. وهكذا جعل فيرت المعنى قسيماً لشكل النغوى،
وجعله محورياً أساسياً فى التحليل فى كل المحالات.

جـ - هناك حقيقة أساسية اتضحت في النظر المنهجي والتطبيق العملي عند اللغويين المعاصرين الباحثين في الدلالة، وأصبحت تشكل منطلقاً أساسياً في التحليل. وهي حقيقة أن اللغة نظام متكامل في نفسه، له تكامله الداخلي، ولكل لغة نظامها الدلالي لحاص بها. تختلف اللغات في تصنيفها للظواهر الموجودة في الواقع الخارجي احتلاقاً بعيداً، فالعلاقة بين اللغة والماهيات الخارجية ليست علاقة مصانقة. وهدف البحث الدلالي أن يوضح طبيعة النظام اللغوي في علاقاته الدلالية. وليس من هدف البحث الدلالي أن يبحث خصائص الظواهر المادية والمعوية المشار إليها. ومن ناحية أخرى فإن البحث الدلالي ينطلق من الواقع اسفوي ولا ينطق من فروض وضعت بعيداً عنه، وبقدر قدرة الفروض التي تكونت في خارج علم اللغة على كشف طبيعة الدلالة والبنية الدلالية للغات يكون قبولها من اللغويين.

الفصل العاشر

البنية الدلالية

يعتمد البحث الدلالي على مجموعة من الوسائل يحاول عن طريقها دراسة البنية الدلالية في اللغات الطبيعية، إنَّ تعرف طبيعة العلاقات الدلالية للكلمات داخل اللغة الواحدة، وكذلك الوسائل اللغوية وغير اللغوية لتحديد المعنى تعد من أسس دراسة المجالات الدلالية وتحديد السمات الفارقة بين الكلمات التي يضمها كل مجال من هذه المجالات.

أولاً: العلاقات الدلالية Semantic Relations:

العلاقات الدلالية بين المفردات في اللغة الواحدة متنوعة، منها علاقة الترادف وعلاقة الاشتراك اللفظي وعلاقة التضاد.

١) الترادف Synonymy:

كان الفلاسفة اليونان أول من أثار قضية الترادف، فالعلاقة بين التسمية والمسمى كانت موضع البحث والجدل، الأشياء المادية الموجودة في الواقع الخارجي محدّدة، وللشيء الواحد منها أكثر من تسمية، وعلى ذلك فهناك ترادف. والمقصود بالترادف وجود كلمتين أو أكثر بدلالة واحدة أى يشيران إلى شيء واحد. وقد انتقلت هذه القضية إلى المفكرين العرب من لغويين وغير لغويين، وقال بعضهم بوجوده في العربية، ولكن الرأي السائد لديهم أن الترادف الكامل غير موجود، فالمطابقة الكاملة بين دلالة كلمة ودلالة أخرى ضرب من المبالغة. وسادت فكرة أن الترادف تقارب في الدلالة وليس تطابقاً.

وفكرة الترادف ذات أهمية خاصة في العمل المعجمي، كثيراً ما يشرح معنى الكلمة في المعجم بكلمة أخرى، وهذا يعني أن الكلمتين بمعنى واحد. ولكن المعاجم

لا تكتمى بهذه الطريقة وسيلة لشرح المعنى، بل تضيف تفاصيل وصفية توضح لمعنى المراد. إن الترح بالمرادف له مشكلته المعجمية، إذ إنه يمكن أن يوقع لقارئ في حنقة مفرغة، فلو شرحنا كلمة عظيم بأنها تعنى كبير ثم شرحنا كلمة كبير بمعنى عظيم، نكون قد وقعنا في غموض يصفه بعض الباحثين بمصطلح: ادور Circularity وقد نظر الباحثون في المترادفات محاولين تصنيف ألفاظها في مجموعات، وأهم هذه المجموعات ما يأتي:

أ - الترادف بين مجموعة ألفاظ دخيلة ومجموعة ألفاظ موروثية، ففي الإنجليزية مثلاً نجد كلمات من أصل جرمانى قديم تقابلها ألفاظ دخيلة من اللاتينية أو اليونانية فكلمة World من الجرمانية القديمة (في الألمانية Die Welt) وكلمة Universe دخيلة من اللاتينية Universum. ومثل هذا نجد في الكلمتين brotherly من الجرمانية القديمة (في الألمانية brüderlich) و Fraternal من اللاتينية Fraternus. وهذه الثنائيات ترجع إلى عامل تاريخي يتعلق بتكون مفردات اللغة الإنجليزية. وتوجد في اللغة العربية ثنائيات ترادف من هذا الضرب، بين لفظ دخيل ومقابلة العربى. فجهاز "التليفون" Telephon عرف بهذا الكلمة الأوربية الأصـر وعربت بكلمة "الهاتف". والكلمتان مستخدمتان جنباً إلى جنب في البيئة اللغوية العربية؛ وثمة ثنائيات أخرى "Television" و "مرناه" أو إذاعة مرئية"، "ترين" Train و "رَتل" والكلمتان في تونس تسمية لما يسمى في المشرق بكلمة 'قطار'. وكذلك الكلمة ذات الأصل الايطالى "Teatro" وكلمة "مسرح". ومع هذا كله، فثمة فرق في الاستخدام السياقى بين كل طرف من أطراف هذه الثنائيات، المعنى يتفق بين الكلمتين في مواقع محددة ولكنه مختلف في مواقع أخرى تستخدم فيها كلمة مهما ولا تستخدم فيها تلك فنحن نذكر: الهاتف من بعيد وليس هو التليفون، ونذكر الرتل من الحسناوات وليس هو الترين Train ، وتكتب الصحف عن مسرح الجريمة وليس هو التياترو. وهكذا يمكن القول بأن هذه الكلمات

متراصة فى عدد من السياقات. ولكن القول بالمطابقة الدلالية الكاملة ضرب من المبالغة.

ب - الترادف بين لفطين من مستويين لغويين مختلفين أو ألفاظ من بيئات لغوية مختلفة. وتوجد أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة فى اللغات، ففصل الخريف يسمى فى الولايات المتحدة الأمريكية وبعض المناطق فى غرب بريطانيا Fall ولكنه يسمى فى باقى مناطق اللغة الانجليزية Autumn، والكلمتان مترادفتان لأنهما تدلان على المعنى نفسه، ولكن لكل منهما مجالها الجغرافى. وفى بعض دول المشرق العربى تطلق كلمة "مَمُوز" على الشهر المعروف فى باقى الدول العربية بشهر "يوليو"، وهما نجد لأسباب تاريخية منظومتين كاملتين لأسماء الشهور الميلادية فى العربية انفصحي المعاصرة. وثمة ترادف أيضا بين "سيارة نقل" فى مصر و "شاحنة" فى دول المشرق، وكذلك بين "محطة بنزين" فى مصر، "طلمبة البنزين" فى السودان، و 'بنزينحانه' فى العراق والدلالة واحدة. وفى مجال الأفعال نجد كذلك كثيرا من اترادف، فالفعل حجر فى تونس يرادف منع فى باقى الدول العربية. ويبدو أن اختلاف البيئات اللغوية جغرافيا كان من قديم وراء وجود المترادفات بكثرة فى اللغة العربية.

ج - الترادف باختلاف المعنى الانفعالى والتقويمى، وهنا نجد ثنائيات من الكلمات، تعبر الواحدة منها عن المعنى بمحتوى انفعالى أو تقويمى يختلف عن الأخرى. وحسبنا أن ننظر فى المجال السياسى، لنجد ثنائيات من الكلمات، بل نجد أكثر من كلمتين لوصف موقف ما من زاويتين مختلفتين. قد يوصف الشخص بأنه 'محافظ' وهذه كلمة إيجابية الدلالة ولكن وصفه بأنه "رجعى"، أو مترمت، يحمل حكما تقريما سلبيا عليه. وعلى العكس من هذا فإن وصف الشخص بأنه 'مجدد' يكسه درجة من الاحترام فى عدة دول عربية، ولكنه اذا وصف بأنه 'تقدمى' أو 'ثورى' كان ذلك محل شبهة فى هذه الدول، وكلمة "رجل دولة" توحي

بالتقدير، ولكن يثبات كثيرة تمتدحدم كلمه "سياسى" وفيها اىحاء احياله وادهاء.
ومس هذا الجانب الانفعالى والتقويمى تختلف دلالة كثير من كلمات اللغة التى
تصنف فى إطار المترادفات.

وأحيرا، فان الفصيل فى تحديد كون الكلمتين مترادفتين كامن فى اسباق، فذا
أمكن انتزاع كلمه من جملة وإحلال كلمه أخرى محلها دون تغيير بمعنى فالكلمات
مترادفتان. وهذا ممكن - فى حالات بأعيانها - ولكن ينبغى التحفظ فى ذلك فى
محاولة التحديد الدقيق للمعنى. وهنا تختلف أكثر المترادفات، ولذلك يعد الترادف
عند أكثر اللغويين المعاصرين تقاربا دلاليا وليس مطابقة دلالية كاملة.

٢) الاشتراك اللفظى Homonymy وتعدد المعنى Polysemy مصطلحان مختلفان
يجعلهما بعض الباحثين موضوعين مستقلين، ويجمع بينهما باحثون آخرون. يتفق
المصطلحان فى دلالة كلمه واحدة على مدلولين اثنين، ولذا فهذه الظاهرة عكس
الترادف. ودلالة كلمه واحدة على معين أو أكثر مما يلاحظ فى اللغات المختلفة،
فكلمة Bank فى الانجليزية والألمانية تعنى شاطئ النهر كما تعنى تلك المؤسسة
المالية. وكلمة "عين" تعنى فى العربية عين الانسان، وعين الماء، وعين الابرة،
والعين - أيضا - الحاسوس. ووفق هذا رأى فإن الاشتراك اللفظى لايعنى اختلاف
الدلالة فى إطار الكلمة الواحدة، وذلك أن وجود معينين اثنين أو أكثر للصيغة
اللغوية الواحدة يدل على وجود كلمتين أو أكثر، فالكلمة صيغة لغوية دالة على
معنى، فإذا تنوعت الصيغ اللغوية أو تعددت الدلالات تعددت الكلمات، حتى لو
حدث مشترك لفظى. أما تعدد المعنى فيعنى أن الكلمة واحدة ولكنها ذات معينين،
أحدهما هو المعنى الحقيقى والآخر هو المعنى المجازى. وبعض اللغويين يجعل
الحد الفاصل بين الاشتراك اللفظى وتعدد المعنى موضوعا فى تاريخ اللغة. المشترك
اللفظى يعنى هنا أن كلمتين مختلفتين تغير نطقهما عبر الزمن، وأصحتا نطقا

نظفا واحدا، مثا see يرى sea بحر. النطق واحد والمعنى مختلف، وهذا من المشترك اللفظي لتعدد الأصول.

الفرق اذن بين الاشتراك اللفظي وتعدد المعنى متعلق بتاريخ الكلمة، وله بالتالى أثره فى العمل المعجمى، فالدالتان المختلفتان لصيغة صوتية واحدة تعداد كميتين مختلفتين فى إطار المشترك اللفظي فيكون لهما فى المعجم مدخلان مختلفان، وتعداد كلمة واحدة فى إطار تعدد المعنى فيكون لهما فى المعجم مدخل واحد. وهكذا يهدف التمييز بين الأمرين إلى تحديد المداخل المعجمية. ويقوم التمييز بين هذا وذلك بوسائل تأصيلية اشتقاقية، فكثيرا ما تكون الصيغة اللغوية الواحدة ذات الدالتين من أصلين مختلفين، يحمل كل أصل منهما اتجاه إحدى الدالتين. مثال هذا فى العربية: الكلية فى عبارة مثل: كلية الآداب، تختلف دلالتها عن عبارة قضية كلية، المعنى الأول دال على مؤسسة أكاديمية تخصصية أو بالأحرى على جزء من الجامعة، والمعنى الثانى دال على العموم والشمول، ولا علاقة بين المعنيين. ولكن القول بأنهما كميتان مختلفتان اتفقتا - فقط - فى الصيغة اللغوية، يقوم على أساس أن الأولى مأخوذة من كلمة College الانجليزية والكلمات الأوربية المماثلة لها فى الأصل للدلالة على امدرسة الثانوية أو المدرسة العليا. والثانية مأخوذة من المادة السامية القديمة الممتدة عبر القرون فى العربية واللغات السامية الحديثة، وهى مادة (ك ل ل) الدالة على العموم والشمول. وعلى العكس من هذا نجد الدلالات المختلفة لكلمة "عين" تمثل دلالات مختلفة لكلمة واحدة، أى من أصل اشتقاقى واحد، والكلمة ترجع الى المعجم السامى المشترك وامتدت فى تاريخ العربية عبر القرون.

ولكن بمشكلة الأساسية فى قضية تعدد المعنى - وكذلك فى الاشتراك اللفظي - خاصة بإيضاح حدود المعنى الواحد عن المعنى الآخر. ولتأخذ عددا من الألفاظ الدالة على تناول الطعام والشراب والدخان فى ثلاث لغات، هى العربية م. : جانب والإحليزية والألمانية من الجانب الآخر، وهى الأفعال: أكل، وشرب، ودحس فى

العربية من جانب، ثم فى الانجليزية والألمانية to eat = essen, to drink = trinken, to smoke = rauchen من الجانب الآخر. وليس صحيحاً أن الفعل eat, essen له دلالة واحدة، فتناول الطعام المطبوخ مثل اللحم يختلف بالضرورة عن تناول الحساء. ومع هذا ففى الألمانية والانجليزية لكلا الأمرين فعل واحد فى كل منهما، أما التحسين فله فعل آخر فى كل لغة منهما، فهل يعد الفعل eat, essen - فى هذا المحل - ذا دلالة واحدة أو دالتين، فليست حدود المعانى على نحو واضح بلا غموض، ولكن يكفى لايضاح القضية أن نبين أن الانجليزية والألمانية فى هذه المجموعة من الأفعال تحددان طريقة تناول إما أكلًا بأدوات المائدة أو شرباً مباشراً كما يشرب الماء من الكوب، فى حين تطلق العربية من طبيعة المادة التى تُتناول، جامدة كانت أو غير جامدة، تناول الجامد "أكل" وهو ما يمتنع، ونفير الجامد "شرب" سائلاً كان أو دحاناً. ثم يأتى الفعل "دَخَنَ" ليشتغل حيزاً جزئياً من دلالة الفعل "شرب". وهكذا تتداخل حدود الدلالات وتختلف من لغة لأخرى.

٣) التخالف Antonymy:

التخالف علاقة دلالية أساسية، وتعد من أهم العلاقات المحددة لدلالة الكلمة. إنَّ تعرف الكلمات الواقعة مع كلمة أخرى فى علاقة تحالف يحدد لنا دلالات هذه الكلمة عن طريق ثنائيات التخالف، فكل ثنائى يمكن أن يرشدنا إلى معنى من معانى الكلمة. ولنضرب لذلك مثلاً بكلمة: ساعة، فيمكن أن تكون فى اثنتين التالين:

ساعة / دقيقة ساعة / منه

التحالف الاول يدخل بنا فى معنى الساعة باعتبارها وحدة زمنية، تخالف - أيضاً - اليوم والشهر والسنة. أما التخالف الثانى فيدخل فى معنى الآلة المحددة لدرج، وهنا تأتى ساعة (الحائط أو اليد، أو الجامعة) فى مقابل المنه، وكأن رنينه الموقظ جعل منه شيئاً له كلمة مستقلة عن باقى الآلات المحددة للوقت. وهذا تحديد فى إطار

المفردات العربية، وفي لغات أخرى نجد توزيع الكلمات والدلالات مختلفا، والمهم هنا أن تثبت كون كل علاقة تخالف ثنائي مثبتة لمعنى معين.

ولكن التحالف ليس دائما ثنائي العناصر، ففي حالات كثيرة ليس من الممكن وجود هذه الثنائيات، بل تكون الكلمة في مجموعة دلالية ذات علاقة تحالف. فالألوان مثلا تكون مجموعة دلالية في كل لغة من اللغات، والذي يحدد كون العناصر المكونة للمجموعة الدلالية في علاقة تخالف أن يكون وجود عنصر منها نافيا لوجود باقي العناصر. فإذا وصف شيء ما بأنه أزرق، فمعنى ذلك أنه ليس أبيض وليس أسود وليس أحمر، وهكذا.

وفي بحث التحالف تتضح أيضا فكرة التدرج Gradability في الصفات، فإذا قورن شيان قلنا: (هذا البيت كبير، وذلك البيت أكبر) كما - في رأى عدد من الباحثين - أمام مثال من تحالف التدرج، ومثل هذا يمكن أن ينظر إليه في الحمل التي تنفي صفة من الصفات ولا تتضمن بالضرورة إثبات العكس منها. فلو قلنا (هذا البيت ليس كبيرا) لا يعنى هذا بالضرورة أنه صغير، بل قد يكون متوسط الحجم، وهكذا نجد فكرة التدرج في الصفات أساسية في فهم طبيعة التضاد.

٤) درجة العموم Hyponymy:

العموم والخصوص من العلاقات الدلالية الأساسية، وتختلف الألفاظ في داخل المجموعة الواحدة من هذا الجانب اختلافا بعيدا. ففي مجال الحيوان مثلا نجد كلمة ذات دلالة عامة تشمل تحتها كلمات كثيرة أخرى، كلمة "حيوان" من ألفاظ العموم والكلمات: أسد، نمر، قط، فرس، كلب من الكلمات الداخلة تحت كلمة 'حيوان'. وفي هذه الكلمات بالتالي درجة ما من العموم، فيمكن أن نجد مثلا تحت أية كلمة منها مجموعة أكثر تخصصا. ولذا ليس الأمر خاصا بدرجة من العموم وأخرى من الخصوص، بل يمكن ترتيب الكلمات الخاصة بذلك في شكل هرم دلالي.

وتختلف اللغات من هذا الجانب اختلافا بعيدا، فكلمة "مجلة" فى العربية تدل على مجموعة من المطبوعات الدورية العلمية والترفيهية المصورة، فى حين تجعل اللغة الألمانية لدورية العلمية اسما هو Zeitschrift. أما الدورية الترفيهية امصورة فهى Illustrierte. وكلمة "طالب" فى اللغة العربية أوسع دلالة من كلمة Student فى الألمانية، فانكلمة العربية تطلق - فى المقام الاول - على الدارسين فى الجامعة فى مرحلتى التعليم العام والدراسات العليا، بل تطلق أحيانا على تلاميذ المدارس الثانوية وعلى الدارسين بمراكز التدريب المهنى، أما فى الألمانية فيقابلها Schüler للطالب الثانوى، ثم Student لطالب مرحلة الليسانس، ثم Kandidat لطالب الدراسات العليا، أما Praktikant فهى للمتدرب فى التعليم المهنى. وكلمة "كلية" فى العربية أوسع دلالة على من مقابلها فى الألمانية، فنحن نطلقها على المعهد الأكاديمى مثل كلية الآداب، وعلى معهد إعداد الضباط مثل كلية الشرطة أو الكلية الحربية، وعلى معهد إعداد المهندسين التطبيقيين مثل كلية الفنون التطبيقية، وعلى بعض المدارس مثل كلية رمسيس بالقاهرة أو كلية سان مارك بالاسكندرية. وهكذا تختلف درجة العموم والخصوص فى دلالة الكلمات بين اللغات المختلفة، مما يجعل محتواها الدلالى غير متطابق. وهذا يفرض على المعجمى مراعاة ذلك.

ثانياً : مصطلحات دلالية فى التراث العربى :

ترد فى التراث العربى مصطلحات دلالية - لم نشر إليها من قبل - وبها رؤية لبعض القضايا الدلالية. من هذه المصطلحات: الأضداد، والغريب.

(١) الاضداد: المقصود بالأضداد استخدام كلمة بمعنيين متضادين مثل دلالة الحون على الأبيض والاسود. وقد ألف اللغويون العرب سلسلة من كتب الأضداد أقدمها لابن السكيت، وأشهرها كتاب الأضداد للأتبارى. وقد ضم مؤلفو كتب الأضداد مجموعة من المفردات التى وجدوا فيها دلالة على المعنى وضده^(١). وبكى البحث

(١) حول الأضداد فى اللغات السامية، انظر:

Nöldeke, Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1904-1910.

الحديث يميز بين مثل هذه الكلمات على نحو يجعلها خارج دائرة الاضداد، وذلك في ضوء ما يأتي:

أ - تيسر المعنى المركب الدال على شيئين في الوقت نفسه، فعندما نجد الجون في الدلالة على الأبيض والأسود في وصف الحمار الوحشي، فقد يعنى أنه مخطط، وليس لكون الكلمة تدل على لونين ضدين.

ب - التمييز بين التراكيب على أساس اختلاف حروف الجر، وعلى هذا فالمعل رغب ليس فيه ضديه، بل التركيب (رغب في) له دلالة تختلف عن (رغب عن)، واختلاف حرف الجر هنا سمة فارقه في المعنى.

ج - مراعاة دلالة بعض الألفاظ على العموم، فكلمة (إنسان) تدل على (الرجال) كما تدل على (النساء)، تدل على (الأطفال) وتدل على (الكبار) أيضاً، ومن غير الصحيح أن نشد فيها ضديه لمجرد أنها دالة على العموم.

د - وجود معنيين مختلفتين للحدث الواحد بسبب رؤيتين مختلفتين للحدث نفسه فالفعل (فتح) في العبارة فُتحت القطرة، يعنى أنها فتحت للمرور السفن في حين أنها أغلقت أمام السيارات.

هـ - ضرورة التمييز في بحث الأضداد بين المستويات اللغوية في اللغة الواحدة، وكذلك بين لغات الفرع الواحد، الفعل (وثب) يدل في العربية الشمالية على القفز، لكنه يدل في العربية الجنوبية وغيرها من اللغات السامية على الإقامة والاستقرار. وهنا يوجد تضاد في المعنى للكلمة ذات الأصل الواحد، غير أن هذه الكلمات تكونت دلالاتها عبر الزمن في لغات مختلفة، وليست متضادة عند جماعة لغوية واحدة.

٢) الغريب : المقصود بالغريب تلك الألفاظ البائدة التي قل استخدامها فأصبحت المعرفة بها غريبة عند أبناء الجماعة اللغوية، فإذا ما استخدمت نحتت ضرورة

شرحها وإيضاحها. وقد خصص اللغويون العرب كتباً، مثل الغريب المصنف
لأبي عبيد (المتوفى سنة ٢٣١ هـ)، وهناك فصول كثيرة للغريب، في المزهري
للسبوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) وغيره من كتب اللغة.

والمشكلة التي تواجه البحث في تلك الألفاظ التي جعلها المعويون من العرب
أنها تمثل موقفاً، إنه موقف اللغويين في القرن الثالث للهجرة في بيئة راعية في العراق
من الاستخدام اللغوي في البداية قبل ذلك التاريخ، يتضح هذا: مثلاً من أنهم جمعوا
كلمة "الْقَلْب" من الغريب، وهذه الكلمة تعني البئر، وهي الكلمة الأكثر شيوعاً حتى
اليوم عند أكثر القبائل في جزيرة العرب. هي غريبة — إذن عن بيئة العراق، ولكنها
مألوفة شائعة عند بدو الجزيرة العربية. ومن ثم ينبغي أن توضع قضية الغريب في إطار
فكرة تنوع المستويات اللغوية جغرافياً وزمنياً.

ثالثاً : أنواع المعنى :

تختلف كلمات اللغة من عدة جوانب تتعلق بنوع دلالتها، ولهذا أثره في كيفية
تحديد دلالتها في المعجم وفي نوع المعلومات التي تقدم في المعجم إيضاحاً لها. وقد
استقرت لعدة أنواع من المعنى مجموعة مصطلحات، أهمها:

١) المعنى الإشاري : Ostensive meaning :

المقصود بالمعنى الإشاري المعنى الذي يمكن إيضاحه بالإشارة إلى شيء
المدلول عليه، فإذا سئل أحدنا وهو راكب قطاراً عن الحصاد فأشار من النافذة قائلاً:
هو ذلك الحيوان تحت الشجرة. كان المتحدث قد أفاد من الإشارة لتحديد المعنى.
وثمة مجموعة ملاحظات حول المعنى الإشاري ترد عند المتخصصين في الدلالة:

١) المعنى الإشاري مرتبط بدرجة عالية من التوقع بشأن شكل الشيء موضوع
الاستفسار، فالإشارة تتم — عادة — إلى منظر به أشياء كثيرة، والتوقع هو ما
يساعد على استخراج الشيء المعنى من بين كل عناصر الصورة.

٢) المعنى الإشارى يطبق - فقط - على مجموعة محدودة من الأشياء، وهى تلك الأشياء المادية ذات الشكل الواضح والمتميز. فثمة أشياء مادية كثيرة ليس من السهل عرضها فى أشكال واضحة، فالأحماض مثلا لا تتميز بأشكالها. وهالك أشياء كثيرة متعددة الأشكال.

٣) تطبق فكرة المعنى الإشارى فى العمل المعجمى تقتصر على الإفادة من الصور فى المعاجم العامة باعتبار الصور وسيلة إيضاح مناسبة، وكذلك فى إعداد المعجم المصورة، وهى المعاجم التى تقوم على الصور فى صفحة وأسماء الأشياء التى تضمها الصورة فى الصفحة نفسها أو فى الصفحة المقابلة. وهكذا يلاحظ أن المعنى الإشارى وسيلة لإيضاح المعنى فى قطاع من المفردات. ولعل أهم مشكلة تواجه هذه الطريقة فى تحديد المعنى أن الحدود غير واضحة فى كثير من الحالات، فنحن نعرف فى العربية كلمة (حَلَل) كما نعرف كلمة (تَلَل). ولكن ما الارتفاع المطلوب الذى يجعلنا نقول بأن هذا (تل) أو أن هذا (جبل)؟ ولدينا فى العربية فى مصر كلمة (كتكوت) وكلمة (دجاجة)، ولكن ما الفرق بينهما؟ أى ما الحجم الذى الذى يقرر لنا كون هذا داخلا فى الكلمة الأولى أو فى الكلمة الثانية؟ وعدم وجود هذه الحدود الفاصلة فى الواقع المادى يجعل الأمر قضية تسمية لغوية، وليس أمر مطابقة بين النظام اللغوى والواقع الخارجى.

٢) المعنى المعجمى والمعنى النحوى :

المعنى المعجمى Lexical Meaning هو المعنى الذى يقدمه المعجم للأسماء والأفعال شرحا لدلالاتها مستفيدا من كل ما يتاح من وسائل لتحديد المعنى. ولكن المعنى النحوى البنىوى Grammatical Meaning = Structural M. هو الإكمال الطبيعى للمعنى المعجمى.

وقد أوضح النحوى الأمريكى فريز Fries أن المعنى البنىوى يتناول ثلاثة أمور:

أ - دلالة الأدوات، مثل حروف العطف وحروف الجر إلخ.

ب - دلالة الوظائف النحوية، مثل الفاعلية والمفعولية.

ج - دلالة نمط الجملة، مثل: الدلالة في الجملة الشرطية.

وتطبيق هذا في العمل المعجمي يتضمن أمرين:

الأول : لايجوز أن يقتصر المعجم على الأسماء والأفعال، بل عليه أيضا أن يسجل دلالة الأدوات، وقد اهتم النحاة العرب بهذه الأدوات ودلالاتها اهتماما كبيرا فالفوا في ذلك كتباً، مثل معاني الحروف للرمانى (المتوفى ٣٨٥ هـ)، ومغنى اللبيب لابن هشام الانصارى (المتوفى ٧٦٢ هـ). وهناك معاجم عربية تناولت قدرا من دلالة الأدوات، ولكن الإفادة الكاملة من هذه الفكرة والاهتمام ببيان الوظائف النحوية في داخل موادها في المعجم يعدان ضرورين في المعجمات الحديثة.

الثانى : ينبغي في العمل المعجمي بيان الوظائف النحوية بالقدر الذى تسمح به طبيعة المادة، فالأفعال مثلا فيها: اللازم والمتعدى لمفعول واحد والمتعدى لمفعولين والمتعدى لثلاثة مفاعيل، وهناك أفعال تلزم البناء لمجهول. ومن الأسماء ما يستخدم للمذكر فقط، ومنها ما يكون للمؤنث فقط، ومنها ما يكون للمذكر والمؤنث معا. وكل هذه الوظائف النحوية بها مكانها في المعجم في داخل كل مادة ومع كثير من الكلمات.

وثمة فروق عند كثير من الباحثين، وفي مقدمتهم مارتينية Martinet وهاليداي Halliday بين الوحدات النحوية والوحدات المعجمية، أى الوحدات التى تبحث من ناحية المعنى الحوى والوحدات التى يشرح معناها المعجمي. ويقوم التمييز بين المجموعتين على أساس كون المجموعة الأولى مغلقة محدودة والثانية مفتوحة قابلة للنمو والريادة. المجموعات المغلقة Closed Sets محددة ثابتة لا تريد بزيادة الصوص التى يقوم الباحث بتحليلها، مثال هذه المجموعات: الضمائر وأسماء

الإشارة والأسماء الموصولة وغير هذا. أما المجموعات المفتوحة Open Sets فهي قابلة للزيادة بالنمو الطبيعي لمفردات اللغة، وهي لذلك غير محدودة وكثيرة، وأعدادها تقبل الزيادة. ويرى هؤلاء الباحثون التركيز في المجموعة المغلقة على بيان المعنى النحوي في حين يكون التركيز في المجموعة المفتوحة على بيان المعنى المعجمي وما يصاحبه من معطيات نحوية.

٣) المعنى في العلاقات التركيبية :

هناك علاقات تركيبية من أنواع مختلفة، والمقصود بالعلاقة التركيبية ارتباط أكثر من كلمة على نحو يجعل استخدامها أو استخدامها متلازما لأداء المعنى المراد. وأهم أنواع العلاقات التركيبية :

أ - التضام : Collocation

التضام يعني ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية، ويكون معناها مفهوما من اجزيات المكونة لها. فكلمة كرسى، مثلا تستخدم في عدة تراكيب على سبيل التضام، وتدور هذه التراكيب حول معنيين اثنين، أولهما يظهر في التراكيب: جلس على الكرسي، صنع كرسيًا، كرسي منخفض، كرسي خشبي، كرسي حديدي، أما المعنى الثاني فهو في تراكيب، مثل كرسي الفلسفة كرسي علم اللغة، كرسي الأستاذية. واضح من هذه التراكيب أن المعنى الأول داخل في المجال الدلالي للأثاث والمعنى الثاني داخل في المجال الدلالي للوظائف، ومعنى تركيب التضام جمع لمعنى المكونات. وجميع هذه التراكيب منطلق أساسي لتحديد المعنى.

ب - التراكيب الثابتة : Idioms

هناك عدة أنواع من التراكيب الثابتة، تكون من كل منها أكثر من كلمة في علاقة تركيبية لها دلالتها التي لا تتكون من مجرد مجموع دلالات العناصر المكونة بها. وفي كثير من الحالات نجد التركيب الثابت في لغة من اللغات تقابله كلمة واحدة

في لغة أخرى. إن ثمرة من نوع الحمضيات تسمى في مصر (يوسف أهدي). وهذا تركيب ثابته ومعناه لا يؤخذ من دلالة الكلمتين المكونتين له، واسمه في دور عربية أخرى (ماندريين)، وهنا نجد كلمة واحدة دخيلة في مقابل تركيب ثابت. ومثل هذا يقال في (قمر الدين)، ومعناه ليس جمعا لدلالة القمر مع الدين.

وهذا تراكيب ثابتة ذات عنصرين تربطهما الواو، ومن هذه التراكيب (لأحضر واليايس)، (العربي والعجمي). وهذه تراكيب يتجاوز معناها معنى العنصرين المكونين لها إلى دلالة العموم والشمول.

ج - العبارة الجاهزة : Ready-made Utterances

المقصود بالعبارة الجاهزة تلك التراكيب المكونة من أكثر من كلمة، وتطول عادة إلى أكثر من كلمتين، وذلك مثل عبارات التحية: كيف حالك؟ صباح الخير، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام، تشرفنا. وهي عبارات يتعلمها ابن اللغة باعتبارها عبارات متكاملة، تدل بكاملها دلالة محددة، وهي دلالة يعطيها التركيب كاملا متجاوزا دلالات الجزئيات المكونة. ومعنى هذا أن مستخدم اللغة لا يكونها من جديد في كل مرة. وهذه العبارات تستخدم في مواقف اجتماعية متكررة، وتعد عنصرا لغويا في طقس اجتماعي.

وقد لاحظ عالم الانثروبولوجيا مالمينوفسكي B. Malinowski أن ثمة أحداثا كلامية كثيرة - وفي كل البيئات - لا تهدف إلى نقل المعلومات أو الأوامر أو التعبير عن أمل، بل هدفها مجرد إثارة الشعور بالود والروح الاجتماعية. أطلق عليها مصطلح Phatic Communion. وبعض هذه العبارات الجاهزة داخل في هذه الأحداث الكلامية، ولكن بعض العبارات يتكون من عناصر تكاد تكون ثابتة بدرجة محدودة من المرونة. ففي مجال الترحيب بإنسان يمكن القول: فرصة عظيمة، فرصة سعيدة، أب سعيد بهذه الفرصة. وهنا المرونة قائمة ولكنها محدودة، أما البائع عندما يقول للداحل

إلى محله: أهلاً وسهلاً، فهو لا يعنى عناصر التركيب، بل هى عبارة جاهزة فى موقف الترحيب لإثارة درجة من الود والأمان.

وفى العمل المعجمى ينبغى النظر فى كل العلاقات التركيبية بأنواعها المذكورة باعتبارها علاقات أساسية فى المعنى، ولذا ينبغى مراعاة ذلك فى تحديد المداحل وأن تكون هذه التراكيب الثابتة والعبارات الجاهزة كاملة العناصر فى المعجم، ولا يجوز تمزيقها إلى عناصرها المكونة.

رابعاً : السياق : Context

كلمة السياق كثيرة الدوران فى البحوث اللغوية، تناولها السائحون فى الدلالة بمعنىين مختلفين، يمكن تحديدهما فى أمرين، هما السياق اللغوى Linguistic Context على عكس السياق الاجتماعى Social context، ويسمى السياق الاجتماعى عند فيرث Firth باسم Context of Situation أى سياق الموقف. وعند بالمر Palmer باسم Non Linguistic Context أى السياق غير اللغوى^(١). وهناك باحثون يستخدمون كلمة السياق دون تمييز بين السياق اللغوى من جانب والسياق الاجتماعى من الجانب الآخر.

ويشمل السياق اللغوى كل العلاقات، وهى كل العلاقات التى تتخذها الكلمة فى داخل الجملة. وهذه العلاقات الأفقية Syntagmatic relations على عكس العلاقات الجدولية Paradigmatic relations وهى العلاقات الاستبدالية التى تتخذها لكلمة مع كلمات أخرى يمكن أن تحل محلها. وإيضاح هذا بالأمثلة على النحو التالى:

أمثلة لعلاقة لأفقية : قام بواجبه، شجرة باسقة، كتاب قيم، علم الدلالة.

^(١) Firth, Papers in Linguistics, Lyons, Introduction 413; Palmer, صر Semantics 43-58, 92-101.

أمثلة العلاقات الجدولية: جلس الطالب على الكرسي، جلس الأستاذ على الكرسي، جلس المدير على الكرسي.

وعلى هذا فالعلاقة بين (قام) و (واجب) أفقية، وكذلك بين (شجرة) و (باسقة)، وبين (كتاب) و (قيم)، وكذلك بين (علم) و (الدلالة).

أما العلاقة الجدولية فنجدها بين الكلمات التي يصلح استخدامها في الموقع نفسه في الجملة والوحدة، وهي كلمات: الطالب والأستاذ والمدير.

في إطار البحث الدلالي تعد العلاقات الأفقية - بكل أنواعها موضوعا للسياق المغوى، ويدخل في هذا بالضرورة ظواهر مختلفة منها التضام والتراكيب الثابتة والعبارات الجاهزة. ويتناول كل ما يربط كلمتين أو أكثر في سياق لغوي مثل:

- اسم + حرف جر الحق له، الحق عليه، باقة من الورود، مجموعة من
- فعل + حرف جر رغب في، رغب عن .
- مضاف + مضاف إليه رئيس الجامعة، طالب الجامعة.
- صفة + موصوف فكرة جديدة، فكرة قديمة.
- فتاة طويلة، شجرة باسقة.
- فعل + مفعول به أصدر مرسوما، أعلن خبرا.

وهكذا تعد كل علاقات السياق ضرورية في العمل المعجمي.

أما السياق الاجتماعي فهو أيضا ضروري في تحديد الدلالة، ويكفي أن نشير إلى أن عبارة (سلام عليكم) تحمل دلالات تختلف باختلاف التنغيم في نطقها وفقا للمواقف الاجتماعية المختلفة، فنطقها عند الغضب يختلف عنها عند التحية. ودراسة استخدام الكلمة أو العبارة أو التركيب في الموقف الاجتماعي أمر متعدد الجوانب، ولا بد من أن تضع الدراسة العناصر المختلفة المحددة لطبيعة هذا الموقف، وفي مقدمتها:

أ - الزمن (وقت العمل، وقت الراحة الأسبوعية، وقت العطلة الصيفية إلخ).

- ب - المكان (مكان عمل، منزل، نادي، مدرسة، قطار إلخ).
- ج - مكانة المتحدث (الوظيفة، الثروة، العمر ... إلخ).
- د - مكانة المحاطب (الوظيفة، الثروة، العمر ... إلخ).
- هـ - العلاقة بينهما (رسمية، قرابة، صداقة، عدم معرفة).
- و - الأفعال غير اللغوية المصاحبة للحدث (حركات اليد، قسّمات الوجه ...).
- ز - الموضوع (موضوع عمل، موضوع شخصي، موضوع سياسي ...).
- ح - العناصر المادية الحيطّة بالموقف (المنظر الطبيعي، المنزل).
- ط - المعرفة السابقة بما دار (الموضوع جديد، استكمال موضوع قديم ...).

خامساً : المجالات الدلالية : Semantic Fields :

تعد نظرية المجال الدلالي من أهم نظريات البحث اللغوي الحديث، طورها عدد من الباحثين في ألمانيا وأمريكا، وأهمهم تريير Trier^(١) ونايذا Nida^(٢). وتقوم هذه النظرية على مبدأ التقابل، فلو كان الكون كله بلون واحد لما كنا في حاجة إلى كلمات للانوان ووجود كلمات مختلفة في مجال دلالي واحد يفرض علينا في بحث دلالة كل كلمة أن نحدد العلاقات الدلالية التي تربطها بالكلمات الأخرى داخل نفس المجموعة الدلالية، فالكلمة لاتتخذ قيمتها الدلالية في نفسها ولكنها تتحدد بالنسبة لموقعها في داخل المجال الدلالي.

(١) عنوان كتاب تريير :

Trier, Jost. Der Deutsche Wortschatz im Sinnbezirk des Verstandes.
Heidelberg, 1931.

(٢) أحر كتب نايذا وأهمها في هذا المجال :

F. Nida, Componential Analysis of Meaning, 1975.

ولأخذ مثلاً إحدى الكليات الجامعية تمنح تقديرات (ممتاز، جيد جداً، وجيد، ومقبول). في حين تمنح كلية أخرى تقديرات (ممتاز، جيد، ناجح). فهذا يحدد كلمة (جيد) يختلف معناها في النظامين، وكلمة (ناجح) في النظام الثاني ليس لها مقابله ماستر في النظام الأول. وإذا أردنا أن نحدد قيمة كل تقدير من هذه التقديرات علينا أن نعين موقعه في داخل نفس النظام الذي ينتمي إليه. ففي العمل المعجمي لا يصح أن نقول عن (ممتاز) تقدير رفيع وعن (جيد جداً) تقدير رفيع، وهذا خطأ عندما نسوي بين كلمتين - ثبت لنا - أنهما غير مترادفتين وعلينا أن نضع التقديرات باسبغ إلى بعضها البعض، فيكون تقدير (ممتاز) أعلى التقديرات الجامعية، أما (جيد جداً) فهو تقدير جامعي أقل من ممتاز وأعلى من جيد. وبهذا نكون قد حددنا قيمته في داخل لمجموعة التي ينتمي إليها.

وثمة مثال آخر يوضح فكرة نسبة الدلالة، وهو مثال خاص بالرتب العسكرية، وهنا ينبغي على المعجمي أن يحدد موقع الرتبة بالطريقة السابقة، فلا يجوز أن يقول عن رتبة (عميد) رتبة عسكرية عالية وعن رتبة (لواء) رتبة عسكرية عالية، وكذلك رتبة (فريق)، ففي هذا تميع للحدود الفاصلة دلاليًا. ويمكن أن يوضح هذا بيان موقع الرتبة، ففي شرح كلمة (عميد) رتبة عسكرية لضابط عظيم أعلى من عقيد وأقل من لواء. وهكذا في باقي الرتب العسكرية.

ويتضح لنا من مثال (عميد) ضرورة بحث هذه الكلمة في عدة مجالات دلالية ففي وظائف الجامعية نجد أيضاً كلمة عميد، ومن ألقاب التكريم بين العلماء نجد (عميد الأدب العربي)، ومن ألقاب التكريم الأسرى نقرأ عن (عميد العائلة....) وفي المحار اندلوماسي نقرأ عن (عميد السلك الدبلوماسي). وهكذا نجد أنفسنا مطالبين سحت كلمة (عميد) في كل مجالاتها الدلالية، فنحصل على دلالتها في كل مجال من هذه المجالات.

ولكن الأمر في كثير من الكلمات يحتاج إلى تحديد عدد من المعايير التي يمكن على أساسها - تعرف الدلالة الدقيقة للكلمة في إطار مجموعتها الدلالية. فإِذا أردنا أن نحدد دلالة كلمة (الأب) لكان علينا مثلاً أن نبحث مجموعة الألفاظ الدالة على القرابة: أب ، أم ، أخ ، أخت ، عم ، خال ، عمة ، خالة ، جد ، جده. وهناك طريقة يمكن تطبيقها لمعرفة المعايير التي نحدد عن طريقها دلالة كل كلمة من الكلمات. ولنأخذ أية كلمتين: أب وأم، لنحدد السمة الفارقة بينهما، وهي - هـا - الجنس، وهذا المعيار يميز لنا أيضاً بين كلمات أخرى في المجموعة، ولكنه لا يكفي. فلفرق بين الأب والابن والجد فرق في الجيل، وهذا هو المعيار الثاني، وكلا المعيارين لا يكفيان، ويبقى أن نضيف إليهما للتمييز بين العم والخال معياراً ثالثاً، وهو اتجاه القرابة ودرجتها. وهذه المعايير تميز ألفاظ القرابة، تتكون دلالة كل كلمة منها من مجموع سماتها الدلالية اعتماداً على هذه المعايير المذكورة. وعلى هذا نخرج بالتحديدات الأساسية لدلالات ألفاظ القرابة.

وتعد أفعال الحركة من المجموعات الدلالية الطريفة في كل لغة من لغات الأرض: سار ، مشى ، اقترب ، اتعد ، جرى ، طار ، سح ، زحف. لابد من استخراج معايير تميز بين هذه المفردات، وتكون البداية التمييز بين كلمتين، هما (سار) و (طار). وهما نجد المعيار الفارق هو مكان الحركة أرضاً وجواً، فإذا أضفنا كلمة (سبح)، قلنا أرضاً وجواً وبحراً. والمعيار الثاني هو سرعة الحركة - وبهذا نميز بين (مشى) و (جرى)، والمعيار الثالث وسيلة الحركة، على الأرحل أو على البطن أو باستخدام كل الاطراف في (زحف)، والمعيار الرابع اتجاه الحركة بعداً أو قرساً في (اقترب) و (اتعد) أو دون اتجاه محدد (سار) (طار) (جرى) (سبح). وهكذا نحدد في ضوء هذه المعايير السمات المميزة لكل فعل من أفعال الحركة، وهذه السمات هي مجموع نصيبه من كل معيار من هذه المعايير .

وعلى ذلك، فتحديد المجالات الدلالية، ثم بحث الكلمات في داخل كل مجال دلالي وفق معايير مناسبة لهذا المجال يعطينا - آخر الأمر - مجموع السمات التي تميز كل كلمة - دلاليًا - عن الكلمات الأخرى في داخل المجموعة، وإذا اشقت كلمتان في السمات الدلالية فالكلمتان مترادفتان. وبعد تحديد هذه المعايير وبحث المفردات على أساسها تتضح ملامح المجموعة وسمات كل كلمة منها. وهذا التحديد أساسي قبل تحرير المعجم، فتحليل الدلالات في ضوء المجالات الدلالية عمل أساسي في مراحل الإعداد المعجمي.

الفصل الحادى عشر

الأسرة اللغوية الأفروآسيوية

تكون اللغات الأفروآسيوية أسرة لغوية واحدة من أكبر الأسرات المعوية فى العالم القديم والوسيط والحديث. وتضم هذه الأسرة عدة أفرع لغوية، هى: الفرع السامى، والفرع المصرى القديم، والفرع البربرى، والفرع التشادى، والفرع الكوشى. وكان اباحثون قد أدركوا العلاقة بين اللغات المختلفة التى تدخل فى إطار اللغات السامية، ثم اتضحت أوجه الشبه بين هذه اللغات واللغة المصرية القديمة. واتسع مجال المقارنة فدخلت اللغة البربرية وقورنت مع اللغات السامية وثبتت القرابة أيضا. وامتدت الدراسات المقارنة إلى بعض اللغات الافريقية ذات الصلة باللغات السامية فاتضح أن أوجه الشبه البنوية أيضا. وهكذا تكونت لدى الباحثين صورة عن القرابة بين عدد من اللغات فى شمالى وشرقى أفريقية وغربى آسيا، ولذا وصف اللغوى الأمريكى جرينبرج هذه الأسرة بأنها الأسرة الأفروآسيوية.

تقوم وحدة اللغات الأفروآسيوية على اشتراكها فى عدد من الخصائص البنوية، أوضحها ما يأتى:

(١) التمييز بين المذكر والمؤنث فى الصيغ الصرفية المختلفة، ووجود هذه السمة دليل على انتهاء اللغة موضوع البحث إلى اللغات الأفروآسيوية، فاللغات الهندية الأوروبية كانت تميز بين المذكر والمؤنث والمحايد، وهذا واضح حتى الآن فى اللغة الألمانية. أما لغات الأورالية اللتائية فلا تعرف مثل هذا المعيار فى التصنيف، فليس منها ما يصف بين المذكر أو المؤنث. ويقوم التصنيف فى عدد من الأسرات اللغوية الأفريقية وفق معايير أخرى، ليس من بينها التصنيف وفق الجنس الحوى، فاللغة السواحلية مثلا تصنف الأسماء وفق السابقة التى يبدأ بها الاسم. أما اللغات الأفروآسيوية فتصنف الكلمات وفق معايير من أهمها التذكير والتأنيث، أى وفق

الجنس، النحوى، وتستخدم التاء فى كل اللغات الأفروآسيوية لتمييز المؤنث عن المذكور. فاللغات الأفروآسيوية تتفق من ناحية مبدأ التصنيف ومن ناحية الوحدة الصرفية الدالة على التأنيث.

٢- استخدام عدد من الوحدات الصرفية بنفس الوظائف الحوية فى اللغات المختلفة، منها انون والكاف، أما النون فتقوم بالربط بين وحدة صرفية للفعل وللإسم مع وحدة صرفية تعبر عن المتكلم. ومثال هذا فى اللغة العربية نون الوقاية التى تستخدم لربط الفعل بضمير المتكلم، مثل: كلمنى. أما فى لغة الهاوسا -وهى من اللغات التشادية- نجد هذه النون للربط بين الإسم والضمير المتصل، فمثلا Yaronka تعنى ابنك، وتتكون من (yaro) بمعنى ابن، و (n) للربط، (ka)، ويلاحظ فى المثال السابق أيضا استخدام الكاف والفتحة للمخاطب المذكور، أما فى المؤنث فضمير المخاطبة المؤنثة ki فى الهاوسا وفى اللغة العربية أيضا، أما التاء فتكون فى اللغات الأفروآسيوية المختلفة صيغا خاصة بالمؤنث، على نحو ما نعرف فى اللغة العربية.

٣- هناك لغات كثيرة تدخل فى الأسرة الأفروآسيوية، وتكون صيغ اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل بالسابقة m، نجد هذا مثلا فى اللغات السامية وفى اللغات التشادية، ومنها لغة الهاوسا مثال هذا فى العربية اسم المكان (موضع) من المادة وضع، واسم الآلة (منشار) من المادة، واسم الفاعل (مقيم) من الفعل أقام، وشبه بهذا أبنية اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل فى لغة الهاوسا وغيرها من اللغات التشادية.

أولاً: اللغات السامية:

يضم الفرع السامى من اللغات الأفروآسيوية عددا من اللغات القديمة والحديثة التى لها دور واضح فى الحضارة الانسانية. وتعد اللغات السامية من أقدم اللغات الإنسانية التى وصلت إلينا مدونة، فاللغة الأكادية فى أرض الهميس قد دونت منذ ٢٥٠٠ ق.م. وهى بهذا من أقدم اللغات المدونة. وقد وصلت إلينا نصوص مدونة بلغات

سامية مختنعة منذ هذا التاريخ المبكر وعبر حوالى خمسة وأربعين قرناً. كما يعرف العالم الحديث عدة لغات سامية حية، أهمها العربية والأمهرية ومنها العبرية الحديثة و سبغات الآرامية الحديثة والمهرية والتجرية والتجرينية. وكل هذه اللغات قد نشأت عبر مراحل من التغير عن لغة واحدة مشتركة لم تصل نصوص منها، وهى اللغة التى يسميها الباحثون باسم اللغة السامية الأولى. وهناك اقتراح بتعديل نسميتها إلى : اللغات العروبية.

١ - الخصائص المشتركة فى اللغات السامية:

تتفق اللغات السامية فى مجموعة من الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وتظهر هذه الخصائص بشكل أوضح فى اللغات السامية القديمة، ويمكن تفسير أى خروج عن هذه السمات المشتركة فى أية لغة مفردة بأنها خالفت باقى لغات الأسرة السامية فى أحد الجوانب المذكورة.

وأهم هذه الخصائص المشتركة فى اللغات السامية ما يأتى:

(أ) نجد فى اللغات السامية مجموعة أصوات الحلق: العين والحاء والغين والخاء والهاء والهمزة. وهذه المجموعة موجودة فى شكلها الكامل فى اللغة العربية. وقد حدثت لها بعض تغيرات فى عدد من اللغات السامية أدت إلى تداخل بعض هذه الأصوات، وهذا واضح مثلاً فى اللغة العبرية إذ حل فيها صوت العين محل صوتين اثنين هما العين والغين، ومعنى هذا أن اللغة السامية الأم كانت تميز بين العين والغين كما تميز بينهما العربية، ولكن الصوتين تحولوا فى العبرية إلى صوت واحد هو العين. ومعنى هذا أن الكلمات التى توجد فى العبرية بالعين يمكن أن يقابلها فى العربية من الناحية الاشتقاقية كلمات تضم صوت العين أو صوت الغين.

(ب) توجد فى اللغات السامية مجموعة أصوات مطبقة، تشترك هذه الأصوات من الناحية الطبقية فى ارتفاع اللسان درجة فى أثناء النطق بها مع اتخاذها شكلاً مقعراً.

والأصوات المطبقة فى العربية هى الصاد والطاء والضاد والظاء. وقد عرفت اللغة السامية الأم هذه الأصوات المطبقة على نحو وجودها فى العربية، وفى اللغة العربية الجنوبية القديمة. أما فى اللغات السامية الأخرى فتوجد أصوات الأطباق بعدد أقل، فالعربية مثلا تعرف صوت الصاد -فى نطقه المختلف قليلا عن النطق العربى- مقابلا اشتقاقيا لثلاثة أصوات عربية هى الصاد والضاد والظاء. فأية كلمة عربية بها ضاد أو طاء أو صاد يكون مقابلها الاشتقاقى فى اللغة العبرية -إن وجد- كلمة تضم الصاد العبرية.

(ج) يقوم بناء الكلمة فى اللغات السامية على أساس الصوامت والوزن. ومعنى هذا أن المعنى الأساسى يرتبط بالصوامت، فالكلمات: فعل، وفاعل يرتبط معناها الأساسى بالفاء والعين واللام، والكلمات: كتب ومكتب وكتابه يرتبط معناها الأساسى بالكاف والتاء والباء، والكلمات: عَلم، عالم، عُلِم يرتبط معناها الأساسى بالعين واللام والميم. أما الوزن مثل وزن فاعل فيحدد المعنى الدقيق للكلمة بأن يدل مثلا على من قام بالفعل، وعلى هذا تتفق الكلمات: كاتب، ضارب، عامل، لاتفاق وزنها.

(د) تصنف الصيغ فى اللغات السامية من ناحية الجنس النحوى إلى مذكر ومؤنث، ومن ناحية العدد إلى مفرد ومثنى وجمع. وهناك لغة سامية هى العبرية قل فيها استخدام المثنى وأصبح مقصورا على الأشياء الموجودة فى الواقع الخارجى فى شكل ثنائى مثل اليدين والرجلين. أما من ناحية النهايات الإعرابية فاللغات السامية القديمة عرفت التمييز بين ثلاث حالات فى إعراب الاسم، فهناك نهاية للمرفوع وأخرى للمنصوب وثالثة للمجرور، يتضح هذا بصفة خاصة فى الأكادية والعربية.

(هـ) وهناك عدد كبير من المفردات الأساسية المشتركة فى كل اللغات السامية، ويمكن تقسيم هذه المفردات إلى المجموعات التالية:

- ألفاظ خاصة بجسم الإنسان (رأس، عين، يد، رجل، شعر).

-ألفاظ خاصة بالنبات والحيوان (قمح، سنبله، كلب، ذئب).

- بعض الأفعال الأساسية (ولد، مات، قام، زرع).

- الأعداد الأساسية (من اثنين حتى عشرة).

- حروف الجر الأساسية (من، على، في).

وفوق هذا فإنه من الممكن للباحث في اللغات السامية تعرف المواد اللغوية المشتركة في كل هذه اللغات، والتي قامت اللغات السامية المختلفة بالإفادة منها لتكوين كلماتها الكثيرة المتجددة.

ولاشك أن درجة التقارب بين اللغات السامية المختلفة تجعلها تشكل فرعاً واحداً في إطار الأسرة الأفروآسيوية، معنى هذا أن اللغة العربية أقرب إلى اللغة العبرية أو إلى اللغة الأكادية منها إلى لغة الهوسا، فالعربية والعبرية والأكادية من الفرع السامي، ولغة الهوسا من الفرع التشادي، والفرع السامي والفرع التشادي يدخلان في الأسرة الأفروآسيوية.

٢- الفرع الأكادي

اللغة الأكادية أقدم لغة سامية دوت. فقد كتبت أقدم نصوصها حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م. والأكاديون هم تلك الجماعات السامية التي هاجرت من مهد الساميين في جزيرة العرب -على أرجح الآراء- إلى العراق. وتعد هذه الهجرة أقدم الهجرات السامية، وعندما دخلت هذه الجماعات السامية أرض العراق التقت بشعب منحضر قديم وتعصمت منه الكثير. كان العراق قبل هجرة الساميين إليه مركز حضارة السومريين، والسومريون شعب لا علاقة له بالساميين، ولغته تختلف اختلافاً بعيداً عن اللغات السامية بل وعن اللغات الأفروآسيوية بأسرها.

تعلم الساميون الوافدون من السومريين نظام الكتابة، وكان السومريون يدونون عنهم بمرور تشبه المسماريين، وتسمى هذه الكتابة باسم الكتابة المسمارية. وتعتمد هذه

رموز المسمارية بصفة عامة - على تدوين كل كلمة بعد تقسيمها إلى مقاطع. ولذا فهي كتابه مقطعية من ناحية الأساس العلمى ومسمارية من ناحية الشكل. وهذا يحط بمعقد له من ناحية التعبير عن الواقع المنطوق ميزة واحدة هو أنه يدون الحركات ضمن المقطع، فالمقطع الواحد يتكون من صامت وحركة على أقل تقدير. هو كتبت كلمة كَلْبٌ بالأكادية فإن المقطع الأخير يضم الباء والضمة ويدون برمز مسمارى محاليف للرمز المثل على الباء والفتحة، ويختلف عن الرمز المسمارى الذى يدور على الباء والكسرة. وهكذا تعدد الرموز، وتكثر مما يجعل الكتابة صعبة التعم. ولكن هذا الخط مفيد للباحث فى التحليل اللغوى.

احتفظت اللغة الاكادية بعدد من الخصائص المغرقة فى انقدم منها ظاهرة الإعراب على نحو ما نعرف فى إعراب الاسماء فى اللغة العربية، فهناك نهاية إعرابية لرفع وأخرى للنصب وثالثة للجر. وعلى العكس هذا الحانب المحافظ هناك تغيرات حدثت فى اللغة الاكادية فجعلتها تختلف عن باقى اللغات السامية، وأوضح هذه السمات فى الأكادية عدم التمييز بين أصوات الحلق، فاختفت أصوات العين والحاء والهاء من الأكادية. وقد فسر بعض الباحثين اختفاء هذه الأصوات بأنه نتيجة تأثير اللغة السومرية فلم تكن السومرية تعرف هذه الأصوات.

لقد دخلت اللغة الاكادية أرض النهرين فى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد تقريبا. وساد المنطقة حوالى ستة قرون ازدواج لغوى بين الأكادية والسومرية وهما نقوش بكتنا اغتبت من هذه الفترة. ويقسم العلماء النقوش الأكادية المدونة بعد ذلك إلى عدة مستويات لغوية بابلية واشورية. وعندما سقطت آخر الدول الاشورية فى القرن السابع قبل الميلاد كانت اللغة الآرامية تنافس الاكادية فى العراق فقل استخدامها بصورة مطردة فى القرون التالية.

٣- الفرع الكنعاني

(أ) اللغة الأجرية:

اللغة الأجرية هي اللغة السامية الثانية من ناحية تاريخ تدوين أقدم النقوش فقد دوت نقوشها حوالي سنة ١٤٠٠ ق.م. وقد اكتشفت هذه النقوش الأجرية سنة ١٩٢٩ في أطلال مدينة قديمة جاء اسمها "أجريت" في النقوش، وتوجد بالقرب من رأس شمرا على ساحل الشام. وتمثل اللغة الأجرية أقدم لغة سامية عرفت مطلقا الشام، فالأجرية مثلا تميز بين أصوات تداخلت بعد ذلك في العربية. فإذ كانت العربية تميز بين الحاء والحاء على نحو ما كان في اللغة السامية الأم فإن الأجرية أيضا تميز بينهما. وقد تحولت الحاء السامية إلى حاء في العربية فالتقت في العربية الحاء والحاء الساميتان القديمتان في صوت واحد هو الحاء. وقد دوت الأجرية بخط أبجدي، وبعد هذا الخط مرحلة متطورة نقلت نظام الكتابة إلى مستوى بسيط ودقيق إلى حد بعيد. فقد طور الأجريتون نظام الكتابة إلى أبجدية. وتقوم الكتابة الأبجدية على أساس أن يعبر الرمز الواحد أى الحرف الواحد عن صوت واحد من أصوات اللغة وبهذا يحتاج تدوين اللغة إلى عدد محدود من الرموز، وبذلك تم عند الأجريتين تبسيط نظام الكتابة، وعنه أخذت باقى الشعوب فكرة الكتابة الأبجدية.. أما من ناحية الشكل فقد دون الأجريتون حروف أبجديتهم يرموز تشبه المسامير، وبذا تعد الكتابة الأجرية كتابة مسمارية أبجدية.

(ب) اللغة الفينيقية:

اللغة الفينيقية هي لغة النقوش التي وصلت إلينا من ساحل الشام ومن جنوب أوروبا وشمال أفريقيا وجزر البحر المتوسط. وهذه النقوش مدونة بخط أبجدي متطور عن الخط الأجرى. وهو خط أبجدي، لكل صوت رمز يكتب به. والخط الفينيقى تتحد الحروف فيه أشكالا هندسية مختلفة ويشبه إلى حد ما الخط العبرى. وتؤرخ النقوش الفينيقية بفترة بين سنة ١٢٠٠ ق.م. إلى سنة ١٠٠ ميلادية في منطقة ساحل

الشام. وهناك نقوش دونت بعد هذا التاريخ فى شمال أفريقيا. ويطلق على انقوش
الفينيقية فى شمال أفريقيا اسم النقوش البونية.

(ج) اللغة العبرية:

اللغة العبرية هى إحدى اللهجات الكنعانية، تعلمتها مجموعة من الأسويين
عندما هاجروا إلى أرض فلسطين فاكسبوا لهجة كنعانية سائدة فى فلسطين فى القرن
الثانى عشر قبل الميلاد. وقد ظلت العبرية لغة الحياة اليومية فى هذه المنطقة حوالى
سنة قرون، إلى أن حلت محلها آرامية فى نفس المنطقة. وقد ارتبطت اللغة العبرية
بالدين اليهودى حتى بعد أن انتهت من الاستخدام فى الحياة اليومية. وقد دونت أسفار
العهد القديم على مدى عدة قرون، امتدت - أيضاً - بعد القرن السادس قبل الميلاد،
فبعض الأسفار دون بعد هذا التاريخ باللغة العبرية فضلاً عن سفرين فى العهد القديم
دونا بالآرامية. وتقسم المراحل التى مرت بها اللغة العبرية -اعتماد على النصوص التى
وصلت إلينا- على النحو التالى:

(أ) العبرية القديمة:

هى لغة أسفار الكتاب المقدس عند اليهود، وهو مكون من أسفار موسى
الخمسة أى التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار المكتوبات أى الأسفار الأدبية. ويرمز اليهود
إلى هذا الكتاب المقدس بالأحرف الأولى الدالة على هذا الكتاب (ت ن خ)، ويطلق
عليه المسيحيون اسم العهد القديم تمييزاً له عن العهد الجديد أى الأنجيل. ويكاد
يكون العهد هو القديم المصدر الوحيد لتعرف العبرية القديمة، فهناك نقوش قليلة
وصلت إلينا بالعبرية القديمة.

٢- عبرية المشنا:

المشنا هو الكتاب المقدس الثانى عند اليهود وقد دون بعد أن اكتمل تدوين
العهد القديم. وقد ألف كتاب المشنا بين أواخر القرن الأول الميلادى ومنتصف القرن

الثالث لميلاد بلغة عبرية لم تكن لغة الحياة آنذاك، فقد كان مؤلفو المثنى يتحدثون بالآرامية فى أمور الحياة ويرتلون الكتاب المقدس بالعبرية، وكانت العبرية لغة الدين، وبها ألفوا المثنى.

٣- العبرية الوسيطة:

العبرية الوسيطة هى لغة الكتب الدينية وغير الدينية التى ألفت فى العصور الوسطى، وهناك خلاف بعيد حول تحديد نقطة البداية ونقطة النهاية بالنسبة لهذه المرحلة من تاريخ اللغة العبرية. لقد ازدهرت اللغة العبرية فى إطار الحضارة الإسلامية فى الأندلس فكتب بها نصوص أدبية، فيها محاكاة للأدب العربى مثل المقامات، وترجمت إلى العبرية كتب عربية كثيرة وكتب بها بعض المؤلفات الدينية والفلسفية.

٤- العبرية الحديثة:

العبرية الحديثة هى اللغة الرسمية فى إسرائيل. والعبرية الحديثة هى محاولة لحياء اللغة العبرية بعناصرها الموروثة مع تطويرها لتعبر عن الحضارة الحديثة. ولذا فهناك اختلافات فى بنية اللغة العبرية الحديثة تعكس تغيراً طرأ على هذه اللغة عبر مراحلها المختلفة، وهناك مصطلحات كثيرة دخلت إليها من اللغات الأوروبية المختلفة. ويعكس نطق اللغة العبرية الحديثة العادات الصوتية عند أبناء اللغات الأوروبية، ويتضح هذا بصفة خاصة فى عدم نطق أصوات الإطباق وأصوات الحلق بالطريقة المتعارف عليها عند العرب وفى اللغات السامية القديمة.

٤- الفرع الآرامى :

وصلت إبيأ الآرامية فى عدد من المستويات اللغوية منذ القرن العاشر قبل الميلاد إلى اليوم، ظلت الآرامية معروفة على مدى القرون الثلاثين الماضية وليست هناك لغة آرامية موحدة، بل تنوعت المستويات اللغوية الآرامية فى كل فترة زمنية نوعاً بعيداً، وتغيرت خصائص هذه اللهجات بعضى الوقت.

(أ) آرامية الدولة :

وصلت الآرامية إلى مكانة رفيعة فى القرون السابع والسادس والحامس قبل الميلاد عندما أعلنت لغة رسمية للإمبراطورية الايرانية فى عصر الأخمينيين، ولذا يطلق عليها فى هذه الفترة مصطلح "آرامية الدولة". وهناك نقوش من هذه الفترة وجدت فى منطقة واسعة من العالم القديم أقصاها شرقا فى منطقة تقع الآن فى باكستان وأقصاها غربا فى أسوان بمصر. كانت الآرامية فى كل هذه المنطقة لغة التعامل بدوى اتى يتوسل بها أبناء اللغات المحلية المختلفة فى تعاملهم مع بعضهم البعض. وقد دوت الآرامية فى كل هذه النقوش بخط أبجدى بسيط كان من أسباب الإقبال على استخدامها.

(ب) السريانية:

السريانية أهم اللهجات الآرامية من الناحية الحضارية ارتبط تاريخها بالمسيحية، ولذا يرغب المسيحيون عن تسميتها بالآرامية باعتبار الآرامية لغة وثنية. وكانت السريانية لهجة منطقة محدودة فى الشام وانتشرت مع ظهور المسيحية شيئا فشيئا إلى أن أصبحت لغة منطقة كبيرة فى الشام والعراق ولغة ثقافية معروفة. وترجع أهمية اللغة اسريانية فى المقام الأول إلى أنها كانت وسيلة نقل التراث اليونانى إلى اللغة العربية. ففى القرون السابقة على الاسلام كان المثقفون المسيحيون السريان يتعمون اللغة ايونانية ويقرأون تراث اليونان، وعندما دخلت منطقة الشام والعراق بعد الفتح الاسلامى فى إطار الحضارة الإسلامية الناشئة أسهم المسيحيون السريان فى تكوين الحضارة العربية الإسلامية بترجمة ما عندهم من معارف يونانية إلى اللغة العربية. ومن أشهر المترجمين السريان حنين بن اسحق وتلاميذه.

ج- اللهجات الآرامية الأخرى :

هناك عدد كبير من اللهجات الآرامية الحديثة. يضم التلمود وهو أحد الكتب المقدسة عند اليهود متنا وشرحاً، والمتن بالعبرية ويسمى المشنا، أما الشرح يسمى جمارا. وهذا الشرح المدون في العراق باللهجة الآرامية البابلية يكون مع لمتنا. التلمود البابلي. أما الشرح المدون باللهجة الآرامية الفلسطينية فيكون مع نص امشما ما يسمى باسم التلمود الفلسطيني. وهناك لهجات آرامية كثيرة ترجمت إليها أسفار التوراة، وتعرف هذه الترجمات باسم الترجوميم. وفي العهد القديم سفر ن مدونان بالآرامية، هما سفر دانيال وسفر عزرا. وعندما كانت اللغة العربية لاتكتب عند أهلها كان النبط وهم شعب عربي عاش في شمال الحجاز وجنوب الأردن يدون نقوشه بلهجة آرامية. وهناك لهجة آرامية توجد إلى اليوم في جنوب العراق عند الصابئة، وهم المنديون الذين احتفظوا بدينهم وبلهجتهم الآرامية وكتابهم المقدس إلى اليوم.

وتوجد اليوم عشرات القرى الآرامية في شمال العراق وإيران، وهناك قريتان آراميتان في سورية. وهذه القرى الآرامية تقع في مناطق جبلية حافظت على ارتباطها بالمسيحية. في السنوات الماضية هاجرت جماعات آرامية كثيرة من شرق تركيا إلى ألمانيا والسويد. ويقدر مجموع عدد الناطقين بالآرامية في هذه المناطق بربع المليون.

٥- الفرع الجنوبي:

يضم الفرع الجنوبي مدى اللغات السامية العربية (الشمالية) العربية الجنوبية، واللغات السامية في الحبشة.

(أ) العربية الجنوبية:

العربية الجنوبية مجموعة المستويات اللغوية التي وصلت إلينا في النقوش التي يسميها الباحثون باسم النقوش المعينة والسبئية والحمرية. وتؤرخ هذه النقوش بالفترة من القرن السادس الميلادي تقريبا، وقد وجدت هذه النقوش في الصنف الجنوبي من

حريرة العرب وعلى طرق التجارة التي كان الجنوبيون يقفون في محطاتها الموحدة حتى أقصى الشمال. وهذه النقوش مدونة بخط أبجدي بسيط يختلف من ناحية أشكال الحروف عن الخط العربي الشمالي، ويسمى الخط العربي الجنوبي باسم حط المسد. وبعد انهيار سد مارب هاجرت قبائل جنوبية إلى الشمال، فأحدثت تعرب شيئا فشيئا بلغة الشمال، وأخذت العربية الشمالية قليل الاسلام تنتشر في حوض الجزيرة العربية، وراود معدل العريب بشكل واضح بعد دخول اليمن في الاسلام. ولم يبق من العربية الجنوبية إلى اليوم إلا مجموعة من اللغات في مناطق منعزلة نسبيا أهمها المهريّة في اليمن الشعبية على حدود عمان، ويقدر عدد أبناء المهريّة بحوالي ربع مليون، وتوجد لغة جنوبية حديثة في جزيرة سو قطرة في بحر العرب. وتسمى باسم اللغة السوقطرية، وهناك عدة مستويات لغوية عربية جنوبية في سلطنة عمان.

ب- اللغات السامية في الحبشة:

نشأت اللغات السامية في الحبشة نتيجة لهجرة عربية جنوبية من جزيرة العرب إلى شرق أفريقيا، هناك تشابه بين أقدم ما وصل إلينا مدونا في الحبشة وبين ما نعرفه في النقوش العربية الجنوبية القديمة.

لغة الجعز أقدم سامية عرفتها الحبشة، وهي لغة ذات ارتباط مسيحي واضح، وتشبه من هذا الجانب اللغة السريانية وكذلك اللغة القبطية. وقد ترجمت إلى لغة الجعز في القرن الرابع الميلادي مجموعة الأسفار المكونة للعهد المقدس لدى المسيحيين، وقد ظلت لغة الجعز ذات ارتباط كنسي واضح، فأكثر ما كتب بها وما ترجم إليها نصوص دينية. اعتمدت هذه النصوص على أصول سريانية أو يونانية قبل تعريب مصر ثم على نصوص عربية بعد تعريب كتب الكنيسة انطاكية في مصر. فالأحباش مسيحيون يتبعون الكنيسة القبطية. ولاتزال لغة الجعز لغة الطقوس الدينية في الحبشة.

وهناك لغات سامية حديثة في الحبشة، فلفة الجعز ماتت منذ قرون، ولم يعد لها استخدام في الحياة اليومية. وأكثر اللغات السامية استخداما في الحبشة اليوم هي الأمهرية، وهي اللغة الرسمية في الدولة وبها مؤلفات حديثة وتصدر بها الصحف وتستخدم في التعليم العام، أما اللغتان التجرينية والتجرية فهما أكثر اللغات انتشارا في إريتريا.

وتدون اللغات السامية المختلفة الموجودة إلى اليوم في الحبشة بحط يقوم على نظام المقاطع، فالحرف الواحد يرمز إلى صوت صامت مع حركة، والحركات كثيرة في اللغات السامية في الحبشة، ولذا يصل عدد الرموز المستخدمة في تدوين تلك اللغات إلى حوالي ١٨٠ رمزا. وأخيرا فلا بد من الإشارة إلى أن دولة الحبشة تضم جماعات كثيرة العدد لها لغات مختلفة لا تنتمي إلى اللغات السامية.

ثانيا: الأفرع اللغوية الأخرى

تضم الأسرة الأفروآسيوية إلى جانب الفرع السامي أربعة أفرع لغوية أخرى، هي: الفرع المصري القديم، والفرع البربري، والفرع الكوشي، والفرع التشادي.

(١) اللغات المصرية القديمة:

اللغة المصرية القديمة من أقدم اللغات الحضارية في العالم. يرجع أقدم نقوشها إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد تقريبا، وهي بهذا موازية من ناحية الزمن للفتن السومرية والأكادية. وهناك أوجه كثيرة بين اللغة المصرية القديمة وبين اللغات السامية، منها استخدام التاء سدالة على الأنثى والكاف المخاطب والنون للجمع والباء لسبب. وتصنف اللغة المصرية القديمة واللغات السامية الأسماء من ناحية العدد إلى مفرد ومثنى وجمع، ومن ناحية الجنس النحوي إلى مذكر ومؤنث.

وقد دونت اللغة المصرية القديمة عدة قرون فتغيرت خصائصها اللغوية، ولذا يمكن تقسيم مراحل تطورها إلى عدة مراحل (مصري قديم، مصري متوسط، مصري

متأخر) وتعد اللغة القبطية آخر مرحلة من مراحل تاريخ اللغة المصرية القديمة. وقد كتبت اللغة المصرية القديمة بعدة خطوط أقدمها الكتابة الهيروغليفية وتقوم أساساً على تدوين الكلمة بشكل دال على معناها مع الرمز إلى العناصر الصرفية بمرور بصدسة محددة تشير إلى النطق. وقد بسطت الكتابة فى مراحل تالية واتحدت أشكالاً محتصرة، ومن أهم هذه النظم المبسطة الخط الهيرواطيقى والخط الديموطيقى.

أما اللغة القبطية فقد دوت بخط أبجدى يقوم على الأبجدية اليونانية مصفاً إليها سبعة أحرف لاتوجد فى اليونانية. وقد ارتبطت اللغة القبطية بالمسيحية فى مصر، وكانت تمثل ازدواجاً لغوياً مع اللغة اليونانية، ولذا دخلت القبطية ألفاظ يونانية كثيرة. ومن هذا الجانب تشبه اللغة القبطية اللغتين السريانية والعبرية.

(٢) اللغات البربرية:

هناك نقوش قديمة يزيد عددها عن ألف نقش وجدت فى مناطق مختلفة من شمال أفريقيا، وتسمى عند الباحثين باسم النقوش الليبية أو النوميدية. وبعض هذه النقوش مكتوب بلغتين أحدهما هى النليبية والأخرى هى اللاتينية أو اليونانية، مما جعل فك الرموز الليبية التى دوت بها هذه النقوش أمراً سهلاً. وهناك نقوش ليبية مدونة بحروف لاتينية ويونانية. ولم يستطع الباحثون تحديد تاريخ أكثر هذه لنقوش على نحو دقيق، وبعضها يرجع إلى سنة ١٣٩ ق.م.

وقد ثبت من الخصائص اللغوية لهذه النقوش قرابتها مع اللغات السامية، فعند بعض الباحثين اللغة الليبية لغة سامية انفصلت عن باقى المجموعة فى وقت مبكر، ويصفها باحثون معاصرون باعتبارها فرعاً فى داخل الأسرة الأفراسوية.

تشترك النقوش الليبية القديمة مع اللهجات البربرية التى وصلت إليها بصوص قليلة منها، مادون بالخط العربى ويخط بربرى محلى، فى خصائص مشتركة، وتعد المستويات اللغوية البربرية الحديثة امتداداً لليبية القديمة. تقوم بنية الكلمة فى لبربرية

على الصوامت والأوزان على النحو المعروف في اللغات السامية. وهناك عدد من
اوحادات الصرفية في البربرية تؤدي الوظائف نفسها على نحو ما نعرف في اسعدت
السامية، ودلت مثل التاء للتانيث والنون الجمع. وتعرف البربرية أيضا التمييز بين
الضمائر المنفصلة والضمائر المتصلة. أما أداة التعريف فهي في البربرية أل ولكن يبدو
أنها مستعارة من العربية لأن اللغات السامية لا تشترك في أداة التعريف، وقد طورت كل
لغة لنفسها أداة تعريف خاصة بها. وتوجد اللهجات البربرية في منطقة شمال أفريقيا
التي سادتها اللغة العربية بعد الفتح الاسلامي، بوصفها لغة الثقافة والعلم، ثم أدت محجرة
بنى هلال في منتصف القرن الخامس الهجري إلى تعريب مناطق بربرية كبيرة، وكان
الفتح الاسلامي قد عرب منطقة صغيرة على الساحل التونسي. وتوجد اليوم جماعات
بربرية قليلة العدد في ليبيا وتونس، ولكن أكثر البربر يعيشون في الجزائر والمغرب
وموريتانيا والصحراء ويقدر عددهم بحوالي عشرة ملايين وهناك جماعات
بربرية في دول أفريقية جنوب دول المغرب.

(٣) اللغات الكوشية:

اللغات الكوشية فرع من الأسرة الأفروآسيوية يضم عشرات اللغات تبدأ في
جنوب مصر وتمتد على الساحل الشرقي الأفريقي حتى الصومال، وأهم اللغات التي
يضمها هذا الفرع اللغة الصومالية التي تستوعب الحياة اليومية في الصومال وفي
المناطق المتاخمة في إثيوبيا وكينيا. وكانت دراسة البنية اللغوية لهذه اللغات وراء
الفرض القائل بأن اللغات السامية تكون مع اللغات الحامية أسرة واحدة. ويحفظ أكثر
الباحثين تجاه مصطلح الحامين لغموضه، ويفضلون اعترافا بالقرابة بين هذه اللغات
والفروع اللغوية الأخرى جعلها في إطار ما يعرف باسم الأسرة الأفروآسيوية.

(٤) اللغات التشادية:

تضم اللغات التشادية حوالي ثمانين لغة، أكثرها أهمية وانتشارا لغة الهوسا وتعد
لغة الهوسا أكثر اللغات انتشارا في أفريقيا جنوب الصحراء، وهي اللغة السائدة في

بيجيريا الشمالية والكاميرون وفي المنطقة المجاورة من جمهورية اسيجر . ويقدر عدد أبناء الهوسا بما لا يقل عن خمسة عشر مليوناً، ويتعامل بها من غير أبنائها عدد لا يقل عن عشرة ملايين. وهناك جماعات تتعامل بلغة الهوسا في مواقع مختلفة في أفريقيا العربية وأفريقيا الاستوائية. وأكثر المتحدثين بلغة الهوسا من المسلمين، وقد ارتبطت لغة الهوسا بالثقافة العربية الإسلامية عدة قرون، فكتبت بالخط العرسي ودخلتها ألفاظ عربية كثيرة. وقد عدل نظام الكتابة في عهد الاستعمار الأوربي وأحدثت المدارس الحكومية في تعليم لغة الهوسا مدونة بالخط اللاتيني. وتشترك اللغات انتشادية مع باقي اللغات الأفروآسيوية في عدد من الخصائص البنيوية المشتركة، من أهمها التمييز بين المذكر والمؤنث واستخدام التاء للتأنيث والنون للربط مع الضمير والميم سابقة تكون الصيغ الدالة على اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل، مما يشير إلى أن كل هذه اللغات تكون أسرة لغوية واحدة.

الفصل الثاني عشر

اللغات الهندية الأوروبية

أُنشئت بحوث القرن التاسع عشر أن عددا كبيرا من اللغات القديمة البائدة والوسيط والحديثة فى رقعة جغرافية شاسعة تمتد من الهند إلى أوروبا تكون أسرة لغوية واحدة. وقد أطلق اللغويون الألمان على هذه الأسرة اسم اللغات الهندية الجرمانية Indogermanische Sprachen بينما تسمى هذه الأسرة عند غيرهم من الباحثين باسم اللغات الهندية الأوروبية Indo European Languages. وقد أخذنا بالتسمية الأخيرة باعتبار أنها تقوم على أساس جغرافى واضح، وتشير إلى المنطقة الممتدة من الهند إلى أوروبا. وليس معنى هذا أن أسرة اللغات الهندية الأوروبية تضم كل اللغات فى هذه المنطقة الكبيرة من العالم، فهناك لغات قديمة وحديثة فى هذه المنطقة، لا تنتمى إلى الأسرة الهندية الأوروبية. اللغتان العيلامية والسومرية ليستا من اللغات الهندية الأوروبية. كانت العيلامية فى غرب إيران وكات السومرية فى العراق القديم. وكنا اللغتين العيلامية والسومرية من اللغات البائدة منذ عصور سحيقة. ولكننا نجد -أيضا- عدة لغات حية فى الهند وأوروبا ولا تدخل فى أسرة اللغات الهندية الأوروبية. ففي جنوب الهند نجد مجموعة لغات متقاربة البنية تكون أسرة مستقلة هى أسرة اللغات الدرافيدية، وهى أسرة مستقلة لعللاقة لها باللغات الهندية -الأوروبية. وإذا ما توجهنا من الهند إلى أوروبا نلتقى بلغات كثيرة أخرى تصنف فى أسر لغوية كثيرة، فهناك لغات القوقاز، ولغات الترك والمجموعة الفنلندية المجرية، ولغة الباسك، وكلها لعللاقة لها بالأسرة الهندية الأوروبية. ولذا يقوم تصنيف اللغويين للغات الهندية الأوروبية على الخصائص اللغوية وليس على المنطقة الجغرافية.

ترجع اللغات الهندية الأوروبية المختلفة إلى أصل واحد لم يصل إلينا على نحو مباشر. ولكن العلماء اتفقوا على تسمية اللغة التى خرجت عنها كل هذه اللغات باسم

اسعة الهندية الأوربية الأولى . وكانت توجد قبل عام ٢٠٠٠ ق.م. فى مهد اللغات
يهودية الأوربية. وعندما هاجرت الجماعات البشرية من هذه المنطقة فى فترات
تاريخية متلاحقة أخذت اللغات المختلفة تتكون وتتفصل عن بعضها البعض وتختلف
التالى عن اللغة الأقدم، أى أن الباحثين يربطون الهجرات ونشأة اللغات المختلفة. وإذا
كان تمة اختلاف حول مهد اللغة الهندية الأوربية الأولى قبل خروج الهجرات فمن
كثيرا من الباحثين يميلون إلى افتراض إنها كانت فى المنطقة التى توجد الآن فى جنوب
جمهورية روسيا إحدى جمهوريات الاتحاد الروسى، ومن هذه المنطقة خرجت
موجات الهجرات جنوبا إلى إيران والهند وفى اتجاه الغرب إلى قلب القارة الأوربية ثم
فى اتجاه الجنوب إلى البلقان.

أولا: اللغات المفردة

المقصود باللغات المفردة فى إطار الأسرة الهندية الأوربية تلك اللغات التى
يكون كل منها فرعاً مستقلاً بذاته. اللغة الحيثية أقدم اللغات المفردة فى الأسرة الهندية
الأوربية. وقد وجدت النقوش الحيثية فى آسيا الصغرى مكتوبة تارة بالخط المسمارى
وتارة بالخط الصورى. لقد تعلم الحيثيون الكتابة المسمارية عن السومريين، الذين
كانوا أصحاب أقدم خط فى العالم. وكان الحيثيون أول من كتب من أبناء اللغات
الأوربية، ويبدو أن اللغة الحيثية قد عاشت فى آسيا الصغرى منذ هجرة الحيثيين
إلى هذه المنطقة سنة ٢٠٠٠ ق.م. حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وقد تم
اكتشاف عدد كبير من النقوش الحيثية سنة ١٩٠٥ م

واللغة اليونانية أقدم اللغات الهندية الأوربية الحية منذ ثلاثة آلاف عام. لقد تعلم
اليونان الكتابة من الفينيقيين فى القرن التاسع قبل الميلاد، فكتبوا بحط أحدى يعبر عن
الطق تعبيراً مباشراً. وكانت اليونانية قد عرفت لهجات كثيرة فى الفترة الثانية لهجرة
أسائها الأوائل من مهد اللغة الهندية الأوربية الأولى إلى جنوب أوروبا، ولكن ايونانية
الكلاسيكية تطورت على أساس لهجة أثينا التى كتب لها السيادة والازدهار بعد انتصار

اليونان على العرس. وترجع أهمية اللغة اليونانية القديمة إلى أنها اللغة التي دونت بها الآثار الأدبية والحطبة السياسية والقضائية، كما كتبت بها الدراسات الفلسفية. وفي أواخر القرن الخامس قبل الميلاد كانت اللغة اليونانية القديمة قد أصبحت لغة مشتركة ذات مستوى حضارى راق.

ويطلق على اللغة اليونانية فى عصر الحضارة الهلينستية مصطلح Koiné أى اللغة المشتركة. وكانت هذه اللغة بعد فتح الاسكندر لمناطق شاسعة من الشرق لغة تعامل بين شعوب كثيرة فى العالم القديم، ثم كانت اللغة الرسمية فى شرقى الدولة الرومانية. وقد استخدمت هذه اللغة فى أقدم ترجمة للعهد الجديد، كان سكان الشام فى عهد المسيح يستخدمون الآرامية فى حياتهم اليومية، وكانت اللغة اليونانية لغة الحضارة والتعامل بين الطبقات المتميزة اجتماعيا وثقافيا فى الشام والعراق ومصر، وتكونت -أيضا- عدة جزر حضارية يونانية فى مناطق متباعدة حتى حدود الهند. وقد انكمش مجال استخدام اللغة اليونانية المشتركة بعد الفتح الاسلامى من جانب ومع دخول اسلاف إلى البلقان فى القرن السابع الميلادى.

أما اللغة اليونانية الحديثة فقد بدأت تتخذ طابعها الحالى فى القرن السابع عشر، واستقرت فى القرن التاسع عشر لتكون لغة دولة اليونان والقسم الأكبر من قبرص. لقد كانت اللغة اليونانية فى مرحلتها القديمة وفى أثناء استخدامها بصفتها لغة تعامل حضارى قد حققت نفسها مكانة دولية، وهى اليوم من اللغات الوطنية المحلية.

وتكون اللغة الأرمنية أيضا فرعا مستقلا من أفرع الأسرة الهندية الأوروبية، لقد دونت فى القرن الخامس الميلادى ومر تاريخها المدون بمراحل متتابعة، وقد خضعت المنطقة بلغوية لأرمينية لدول كبرى مختلفة على مر التاريخ، فتأثرت بلغات العرس ورومان والبيزنطيين والعثمانيين، وأدى هذا إلى تأثر بنية اللغة الأرمنية ومعجمها بهذه اللغات كثيرة التى احتكت بها، وهى اليوم لغة حوالى أربعة ملايين نسمة، ويعيش حوالى نصف أساء اللغة الأرمنية فى جمهورية أرمينيا، ويعيش الباقون فى مصر ولسان

وسوريا وفرنسا وأمريكا. وهم يتعاملون فى هذه الدول بلغتها، بالإضافة إلى احتفاسهم باللغة الأرمنية واهتمامهم بتعليمها لأبنائهم.

واللغة الألبانية آخر لغة أوربية حديثة انتظم تدوينها إلى الآن، فقد دونت بعض النصوص باللغة الألبانية فى القرن الخامس عشر الميلادى ثم كتبت عدة خطوط، كتبها البعض بالخط اللاتينى وكتبها آخرون بالخط اليونانى، وكتبها المسلمون بالخط العربى. ولم يهتم أبناء اللغة الألبانية بالتأليف فى لغتهم لأنهم كانوا على مر التاريخ مجموعة لغوية صغيرة فى إطار دولة كبرى تتعامل بلغة غير اللغة الألبانية. وفى القرن التاسع عشر بدأت محاولات إصلاح الخط وتطويره ليكون معبرا عن اللغة الألبانية، ولم تسفر محاولات الإصلاح ويكتب لها النجاح إلا فى أواخر الحرب العالمية الأولى. واللغة الألبانية لغة حوالى ثلاثة ملايين فى ألبانيا، وهناك أقليات ألبانية تعيش فى مناطق مختلفة من جنوب شرق أوروبا.

ثانيا: الفرع الهندى

تضم شبه القارة الهندية عددا كبيرا من اللغات، ففى جنوب الهند توجد مجموعة لغات تكون أسرة لغوية مستقلة هى الأسرة الدرافيدية. ولكن المقصود بالفرع الهندى هذ تلك اللغات التى تدخل فى إطار الاسرة الهندية الاوربية. وليست هناك علاقة بنوية بين الأسرة الدرافيدية والأسرة الهندية الأوربية، فكلتاها أسرة لغوية مستقلة. يبدأ الفرع الهندى تاريخه القديم حوالى سنة ٧٠٠ ق.م، فهو بذلك من أقدم الأفرع اللغوية للأسرة الهندية الأوربية. وهناك نصوص قديمة نعرفها فى مستويين لغويين، الفيدية والسنسكريتية، وقد دونت بالفيدية والسنسكريتية الأناشيد الدينية وكتب المعرفة الهندية القديمة. كانت السنسكريتية أقدم لغة من لغات العالم تناولها البحث النحوى، فاللغوى الهندى يانينى وضع قواعد السنسكريتية حوالى سنة ٤٠٠ ق.م، ولاتزال معروفة بطريقة ما- عند بعض العلماء اليهود الديس توارثوا المعرفة بها عبر الأجيال، بعض هؤلاء يؤلف باللغة السنسكريتية حتى اليوم.

ومن أهم لغات الفرع الهندى فى العصور الوسطى لغة بالى Pali، وهى لغة بوذا والمؤذية، وقد دونت اللغة البالية بخطوط كثيرة فهناك كتب باللغة البالية مدونة بالخط الكمبودى وكتب أخرى مدونة بالخط السيامى ومجموعة ثالثة مدونة بالخط الرمانى ومجموعة رابعة مدونة بالخط السنهاليزى، ولكن الباحثين الأوربيين يكتبونها بالخط اللاتينى.

وتوجد فى شبه القارة الهندية لغات كثيرة معاصرة يدخل أكثرها فى إطار الأسرة الهندية الاوربية، وأهم هذه اللغات الأردية والهندية، والبنغالية، والبنجابية، والمراثية، والراجستانية، والبهارية. والواقع أن الأردية والهندية لغة واحدة آخذة فى الانقسام. ويطلق عليها عند المسلمين لغة الأردو، أى لغة الجيش، وتسمى عند الهندوس باسم الهندوستانى. يكتب المسلمون الأردية بالخط العربى، مما يتيح الإفادة من ألفاظ فارسية وعربية كثيرة، فاللغة الأردية إحدى اللغات الإسلامية، وشأن لغات الأمم الإسلامية على مر التاريخ أن تقبل ألفاظاً عربية كثيرة. أما الهندوس فيكتبون اللغة الهندوستانية بالخط الديفانجارى القديم، ويحاولون التخلص بقدر الإمكان من الألفاظ العربية والفارسية وإحياء ألفاظ سنسكريتية قديمة أو نحت ألفاظ جديدة بدلا عن الألفاظ العربية الفارسية الدخيلة فى الهندوستانية. وبسبب التنوع اللغوى فى الهند توجد مشكلة كبيرة فى التعامل بين أبناء اللغات المختلفة، ولم تستطع اللغة المعروفة باسم الهندى أن تفرض نفسها، كما ينص الدستور الاتحادى الهندى لغة رسمية فى الهند.

أما اللغة البنغالية التى تنتمى أيضا إلى لغات الفرع الهندى، فتتجاوز أهميتها دولة بجلاديش إلى داخل الهند، فهناك ملايين من أبناء اللغة البنغالية فى داخل الهند.

أما فى باكستان فالأردية هى اللغة الوطنية، وإلى جانب الأردية توجد فى باكستان أربع لغات محلية تستوعب مجالات الحياة اليومية، وهى اللغات السندية فى إقليم السند (كراتشى) والبنجابية فى إقليم البنجاب (لاهور) والباشتو فى إقليم سرحد

(شاور) والبلوشية فى إقليم بلوشستان (كوتا). واللغتان السندية والبجائية من الفرع الهندى من اللغات الهندية الاوربية، أما اللغتان البلوشية والباشتو فهما من فرع الإيرانى للأسرة الهندية الأوربية.

ثالثا: الفرع الإيرانى

تعد اللغات الإيرانية فرعا من أفرع الأسرة اللغوية الهندية الأوربية، وترتبط بوشائج القرابة المباشرة مع لغات الفرع الهندى من اللغات الهندية الأوربية، فالتاريخ اللغوى للفرعين الإيرانى والهندى يعود بهما إلى أصل واحد مشترك، يطلق عليه أحيانا اللغة الآرية الأولى. وأقدم ما وصل إلينا بهذه اللغة المشتركة التى صدرت عنها اللغات الإيرانية واللغات الهندية مجموعة أسماء جاءت فى نقوش ترجع إلى سنة ١٧٠٠ ق.م. تقريبا، ومعنى هذا أن هذه الأسماء يمكن أن تعد هندية بقدر ما هى إيرانية، أو بالأحرى هى من تلك اللغة الإيرانية الهندية الأولى.

وقد اتخذت القبائل والشعوب الإيرانية تاريخها المستقل عن الشعوب الهندية عندما انفصلت هذه الجماعات عن تلك، وبذلك بدأ التاريخ اللغوى للفرع الإيرانى. ويمكن تحديد تاريخ هذا الانفصال بحوالى سنة ١٥٠٠ ق.م. تقريبا، وهى يبدأ الفرع الإيرانى تاريخه، وقد صنف الباحثون تلك اللغات الكثيرة التى يضمها الفرع الإيرانى تصنيفا زمنيا إلى اللغات الإيرانية القديمة واللغات الإيرانية الوسيطة واللغات الإيرانية الحديثة، وبداخل كل مجموعة نجد مجموعة من اللغات واللهجات.

١ - الإيرانية القديمة:

قد عرفت الإمبراطورية الإيرانية فى عهد الاخمينيين (٥٥٩-٣٣٣ ق.م) عدة لغات، فقد امتد إقليم الدولة فأصبح يضم كل أنحاء إيران وأرض النهرين والشاء ومصر وقسما من الحبشة. وكانت اللغة الفارسية القديمة لغة الملك ولغة البلاط ولغة المحكام. وإلى جانب هذه اللغة كانت الأكادية لغة التعامل الدولى فى الشرق كنه، وبها دوت

نقوش ملكية كثيرة فى كل أنحاء الامبراطورية، وهناك نقوش ملكية أيضا مدونة بالعلامية، وهى لغة لاتمت بصلة قرابة إلى الاكادية أو إلى الفارسية القديمة وهناك نقوش دوت بختين بعضها بالفارسية والآكادية، وبعضها بالفارسية القديمة والعلامية، أى لغة امتث مع لغة أخرى. يضاف إلى كل هذه اللغات أن كثيرا من النقوش دوت بعات أقاليه الدولة، مثل المصرية القديمة فى مصر والآرامية فى الشام والعراق. وهكذا لم تكن اللغة الفارسية القديمة وحدها فى إمبراطورية ايران، بل نازعتها مكاتها لغة دولية ولغات محلية كثيرة.

إن أكثر النقوش الفارسية القديمة ترجع إلى الفترة بين ٦٠٠ و ٤٠٠ ق.م. وقد لاحظ الباحثون حدوث تحول لغوى مهم فى أواخر هذه الفترة، فقد تحولت اللغة الفارسية من النمط الإعرابى إلى النمط التحليلى. والفرق كبير بين النمطين، ففى النمط الإعرابى تقوم النهايات الإعرابية بإيضاح الوظائف الحوية لعناصر الجملة، ولكن النمط التحليلى يعتمد على ترتيب الكلمات فى داخل الجملة وعلى عناصر الربط بين هذه الكلمات. وملاحظ هذا التحول فى الفارسية القديمة اختفاء النهايات الإعرابية القديمة فأصبح ترتيب الكلمة فى الجملة محدداً للدلالة. لقد حدث هذا التحول من النمط الإعرابى إلى النمط التحليلى بين عامى (٤٨٠-٤٠٠ ق.م)، وبدلك نشأت الفارسية الوسيطة ثم الفارسية الحديثة. وبعد هذا التحول من النمط الإعرابى فى الفارسية القديمة إلى النمط التحليلى فى الفارسية الوسيطة السمة الأساسية التى تفرق بين المرحلتين.

٢- الإيرانية الوسيطة:

يضم فرع الإيراني فى المرحلة الوسيطة عددا من اللغات، وكان الباحثون الأوروبيون حتى أواخر القرن التاسع عشر لا يعرفون من المستويات اللغوية الإيرانية الوسيطة سوى لغة واحدة هى الفارسية الوسيطة (البهلوية)، وقد تقدم البحث فى القرن

اعشرين تقدما بعيدا، فأصبحنا نعرف من اللغات واللهجات الإيرانية الوسيطة:
الفارسية الوسيطة، ثم الصغدية والخورزمية.

(١) الفارسية الوسيطة:

الفارسية الوسيطة امتداد الفارسية القديمة، ويطلق عليها أيضا اسم البهلوية، ويرجع هذا الاسم إلى كلمة Pahlaw ومعناها بارثي، ولذا فكلمة (بهوى) تعنى لغة البارثيين.

وقد دونت البهلوية بالخط الآرامى على نحو جعل الكتابة معقدة غير واضحة. وترتبط هذه الظواهر بطبيعة العلاقات اللغوية فى دولة الأخمينيين، فقد كانت الآرامية اللغة الرسمية فى الدولة، فكان كبار رجال الدولة يعرفون الآرامية، وظلت المعرفة بالآرامية هى السمة المميزة لطبقة كبار الموظفين عدة أجيال، فكانت مصدر فخرهم وسمة انتمائهم. وعندما أرادوا تدوين لغتهم الإيرانية لم يأخذوا فى تدوينها بالمكونات الصوتية لكلمة الإيرانية المقصودة، بل اعتمدوا المكورة التى تعبر عنها الكلمة الفارسية. ومعنى كتابة المكونات الصوتية تدوين الكلمة برموز تدل على نطقها الحقيقى، وهذا ما لم يحدث فى تدوين الفارسية الوسيطة، ولكنهم اعتبروا الكلمة الإيرانية كيانا دلاليا متكاملًا، ودونوا هذه الكلمة بحروف الكلمة الآرامية التى تؤدى نفس معنى الكلمة الإيرانية.

ويتضح هذا الأمر من المثال الآتى تدل، كلمة (شاه) فى الفارسية الوسيطة على الملك أو الامپراطور أو رئيس الدولة، وهذا المعنى يعبر عنه فى الآرامية بكلمة (ملكًا). وفى الكتابات البهلوية كانوا إذا أرادوا تدوين كلمة (شاه) لم يكتبوا هذه الكلمة بطريقة مباشرة بتدوين المكونات الصوتية لهذه الكلمة، بل كانوا يدومون الكلمة الآرامية المقابلة التى تؤدى نفس المعنى، وهى كلمة (ملكًا)، ولما كان الخط الآرامى فى ذلك الوقت لا يدون الحركات القصيرة ولا الحركات الطويلة كانت النتيجة أنهم كتبوا (م ل

ك) للتعبير عن كلمة (شاه)، ولا علاقة صوتية بينهما إلا أن كليهما يعبر -دلاليا- عن الملك.

ولكن الكتابة البهلوية تدون -إلى جانب ما ذكرنا- النهايات التصريفية وفق المكوّنات الصوتية لها، وهذا على عكس النظام المتبع في تدوين المفردات الأساسية. ولذا فتدوين البهلوية يقوم على نظامين مختلفين، نظام التدوين بالمعنى ثم نظام التدوين الصوتي. فإن المفردات الأساسية كانت تدون تدوينا لاعلاقة له بأصوات الكلمة -عنى نحو ما مثلنا، ولكن النهايات التصريفية مثل نهايات الجمع وتكون من فتحة طويلة ونون (آن) فكان تدوينها يتم برموز توضح مكوناتها النطقية. وهذا النظام المردوح جعل تعلم الكتابة أمراً معقداً مقصوراً على من كابد ذلك وتعلمه ليتاح له مجال الرقى الوظيفي والاجتماعي، وخصوصاً في عهد الساسانيين (٢٢٦-٦٥٢م) عندما كانت اللغة البهلوية اللغة الرسمية في الدولة الإيرانية.

(ب) الصُغدية:

الصغدية إحدى اللغات الإيرانية الوسيطة، وطلت معروفة عدة قرون في الحضارة العربية الإسلامية. ترجع أقدم نصوص وصلت إلينا بالصغدية إلى القرن الرابع الميلادي، وقد وجدت أكثر هذه اللغة في منطقة بخارى وسمرقند. وعلى الرغم من تدمير منطقتهم في أثناء غزو الاسكندر لها وتفرق جماعات منهم فإن الرحالة المقدسي في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي قد عرف الصغد، ولاحظ أن منطقة الصغد قصبتها سمرقند، وأن لغتهم تختلف عن لغة جيرانهم، لغة الصغد "لسان على حدة"، وقد وصلت إليها النقوش الصغدية المتأخرة من القرن الحادي عشر الميلادي.

الكتابة المانوية وتدوين اللغات الإيرانية الوسيطة:

كان تسيط ماني (٢١٦-٢٧٤م) لطريقة التدوين بداية مهمة، كان من الممكن أن تؤدي إلى تحول حضارى كبير، ولكن هذه المحاولة ظلت ذات أثر محدود. لقد أفاد ماني من نظام الكتابة الأيجدية كما كان متبعاً عند الآراميين، وكان ماني نفسه من

أبناء إحدى اللهجات الآرامية الشرقية. وعندما أراد ماني أن يقدم سملت نسخة من تعاسة مدونة في كتاب أفاد من فكرة الكتابة الأبجدية المبسطة، في تدوين الفارسية الوسيطة، وبهذا دونت الفارسية الوسيطة لأول مرة بكتابة محدودة العناصر سهلة التعلم. ولما كانت دعوته تهديدا لرجال الدين الزرادشت فقد ظلت كتابته موضع هجومهم. وهكذا اقتصر استخدام هذه الكتابة على الجماعات المانوية، وبها دونوا الصغديي والبارثية -وهي كذلك إحدى اللغات الإيرانية الوسيطة- ودونوا بها -أيضا- خصوصا من الفارسية الحديثة ومن لغات غير إيرانية، مثل لغة الأويغور التركية.

(ج) الخوارزمية:

ظلت اللغة الخوارزمية محتفظة بالخصائص اللغوية للإيرانية الوسيطة قرونا طويلة في الحضارة العربية الإسلامية. وقد دون الخوارزميون لغتهم بالخط العربي، وهناك مخطوطات خوارزمية مدونة بالخط العربي دون تلك النقط الثلاث التي أضافها الفرس إلى حروف الخط العربي لتكوين حروف جديدة. وثمة مخطوطات أخرى يقوم تدوينها على الخط العربي مع الإضافات الفارسية. يعد تدوين تلك اللغة الإيرانية الوسيطة بالخط العربي مهما في بالمقارنة بذلك بالنظام المعقد لفارسية الوسيطة وبالنظام غير المتداول للكتابة الصغدية، وتعد دراسة تلك النصوص الخوارزمية المدونة بالخط العربي مفتاح فهم الكتابات الكثيرة باللغات الإيرانية الوسيطة المدونة بالخطوط المختلفة.

٣- الإيرانية الحديثة:

تطلق هذه التسمية على عدة مستويات لغوية، وليست هناك لغة واحدة تحمل اسم الإيرانية الحديثة، بل هي مجموعة لغات ومستويات لغوية، وأهم هذه اللغات:

(أ) اللغة الفارسية:

اللغة الفارسية الحديثة التي تستخدم في إيران في عهدها الإسلامي وعصرها الحديث، وتسمى هذه اللغة "فارسي" أو "داري". وترجع بداية تميز الفارسية الحديثة عن الفارسية الوسيطة إلى القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي. وتعد الفارسية

لحديثه متداد متطورا للغة الفارسية الوسيطة كما كانت مستخدمة في الجنوب العربي من إيران. كانت هذه اللغة لغة البلاط الساساني قبل الاسلام ولغة المراسلات الرسمية في عهد اساساني كما كانت لغة الطبقة العليا. وقد حدث التحول من فارسية وسيطة إلى فارسية الحديثة في أواخر العهد الساساني، فالتغيرات الصوتية التي تميز فارسية الحديثة في أقدم صورها عن الفارسية الوسيطة كانت قد اكتملت في القرن السابع الميلادي.

وعندما دخلت إيران الدولة الاسلامية بعد الفتح هاجرت إليها جماعات عربية كثيرة، ودخل الإيرانيون في الاسلام، وحاول كثير منهم العمل في الدولة الاسلامية، وأراد بعضهم الإسهام في الحضارة الاسلامية بتأليف الكتب العربية، فكان على كل هؤلاء الصامحين تعلم اللغة العربية. وهنا بدأ الإيرانيون عصر ازدواج لغوي. العربية لغة التأليف ولغة الدولة ولغة الدين وهي أيضا لغة الحياة، والفارسية يقتصر استخدامها على الحياة اليومية المحلية. وهذا كانت العربية -وحدها- لغة الثقافة، فلم يولف الإيرانيون بغيرها حوالي ثلاثة قرون. لقد عرف القرن الثالث الهجري محاولة محلية لجعل الفارسية لغة كتابة، ثم أصبح التأليف بالفارسية ظاهرة واضحة الملامح في القرن الرابع الهجري في إطار دولة البويهيين.

لقد تكونت الفارسية الحديثة في إطار الحضارة العربية الاسلامية، وظلت اللغة العربية عند العنماء الفرس المصدر الذي يستمدون منه مصطلحاتهم العلمية. لقد دون الفرس نعتهم بساخط بالعربي، وكان استخدامهم للخط العربي تعبيرا عن ارتباطهم بالإسلام في وقت مكر، بينما كان الزرادشتية والمناوية واليهود والمسيحيون يدونون فارسية بخطوط أخرى. وربما يرجع تدوين الفارسية بحروف عربية إلى منتصف القرن الثالث الهجري، ولكن تطوير نظام الكتابة العربية بإضافة النقاط الإضافية لتكوين حروف مثثة يرجع فيما يبدو إلى منتصف القرن الخامس الهجري.

وقد استقرت اللغة الفارسية لغة وطنية ورسمية في إيران منذ ذلك التاريخ، ودخلت بعد ذلك إلى شبه القارة الهندية لغة للآداب والثقافة، فكانت من أهم المواد الدراسية في معاهد التعليم الإسلامية في شبه القارة الهندية، واتخذت مكانها في هذه المعاهد إلى جانب اللغة العربية.

وعندما دخل الترك الدولة الإسلامية كانت الفارسية رافدا لغويا مهما قدم بلغة التركية كثيرا من ألفاظ الحضارة والمعرفة. وبذلك ارتبطت الفارسية الحديثة بلغات كثيرة في العالم الإسلامي.

(ب) اللغة التاجيكية:

تنتمي اللغة التاجيكية إلى لغات المجموعة الغربية من الفرع الإيراني من اللغات الهندية الأوروبية. واللغة التاجيكية هي اللغة الرسمية في جمهورية التاجيك. ويتحدث بها هناك حوالي ثلاثة ملايين. واللغة التاجيكية أيضا إحدى لغات جمهورية ازبكستان. وكانت السياسة اللغوية للاتحاد السوفيتي في جمهورياته الجنوبية تقوم على تحويل كتابة لغات هذه المناطق إلى الخط الكيريلي الذي تدون به اللغة الروسية. ولذا تكتب اللغة التاجيكية بالخط الكيريلي الروسي. وهناك اتجاه جديد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي لتدوينها بالخط العربي على نحو تدوين اللغة الفارسية.

(ج) اللغة الكردية:

تنتمي اللغة الكردية إلى المجموعة الغربية من الفرع الإيراني من اللغات الهندية الأوروبية، وتحدث بها جماعات الأكراد في العراق وتركيا وإيران. وهي إحدى اللغات الوطنية المعترف بها - اليوم - في العراق. ويقدر عدد المتحدثين باللغة الكردية بحوالي سبعة ملايين موزعين في شمال العراق وشمال غربي إيران وشرقي تركيا، ولذا دخلتها ألفاظ كثيرة من التركية والفارسية والعربية.

(د) اللغة البلوشية:

اللغة البلوشية إحدى لغات المجموعة الغربية من الفرع الإيراني من اللغات الهندية الأوروبية. وهى اللغة السائدة فى إقليم بلوشستان فى جمهورية باكستان، وتوجد جماعات بلوشية كبيرة العدد فى أقاليم باكستان الأخرى خصوصا فى إقليمى البجاب والسند. وهناك جماعات بلوشية فى إيران وأفغانستان. وهناك تفاوت كبير فى تقدير عدد البلوش فى هذه المناطق، إلا أن دراسة حديثة عن البلوش تقدر عددهم بعشرة ملايين فى باكستان وستة ملايين فى إيران وأفغانستان، وذلك بالإضافة إلى عدة آلاف من البلوش هاجروا منذ حوالى قرنين إلى الخليج العربى والكويت. والبلوشيون لا يدونون لغتهم إلى الآن، ويكتبون باللغات الأخرى التى يعيشون فى إطارها الحضارى.

(هـ) لغة الباشتو:

لغة الباشتو هى اللغة الوطنية واللغة الرسمية فى دولة أفغانستان منذ ١٩٣٦، وهى لغة إقيم سرحد فى دولة الباكستان وعاصمته بشاور، وهى بذلك لغة أكثر من خمسة عشر مليونا، وتكتب لغة الباشتو بالخط العربى.

رابعا: الفرع السلافى:

اللغات السلافية فرع من الأسرة الهندية الأوروبية، وترجع كل لغات الفرع السلافى إلى أصل واحد مشترك. وقد افترض الباحثون أن هذه اللغة السلافية الأولى كانت قبيل بداية التاريخ الميلادى لغة موحدة أو تكاد تكون موحدة، ولم تصل إلينا نصوص هذه اللغة السلافية الأولى، ومع هذا فمن الضرورى افتراض وجود هذه اللغة تفسيرا لنشوء اللغات المختلفة التى تجمت عن هذا الأصل المشترك.

وقد وصلت إلينا أقدم لغة سلافية مدونة فى نصوص من القرن العاشر الميلادى، ويطلق على هذه اللغة اسم اللغة السلافية الكنسية القديمة أو اللغة البلغارية القديمة، وقد نسب هذا المستوى اللغوى للكنيسة، وذلك لأنها كانت اللغة التى استخدمها الأحواء

مسيحيان كيريل Kyril وميثود Method فى التبشير بالمسيحية بس جماعات السلافية فى القرن التاسع الميلادى. وظلت هذه اللغة مستخدمة فى الكنيسة الأرثوذكسية عند الجماعات السلافية زمتا طويلا، ولا تزال تستخدم شكل منطور فى الطقوس الدينية لدى الكنائس الأرثوذكسية الروسية.

وقد دوت هذه اللغة السلافية الكنسية القديمة بخط يقوم على لحص نيونى فى شكله المنداول فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وكان هذا لتوين على يد كيريل، فسب اليه "الخط الكيريلى". وأدى ارتباط هذا الخط بالكنيسة لارثوذكسية إلى انتشار هذا الخط عند الجماعات السلافية التى اعتنقت المسيحية الارثوذكسية، ولذ كتبت به اللغات الروسية واليلوروسية والأكرانية والبلغارية والمقدونية ونصرية. أما الجماعات السلافية الأخرى فقد عرفت المسيحية على يد المبشرين الكاثوليك، فكتبوا بعادتهم بخط يقوم على الخط اللاتينى، ولذا تكتب اللغات البولندية وتشيكية والسلفونية والكرواتية بخطوط تقوم على الخط اللاتينى.

وقد أخذت اللغات الوطنية للشعوب السلافية فى التكون على نحو تدريجى، وبدأت هذه اللغات تأخذ طابعها المتميز بعد القرن الحادى عشر الميلادى. ويمكن توزيع هذه اللغات على النحو التالى.

(أ) اللغة الروسية:

اللغة الروسية القديمة أهم اللغات السلافية وأكثرها انتشارا. ويبلغ عدد أبنائها أكثر من مائة وخمسين فى الاتحاد الروسى، وهى اللغة الثانية فى كل جمهوريات وسط آسيا لها لغات وطنية محلية وفى كل دول أوروبا الشرقية. وتقوم اللغة الروسية المشتركة على أساس لهجة المنطقة التى تقع فيها العاصمة موسكو.

ويرجع التاريخ اللغوى المتميز للغة الروسية إلى القرن الحادى عشر الميلادى. وبكر عصر ازدهارها بدأ فى القرن الخامس عشر فى موسكو، التى كانت أول الأمر مركزا دينيا. وكانت للغة الروسية مكانة ثقافية مرموقة فى النصف الثانى من القرن

سبع عشر عندما أصبحت لغة الثقافة والأدب والإدارة في كل أنحاء الدولة قيصريه، فأخذ التألف يتجه إلى موضوعات الحياة ويقترب بشكل متزايد من الأدب الأوربي عري، ولذ دحت أنماط حضارية كثيرة من اللغات الأوربية الأخرى، وخصوص من لغة الألمانية واللغة الفرنسية.

وقد عرفت اللغة الروسية في هذه الفترة عدة مستويات في لغة الأليف، فكل المستوى الرفيع يحاكي اللغة السلافية الكسسية بما فيها من تأثيرات بيزنطية يونانية، وفي هذا المستوى المنخفض كانت تؤلف المأساة. أما المستوى الأدنى وهو المستوى المتوسط فكان يمثل في لغة الإدارة والمطبوعات العلمية، وكان مستوى الثالث هو لغة الرقابة وبها كانت تؤلف النهاية. وكان الفضل الكبير في الدعوة إلى اللغة الروسية المشتركة للغوى روسى مرموق هو لومونوسوف (١٧١١-١٧٦٥) Lomonossow، ولله تنسب جامعة موسكو. ولقد أوضح لومونوسوف العناصر المشتركة بين هذه المستويات، وجعلها أساس اللغة المشتركة. وقطع الاهتمام باللغة المشتركة عدة مراحل إلى أن وجد التطبيق الحى عد بوشكين، وعنده رالت الحدود فاصلة لتصبح اللغة المشتركة هي اللغة القومية.

(ب) اللغة الأوكرانية:

تسمى اللغة الأوكرانية أحيانا باسم اللغة الروسية الصغرى، وهي لغة يتحدث بها اليوم أكثر من ثلاثين مليوناً في أوكرانيا. وقد عرفت اللغة الأوكرانية في فجر تنويعها عدة مؤلفات من القرن لحدادى عشر إلى الثالث عشر، وكانت اللغة السائدة في دولة كييف، وعندما حطم التتار دولة كييف ١٢٤٠م انهار الكيان الثقافى للغة الأوكرانية. واستمر هذا الانهيار أكثر من خمسة قرون كاملة. ولم تحدث النهضة الحضارية وسوعية بعد ذلك - إلا في فترة محدودة (١٧٩٨ - ١٨٦٣)، وانتهت هذه الفترة بأن فرضت سلطات قيصرية على أبناء الأوكرانية اللغة الروسية، ولم تنته هذه الساسة إلا بانتهاء إقبصرية سنة ١٩١٨. واليوم تعد الأوكرانية لغة وطنية معترفاً بها كل محالات

الحياة والثقافة فى جمهورية أكرانيا، وإلى جانبها توجد اللغة الروسية باعتبارها اللغة الثانية.

(هـ) اللغة البلوروسية:

تسمى هذه اللغة أيضا باسم لغة الروس البيض، ويتحدث بها حوالى ثمانية ملايين فى روسيا البيضاء (بيلوروسيا) وقد ازدهرت اللغة البلوروسية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

(د) اللغة البولندية:

اللغة البولندية هى اللغة الوطنية لحوالى ثلاثين مليوناً فى جمهورية بولندا، ولغة جماعات بولندية فى روسيا وتشيكوسلوفاكيا والولايات المتحدة الأمريكية. يبدأ تاريخ اللغة البولندية بنصوصها منذ القرن الرابع عشر الميلادى. وتقوم الكتابة البولندية على أساس الخط اللاتينى، لأن البولنديين عرفوا المسيحية على يد المبشرين الكاثوليك، وكانت بولندا لذلك فى إطار الثقافة اللاتينية، حتى إن هناك عدة مؤلفات ألفها بولنديون حتى القرن السابع عشر باللغة اللاتينية، وحلت اللغة الفرنسية فى القرن الثامن عشر محل اللغة اللاتينية، فأصبحت الفرنسية لغة المثقفين. وكان لهذا الموقف أثره فى إهمال البولندية، ولم يحدث الازدهار الحقيقى للغة البولندية إلا فى إطار الحركة القومية فى القرن التاسع عشر، فكانت اللغة رمزا للوحدة القومية.

(هـ) التشيكية السلوفاكية:

التشيك والسلوفاك شعبان سلافيان كانا يكوّنان جمهورية تشيكوسلوفاكيا، عدد مواطنيها كان حوالى ثلاثة عشر مليوناً. وقد نشأت بعد ذلك الجمهورية التشيكية والجمهورية السلوفاكية، ولكل لغة من اللغتين تاريخ مستقل، فالتشيكية دوت منذ لقرن الثالث عشر الميلادى، وعاشت مراحل متتابعة من الازدهار الحضارى ثم الانكماش بالاقتران على التعبير عن الحياة اليومية الريفية، ولم تحدث النهضة اللغوية

للتشيك إلا في أواخر القرن الثامن عشر. أما السلوفاكية فقد انتظمت الكتابة بها في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

(ز) البلغارية:

عرف البلغار -أي سكان بلغاريا- تحولاً لغوياً في القرن السابع والثامن والتاسع للميلاد، فبعد أن كانت بلغاريا بيئة لغوية لإحدى اللغات الألتائية أخذ الطابع السلافي يسود هذه البيئة، وأصبحت اللغة السائدة في بلغاريا منذ القرن التاسع الميلادي إحدى اللغات السلافية، وبها دونت أقدم النصوص التي نعرفها باللغة السلافية الكسية القديمة، ولذا تسمى هذه اللغة أيضاً باسم اللغة البلغارية القديمة.

وقد مر التاريخ اللغوي للبلغارية بمراحل متعاقبة، أطولها تلك القرون الخمسة التي كانت بلغاريا في أثناءها تابعة للدولة العثمانية (١٣٩٣-١٨٧٨). وقد بدأ الازدهار الجديد للغة البلغارية في المائة عام الأخيرة من الحكم العثماني، غير أن ملامحها الجديدة لم تتضح إلا بعد الاستقلال. والبلغارية -اليوم- هي اللغة الوطنية لسبعة ملايين في جمهورية بلغاريا.

(ح) الصربية والكروواسية:

المنطقة التي كانت تشغلها جمهورية يوغسلافيا وجمهورية بلغاريا ظلت زمناً طويلاً بيئة لغوية واحدة للغة السلافية الكنسية القديمة أي البلغارية القديمة، ومع انهيار الدولة البغارية على يد العثمانيين سنة ١٣٩٣م دخلت منطقة اللهجات الصربية والكروواسية في الدولة العثمانية. كان الصرب قد تحولوا إلى المسيحية الأرثوذكسية فكانوا يكتبون لهجتهم بالخط الكيريلي، أما الكروات فكانوا مسيحيين كاثوليك يكتبون لهجتهم بالخط اللاتيني. وقد حدثت في إطار الحركات الوطنية منذ القرن الثامن عشر محاولات كثيرة لتقنين الاستخدام اللغوي، إلى أن أصبحت اللغة الصربية الكروواسية اللغة الرسمية الأولى مع قيام جمهورية يوغسلافيا، ويتحدث بها أكثر

من أربعة عشر مليوناً. وبعد انقسام هذا الكيان السياسى بدأ موقف جديد لم تتضح ملامحه اللغوية بعد.

(ط) السلوفينية:

هى لغة مليونين فى جمهورية سلوفينيا، وتقع فى منطقة الحدود لمسوية ولايصاية مع يوغسلافيا السابقة. قد بدأ تدوينها فى القرن السادس عشر، فترجمت إليهاصوص العهد الجديد. ولكن التأليف بها لم يصبح اتحاشا واضحاً إلا فى مد منتصف القرن التاسع عشر الميلادى. وتكتب بالخط اللاتينى، وقد دختها ألفاظ كثيرة من اللغة الألمانية.

(ى) لغات البلطيق:

يضم بعض الباحثين لغات البلطيق مع اللغات السلافية فى مجموعة واحدة بينما يجعلها بعض فرعا مستقلا عن الفرع السلافى. اليوم تضم لغات السطيق، لغت محدودة، أهمها: اللغة الليتوانية واللغة اللتية، وقد عرفت منطقة شمال أوربا لغة أخرى -من لغات البلطيق- بادت منذ القرن السابع عشر، وهى اللغة البروسية القديمة. أهم لغات لبلطيق الحية هى اللغة الليتوانية. لغة جمهورية ليتوانيا اهتم بها الباحثون فى علم لغة امقارن لخصائصها المفرقة فى القدم، وكان أثناء اللغة اللتوانية قد حافظوا فى عزلتهم فى الشمال - فى ذلك المنطقة التى ربما عاشت فيها جماعة تحدثت باللغة الهندية الأوروبية الأولى -على كثير من الخصائص اللغوية القديمة. أما اللغة اللتية، لغة جمهورية لاتفيا، فيتحدث بها مليون ونصف مليون فى جمهورية تسب إليهم وتقع على البلطيق.

خامسا: الفرع الكلتى

الكلتية من أقدم اللغات الهندية الأوروبية فى أوربا، انتشرت بعد هجرة مجموعة من نساء اللغة الهندية الأوروبية الأولى من مهدها المفترض فى جنوب روسيا إلى جنوب

أوربا. كانت الكنتية لغة بلاد الغال القديمة (فرنسا) قبل انتشار اللاتينية، كما كانت لغة نريسانا وإيرلندا قبل هجرة الانجلوساكسون إليهما. وكانت أيضا لغة شمال إيطاليا وجنوب ألمانيا. وكانت الكنتية أيضا لغة شبه جزيرة أيبيريا. وقد انكمشت الكنتية في قرون الأولى بعد الميلاد، وكان هذا الانكماش اللغوي الكلتى فى القارة الأوروبية أكثر منه فى أيرلندا واسكوتلندا، فقد بقيت الكنتية فيهما إلى حد بعيد، ولم تحسر على نحو ما حدث فى وسط وجنوب غرب أوروبا.

ولانتزال الكنتية حية إلى اليوم فى عدة أشكال لغوية، أهمها: اللغة الأيرلندية، واللغة الاسكوتلندية، واللغة الريتونية. ترجع أقدم نصوص اللغة الأيرلندية إلى القرن الثامن الميلادى، ولها تراث أدبى كبير. ولانتزال اللغة الأيرلندية ثرية بالأدب الشعبى، وهى اللغة الأم لحماهير عريضة فى أيرلندا. أما اللغة الاسكوتلندية الغالية فهى لغة المهاجرين نكتيين إلى اسكوتلندا فى القرن الرابع الميلادى، ولانتزال اللغة الكنتية فى منطقة لغوية صغيرة فى القارة الأوروبية، فاللغة الريتونية امتداد حديث للكنتية. والبريتونية لغة حوالى مليون ونصف مليون مواطن فرنسى فى منطقة بريتانى وبعض الجزر القريبة منها. وفى كل المناطق التى تعيش فيها الكنتية فى أشكالها الحديثة نجد محاولات شعبية لمحافظة عليها ولجعلها لغة التعليم هناك. ولكن موقف أبناء هذه الجماعات اللغوية الكنتية من اللغات العالمية الحديثة متفاوت وغير محدد الاتجاه. إن تأكيد الذاتية الثقافية يتطلب المحافظة على اللغة المحلية، والصلة القوية باللغات الحية الكبرى تحقق مكاسب اقتصادية وعلمية.

سادسا: الفرع الجرمانى

يضم فرع الجرمانى من اللغات الهندية الأوروبية مجموعة من اللغات الأوروبية التى ترجع إلى أصل واحد. وتشترك لغات الفرع الجرمانى فى عدة خصائص لغوية، مما جعل لما حثيث يرجعونها إلى أصل واحد هو اللغة الجرمانية الأولى. وقد تميزت

هذه اللغة عن اللغة الهندية الأوربية الأولى فى الفترة بين سنة ٨٠٠ ق.م و ٦٥٠ ق.م. وظلت الجماعات الجرمانية تحدث بالجرمانية فترة طويلة من الزمن، وعلى مدى أجيال متعاقبة هاجر بعضها فى اتجاه مخالف لهجرات أخرى، وبذلك أخذت الخصائص اللغوية تختلف باختلاف الجماعات، وتميزت لهجتان أساسيتان، هما اللهجة القوطية النوردية، واللهجة الجرمانية الغربية. ولم يقف تيار الانقسام عند هذه الدرجة، فقد نشأت بالتالى عدة لهجات جديدة عن القوطية النوردية ولهجات أخرى عن الجرمانية الغربية، وبذلك تنوعت اللهجات الجرمانية تنوعا بعيداً.

(١) اللغة القوطية:

تضم المجموعة القوطية النوردية عدة لغات، أهمها اللغة القوطية واللغة النوردية القديمة. كانت اللغة القوطية قد انفصلت وتميزت بخصائص جديدة قبل المسيحية بوضع مئات من السنين. وقد تطورت عن القوطية لغتان قوطيتان، تسمى إحداهما باسم القوطية الغربية، والثانية باسم القوطية الشرقية.

وتختلف مستويات الاستخدام اللغوى للقوطية الشرقية عن القوطية الغربية الشرقية، فقد كان أهم ما دون بالقوطية الغربية تلك النصوص الدينية المترجمة إليها، ولذا ارتبط استخدامهما بالمجال الدينى المسيحى. فقد ترجم العهد القديم إلى القوطية الغربية وكذلك العهد الجديد، ولم تقم هذه الترجمة على النقل المباشر عن النصوص الأصلية فالعهد القديم مثلاً لم يترجم عن النصوص العبرية والآرامية بل يترجم عن الترجمة اليونانية المعروفة باسم الترجمة السبعينية، وترجم العهد الجديد عن النص اليونانى أيضاً. وقد أدى ارتباط اللغة القوطية الغربية بهذه المترجمات عن اليونانية إلى أن تأثرت القوطية الغربية باللغة اليونانية من ناحية بناء الجملة، كما دخلت إليها ألفاظ يونانية كثيرة خاصة بالمجال الدينى.

أما اللغة اقروطية الشرقية فقد كانت لغة كثير من النصوص الأدبية، أهمها ما يدور حول البطولات والأمجاد، ولهذا امتد تأثيرها في ملاحم العصور الوسطى الألمانية.

(ب) النوردية القديمة:

المرع التامى من المجموعة القوطية النوردية يعرف باسم اللغة النوردية القديمة. وتعد هذه النوردية لغة واحدة، وهى الأصل التاريخى الذى خرجت عنه اللغات السويدية والدانيمركية والنرويجية. ولذا كانت تذكر أيضاً باعتبارها السويدية القديمة والدانيمركية القديمة والنرويجية القديمة، وقد ظلت هذه اللغة موحدة حتى حوالى ٧٠٠م، ثم أخذت فى الانقسام بعد ذلك.

(ج) الأيسلندية

تعد الأيسلندية ثمرة انفصال مبكر عن النوردية القديمة فقد هاجرت جماعات من النرويجيين -وكانت لغتهم هى النوردية القديمة- إلى جزيرة أيسلندا (٨٧٤م-٩٣٠م). وبذلك اتخذت هذه الجماعة العيدة طابعاً خاصاً بها، كانت أوضح سماته المحافظة على الخصائص اللغوية القديمة. وقد وصلت إلينا أناشيد شعبية كثيرة مدونة بهذه اللغة المحافظة، أهمها مجموعة الإدا Die Edda.

(د) اللغات السويدية والدانية والنرويجية:

تكونت عدة لغات وطنية فى المناطق التى كانت من قبل تكون البيئة اللغوية النوردية القديمة. وأهم هذه اللغات الدانيمركية أو الدانية، والسويدية والنرويجية، وقد أخذت هذه اللغات طابعها المتميز باعتبارها لغات وطنية منذ بداية القرن التاسع عشر، وقبل ذلك التاريخ كان تنوع اللهجات يسود الحياة اللغوية هناك.

إذ دولة واحدة كانت تضم الدانمرك والنرويج حتى استقلال النرويج سنة ١٨١٤م، وكان السيادة اللغوية فيها للغة واحدة هى لغة الدولة (الدانمركية)

Riksmaal، وبعد انفصال النرويج سياسيا ظهر عندهم اتجاه لاتنفاصل للعوى بقوم عى الإعادة من لهجة البلاد لتكوين لغة وطنية تختلف عن لغة الدولة اتى سادت يوم الوحدة، وبذلك قامت سنة ١٨٤٧ الدعوة إلى لغة البلاد Landsmaal، وهى الةة سى تعرف أحيانا باسم اللغة النرويجية. ومنذ سنة ١٨٩٧ اعترفت دوة لنرويج بكت اللعتين فى التعامل الرسمى.

(هـ) الفرع الألماني:

يضم الفرع الألماني Deutsch عددا من المستويات اللغوية امتتعة زما المتنوعة مكانا. وكانت هذه اللهجات تسود الحياة الشعبية فى فترة كانت اللغة اللاتينية لغة اتقافة الرفعة والعلم، وزاد الاهتمام باللغة الألمانية شيئا فشيئا إلى أصبحت لغة العلم والثقافة والحياة اليومية.

إن بداية التدوين المحدود باللغة الألمانية ترجع إلى القرن الثامن لميلادى. ودخلت الألمانية مجال الاستخدام الرسمى للدولة فى القرن الثالث عشر (١٢٣٨م) بينما ظلت اللغة اللاتينية لغة العلم والثقافة، وبدأ استخدام اللغة الألمانية فى التعليم الجامعى سنة ١٦٨٧م وصدرت بها أول مجلة شهرية ١٦٨٨م، ولكن اللاتينية ظلت منافسا قويا فى الجامعات، حتى إن بعض الرسائل الجامعية كانت حتى أوائل القرن العشرين تقدم مكتوبة باللغة اللاتينية.

وهناك عوامل حاسمة أدت إلى التوحيد اللغوى فى هذه المنطقة اتى سادتها من قبل مجموعة كبيرة من اللهجات الألمانية، فقد حاولت الإدارة استخدام مستوى لعوى موحد، وما أن انتهى القرن الخامس عشر حتى كانت الدواويس تتعامل بغة أممية موحدة. وكان اختراع الطباعة حوالى ١٤٥٠م، ورغبة الناشرين فى روح مطبوعاتهم عاملا حاسما فى إصرارهم على أن تكون الكتب بتلك اللغة المستركة. وبسبب باللهجات المحلية. وأدت ترجمة مارتين لوتر للكتاب المقدس إلى هذه سعة مشتركة إلى أن أصبحت هذه اللغة رمزا لحركة الإصلاح الدينى، ورادت محالات

استخدام هذه اللغة المشتركة جيلا بعد جيل، ورغب المؤلفون عن المؤلف بمستويات المعوية المحلية، وفي منتصف القرن السابع عشر انتهى التأليف بالسويسريه ولهجات ألمانية أخرى كثيرة، وأصبحت السيادة فى التأليف للغة الألمانية المشتركة. ثم استخدم اللغة الألمانية فى التعامل الشفوى فقد زاد بانتشار التعليم وسلوى لغوى القومى. فأصبحت بمضى الوقت وسيلة التدريس والشرح والحوار وسقى فى كل مدرس ومعاهد العلمة، وكذلك لغة المسرح ولغة الاذاعة، إلى جانب كونها لغة الكتب ولصحيفة والإدارة. وهكذا قلت محالات استخدام اللهجات محسة بصورة متزيدة، وحسرت اللغة اللاتينية لتصبح اللغة الألمانية لغة الحياة وعلم وفن عند مائة مليون من الأوربيين فى ألمانيا والنمسا وسويسرا، وعدد جماعات ألمانية أخرى فى دول أوربا.

(و) اللغة الهولندية:

تقرب الهولندية فى بنيتها اللغوية من اللغة الألمانية. فقد كانت إحدى اللهجات الألمانية بكثيرة لتي سادت هذه المنطقة، ثم دوت بها بعض النصوص الأدبية فى القرن الرابع عشر. وأدى النزوع السياسى نحو الاستقلال عن باقى المناطق الألمانية ثم إعلان الاستقلال سنة ١٦٤٨م إلى الانفصال الهائى، وبذلك اتخذت الهولندية تجاهها الخاص متميزة عن الألمانية.

وفى فترة ثانية خرجت جماعات من المهاجرين الهولنديين إلى جنوب افريقيا، ودووا هذه لهجتهم الهولندية، وأطلقوا عليها اسم Afrikaans تميزا لها عن الهولندية لأم. ولغة الافريكانز هى إحدى اللغات الرسمية فى اتحاد جنوب أفريقيا.

(ز) اللغة الفريزية:

تكون الإنجليزية والفريزية فرعاً فى داخل المجموعة الجرمانية. وقد انفص هذا فرع واختلف خصائصه منذ منتصف القرن الخامس الميلادى، وتوعت اللهجات

بعد ذلك وزاد الانقسام فى إطارها فنشأت لهجات أخرى، ودونت عدة لهجات منها، وبعد ذلك تكومت الهولندية وأخذت تسود الحياة اللغوية فى تلك المنطقة. وبذلك انحسر استخدام الفريزية منذ القرن الخامس عشر الميلادى عن المجالات الحضارية، وظلت بعض المناطق الصغيرة فى هولندا تتعامل بها فى الحياة اليومية.

(ج) اللغة الإنجليزية:

أخذت اللغة الانجليزية فى التكون بعد هجرات الانجليز والمكسون والحث من القارة الأوروبية فى منتصف القرن الخامس الميلادى. وتأثرت هذه اللهجات فى القرون التالية باللغة الدانمركية فى أثناء حكم الدانمرك للحزر البريطانية (١٠١٦-١٠٤٢م) وباللغة الفرنسية فى أثناء الحكم النورماندى الفرنسى منذ ١٠١٦م، وكانت اللغة الفرنسية فى الفترة من القرن الحادى عشر الميلادى حتى منتصف القرن الرابع عشر لغة ابلاط ولغة المثقفين، وظلت -أيضا- كانت لغة التعليم حتى ١٣٤٩م وبغة القضاء حتى ١٣٦٢م. وقد ساعدت عوامل كثيرة على جعل اللغة الانجليزية لغة حضارية وعلى انتشارها خارج الحزر البريطانية إلى أن أصبحت اللغة الدولية الأولى فى العالم المعاصر. إن اللغة التى ألف بها تشوسر فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى كانت تقوم على لهجة لندن التى أصبح استخدامها فى الأدب وعند رجال ابلاط دعما لمكانتها. وكانت الطباعة منذ دخولها إلى انجلترا ١٤٧٥م ذات أثر فعال فى انتشار الكتاب الانجليزى فى مناطق اللهجات المحلية. ولاشك أن أهم العوامل التى دفعت باللغة الانجليزية إلى أفريقيا وآسيا واستراليا وجنوب أفريقيا وأمريكا هى الاستعمار والهجرات. فقد دخلت الانجليزية شبه القارة الهندية ومناطق واسعة فى أفريقيا مع موجة المد الاستعمارى، ثم كانت الهجرات إلى جنوب أفريقيا واستراليا. أما إعلان اللغة الانجليزية لغة رسمية فى عدد من الولايات المتحدة الأمريكية فيعد أهم الأحداث الحاسمة فى التاريخ الحديث للغة الانجليزية. كانت الانجليزية فى بداية القرن التاسع عشر لغة ٢١ مليوناً، فأصبحت فى بداية القرن العشرين لغة ١٢٥ مليوناً

أكثرهم في الولايات المتحدة الأمريكية، واليوم يقدر عدد المتحدثين باللغة الإنجليزية بحوالى ٤٠٠ مليون من أبنائها، إلى جانب عدد مماثل ممن يستخدمونها بوصفها لغة تعامل.

سابعاً: الفرع الرومانى:

يضم الفرع الرومانى من اللغات الهندية الأوروبية كل اللغات التى ترجع أصلها إلى اللاتينية بمستوياتها اللغوية المختلفة، وأهم هذه اللغات هى: الفرنسية والأسبانية، والبرتغالية، والإيطالية، والرومانية - أى لغة رومانيا - وذلك إلى جانب عدة لغات ولهجات فى جنوب أوروبا وجزر البحر المتوسط.

(١) اللغة اللاتينية:

نشأت اللغة اللاتينية فى منطقة روما، وكانت القبائل المهاجرة إلى إيطاليا حوالى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد تتحدث بعدة لهجات، وسادت بعد ذلك إحدى هذه اللهجات وهى لهجة مدينة روما وما حولها.

لقد انتشرت اللاتينية مع اتساع رقعة الدولة الرومانية، فكانت منذ ٢٦٦ ق.م. اللغة السائدة فى أكثر أنحاء إيطاليا. وقد عرفت اللاتينية آنذاك مستويين لغويين، واتضحت خصائصها اللغوية بمضى الوقت، هما اللاتينية الفصحى (الكلاسيكية) واللاتينية الشعبية. لقد اهتم الأدباء والخطباء بصقل الاستخدام الفصحى للاتينية، وكانت اليونانية مثبهم الأعلى فحاكوا التركيب اليونانية، وأدخلوا فيها كثيراً من الألفاظ اليونانية. ولكن الفلاحين والمواطنين البسطاء ظلوا يعيدون - إلى حد كبير - عن هذه المؤثرات الثقافية اليونانية، فكانوا يتعاملون باللاتينية الشعبية فى حياتهم اليومية، وهكذا نشأت الثنائية اللغوية. وزادت الفروق بين المستويين بمحاولة المثقفين تحبب الألفاظ الشعبية من جانب وبالتغير المطرد فى اللهجات اللاتينية من الجانب الآخر.

ولكن اتساع رقعة الامبراطورية الرومانية - بغزو أسبانيا فى القرن الثامى قبل الميلاد ثم بلاد الغال ثم مناطق الألب - جعل اللغة اللاتينية منتشرة فى منطقة واسعة.

ثم كان اختلاف لهجات الجماعات التي هاجرت إلى المناطق المفتوحة وتأثيرت
لغات الأقدم في هذه المناطق سببا في نشوء لهجات لاتينية شعبية جديدة.
وعندما انتشرت الثقافة اللاتينية بين طبقات شعبية كثيرة ودخلت جماهير غفيرة
في المسيحية تأثرت اللغة الفصحى باللاتينية الشعبية، كما دخلت ألفاظ فصحى كثيرة
-وُعُطت يونانية إلى لغة المستويات الشعبية. ولكن اللاتينية الشعبية في أقاليم مسونة
كانت تنمو نموها الطبيعي وتختلف من إقليم لآخر، ومهد هذا كله نشوء لهجات
ارومانية المختلفة عن اللغة اللاتينية الشعبية.

(ب) اللغة الفرنسية:

تقوم على اللاتينية الشعبية في لهجاتها التي وجدت في بلاد الغال، وكانت لغة
الفرنسية لغة الثقافة الرفيعة والدبلوماسية في أنحاء مختلفة من القارة لأوروبية عدة
قرون. وضلت الطبقات العليا في وسط أوروبا من القرن الثاني عشر إلى قرن ستاسع
عشر تنتمي حول اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية، ثم قلت مكانة لغة الفرنسية في
وسط أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية. كانت اللغة الفرنسية أيضا اللغة الرسمية ولغة
الإدارة والتعليم في المستعمرات الفرنسية في إفريقيا وفي منطقة الهند الصينية. وبعد
استقلال هذه الدول وجدت الفرنسية قدرا من المنافسة من اللغات الوطنية وكذلك من
اللغة الانجليزية التي بدأت تدخل برامج التعليم في هذه الدول. ويقدر عدد أبناء اللغة
الفرنسية بحوالي مائة مليون في فرنسا وبلجيكا وسويسرا وكندا، واللغة الفرنسية
بحسب لغات العمل في المنظمات الدولية، وهي اللغة الرسمية في عدد من الدول
الافريقية.

(ج) اللغة الأسبانية:

تكونت الأسبانية نتيجة تطور اللاتينية الشعبية في لهجاتها التي كانت موجودة
في شبه جزيرة إيبيريا. وقد كان لوجود اللغة العربية في هذه المنطقة عدة قرون أثرها
كثير في لغة الأسبانية. وتعد الأسبانية أكثر اللغات الرومانية انتشارا في عالم

معاصر، فهي أيضا لغة أمريكا الجنوبية والوسطى— أو بعبارة أخرى أمريكا اللاتينية كلها باستثناء البرازيل. ويبلغ عدد أبناء اللغة الأسبانية أكثر من مائتين وستين مليونا وهي أيضا إحدى لغات العمل فى المنظمات الدولية.

(د) اللغة البرتغالية:

تعد لغة البرتغالية ثمرة تطور اللاتينية الشعبية فى شبه جزيرة ايبيريا، وتأثرت أيضا بالوجود العربى فى المنطقة. والبرتغالية هى لغة البرتغال والبرازيل ولغة إقليم غابيسيا فى أسبانيا، وقد فرضها الحكم البرتغالى لغة رسمية فى المستعمرات الافريقية لبرتغال قبل استقلالها، ومنها: أنجولا. ويقدر عدد المتحدثين بها بنحو مائة وخمسين مليوناً.

(هـ) اللغة الكتالانية واللغات الرومانية الغربية الأخرى:

اللسنة الكتالانية لغة مستعلايين فى كتالانيا وفى جزر البليار، وهى اللغة لثنية بعد الأسبانية فى دولة أسبانيا.

وبالإضافة إلى اللغات الفرنسية والأسبانية والبرتغالية والكتالانية هناك لغات ولهجات أخرى تنتمى إلى الجناح العربى من اللغات الرومانية. كانت البروفنساوية فى جنوب فرنسا، وعرفت ازدهارا كبيرا فى القرون الحادى عشر والثانى عشر واشالت عشر عندما نظم بها شعراء التروبادور غزلهم الشبيه بالغزل فى الشعر العربى الأندلسى. واللغة الريتورومانية هى اللغة الرسمية الرابعة فى سويسرا، على الرغم من أن المتحدثين بها لا يريدون عن حمسين ألفا، وتوجد لهجات كثيرة فى شمال إيطاليا تنتمى إلى هذا لحاح النغوى، وهى إيطاليا أيضا الفرياولية ويقدر عدد أبنائها بحوالى نصف مليون.

(و) اللغة الإيطالية:

ولغة لإيطالية هى اللغة الأم فى أكثر أنحاء إيطاليا، باستثناء الشمل حيث يسود رذوح غوى بين الألمانية والإيطالية. ويقدر عدد أبناء الإيطالية أكثر من

خمس مليوناً. وكان لها انتشار محدود بوصفها لغة ثانية في إثيوبيا والصومال وليبيا، وبعد انحسار موجة الاستعمار قل استخدام الإيطالية.

(ز) لغة رومانيا ومولدافيا:

واللغة الرومانية لغة جمهورية رومانيا، وتنتمي مع الإيطالية إلى جناح الشرقي من اللغات الرومانية، وهي اللغة الأم عند حوالي عشرين مليوناً في جمهورية رومانيا. أما سكان جمهورية مولدافيا فلهجتهم في الواقع هي اللغة الرومانية، ولكنهم يدونونها بالحروف الكيريلية الروسية في إطار تبعتهم للاتحاد السوفيتي ثم للاتحاد الروسي، ويقدر عدد أبناء المولدافية بحوالي مليونين.

الفصل الثالث عشر

اللغات الأورالية الألتائية

تتكون مجموعة اللغات الأورالية الألتائية من فرعين أساسين، هما الفرع الأورالي والفرع الألتائي. وينسب كلا الفرعين إلى سلاسل جبلية، الأول مسوب إلى جبال الأورال التي تفصل أوروبا عن آسيا والثاني إلى جبال الألب في وسط آسيا. وأهم اللغات التي تدخل في هذه الأسرة اللغات المجرية والفنلندية والتركية والمغولية.

وتعد هذه اللغات في رأى كثير من الباحثين أسرة لغوية واحدة، وتقوم وحدة هذه الأسرة على أساس اشتراك لغاتها في عدد من الخصائص البنوية. وأهم الخصائص المشتركة في هذه اللغات من الناحية الصوتية وجود التوافق الحركي، ومعناه أن الحركة الأساسية في الكلمة تتحكم في باقى حركات اللواحق فتجعلها متوافقة معها، ويظهر التوافق الحركي Vocalic Harmony في كل اللغات الأورالية الألتائية بدرجات متفاوتة أغلبها في اللغة الفنلندية وأوضحها في اللغات التركية، وتتفق اللغات الأورالية الألتائية في نظام البنية اللغوية، فكل هذه اللغات لغات إصاقية. فهناك كمات أساسية ولواحق كثيرة تؤدي عددا كبيرا من الوظائف النحوية. ويتضح الفرق بين هذه اللغات في مجموعها بالمقارنة مع الخصائص المشتركة في الأسرات اللغوية الأخرى. اللغات الهندية الأوربية والأفروآسيوية تعرف حروف الجر، أما اللغات الأورالية الألتائية فإنها تعبر عن ذلك باللواحق، فإذا أردنا أن تقول ما معناه "في المنزل" قلنا بالمجرية hazba وبالتركية evde، وفي المجرية كلمة haz وفي التركية كلمة ev تعنيان المنزل، أما تلك اللاحقة ba في المجرية de في التركية فقد عبرتا عن هذا المفهوم الذي نعر عنه في اللغات السامية بحروف الجر، وحرف الجر يكون كلمة مستقلة قبل الاسم. أما اسواحق التي تلحق الاسم فتعبر في اللغات الأورالية الألتائية عن الوظائف

لحيوية المختلفة. ومن المعاني التي تؤديها هذه اللواحق - أيضا - معنى الوجود ومعنى عدم ومعنى الجمع وغير ذلك. وهذا الشبه البنيوي بين هذه اللغات جعل بعض الباحثين يجعلونها أسرة لغوية واحدة. ولكن الكلمة المعبرة عن البيت - وهي من الكلمات الأساسية في كل اللغات - تختلف في المجرية عنها في تركية، وبلاحة المعبرة عن المكان تختلف في اللغتين أيضا. وهذا الاختلاف المعجمي بين لمجربة وهي من انغات الأورالية والتركية وهي من اللغات الألتائية، جعل بعض باحثين يتحفظون في قبول الرأي القائل بأن اللغات الأورالية واللغات الألتائية تشكل أسرة لغوية واحدة.

أولا: اللغات الأورالية:

تشكل اللغات الأورالية الجناح الأوربي من اللغات الأورالية الألتائية، وأهم لغات هذه المجموعة: الفنلندية والمجرية، فهي الأكثر انتشارا والأرقى حضارة ولأكثر أهمية في اتاريخ والحياة المعاصرة. أما اللغات الصوميدية فتحدث بها جماعات تعيش في الاتحاد الروسي في المنطقة الساحلية لبحر المتجمد الشمالي، ويزيد عدد أبنائها عن خمسة وعشرين ألفا، وقد ثبت ببحث هذه اللغات أنها تمت بصلة بقرابة إلى اللغات الفنلندية المجرية.

١ - اللغة الفنلندية:

يلغ عدد أبناء اللغة الفنلندية حوالي أربعة ملايين. وهي أهم لغات في جمهورية فنلندا التي تصم أيضا عدة أليات لغوية تحدث باللغة السويدية ولغة لابل. ويرجع لتاريخ الحضارى للغة الفنلندية إلى منتصف القرن السادس عشر، ففي سنة ١٥٤٨م تمت ترجمة الأنجيل إلى اللغة الفنلندية، فأصبح لدى الفنلنديين كتاب مقدس مدون بعثهم. واعتمد أداء الترجمة على الاستخدام اللغوى في منطقة نوركو، وبدأت ارتست لغة الفنلندية في تاريخها المبكر بلهجة هذه المنطقة التي بدأت اللغة انفسده في إطارها. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر كاد استخدام اللغة الفنلندية أن

يكون مقصوراً على كتب الثقافة الدينية، وكانت تكتب باعتبارها اللغة المحلية التي يعيها المواطنون. أما باقي المجالات فقد كانت تسودها اللغة السويدية، التي ضمت لغة الثقافة واللغة الرسمية عدة قرون، ولم تنته السيادة اللغوية السويدية إلا مع انفصال فنلندا واستقلالها عن السويد سنة ١٨٠٩م. وهنا بدأت اللغة الفنلندية تصبح لغة لوطية في دولة فنلندا، أحد المؤلفون يتركون السويدية ليؤلفوا في العلم والثقافة الفنلندية. وبذلك ازدهرت اللغة الفنلندية في القرن التاسع عشر في إطار حركة القومية، ولم تستطع فترة الاحتلال الروسي (١٨٥٠-١٨٦٠) أن تقصى عنى قومية الفنلندية، وكان الاحتلال عاملاً دفع الفنلنديين إلى مزيد من الاهتمام بلغة قومية. وكان لعلم اللغوي انغولكوري Lönnrot (١٨٠٢-١٨٨٤) جهد كبير في جميع الأناسيد الشعبية، وكون منها ملحمة الكالافالا (١٨٣٥)، وله أيضاً فضل تأليف أول معجم للغة الفنلندية (١٨٨٠)، وبذلك أحدث اللغة الفنلندية مكانتها بوصفها لغة قومية ولغة لثقافة والعلم في دولة فنلندا.

وهناك لغة وثيقة الصلة باللغة الفنلندية، وهي اللغة الكاريلية. ويتحدث بهذه لغة حوالي نصف مليون في الجمهورية الكاريلية المتمتعة بالحكم الذاتي في الاتحاد الروسي، وليس لغة الكاريلية تراث مدون، ولا تستخدم في مجالات الثقافة والتعليم. وتعد اللغة الإستونية أهم اللغات التي تمت بصلة القرابة اللغوية للغة الفنلندية ويرجع تدوينها أيضاً إلى القرن السادس عشر الميلادي. واللغة الإستونية هي اللغة اوصية في جمهورية استونيا، ويتحدث بها حوالي مليون مواطن في استونيا، ونصف مليون في روسيا وسيريا وليتلاند.

وفي جانب الفنلندية والكاريلية والإستونية، وهناك عدة لغات تنتمي إلى الفرع الهندو، وهي لغة الألاب والموردفينية وغيرهما. ويبلغ عدد المتحدثين بهذه اللغات مختلفة حوالي مليونين يشكلون أقليات لغوية في الدول الاسكندنافية المحتتمعة والاتحاد الروسي.

اللغة المجرية:

يضم الفرع المجرى Ugrian عدة لغات أهمها وأكثرها انتشارا للغة المجرية Hungarian. المجرية من أقدم اللغات الفنلندية المجرية التي دونت، فقد تم ذئق مى القرد اثالث عشر الميلاذ، فهناك نص مجرى وصل إلينا مذننا سنة ١٢٢٠م. وقذ طهرت بشائر الهضة اللغوية المجرية فى القرن السادس عشر عذما ألفت بها بعض الكنب الالبنة فى إطار حركة الإصلاآ الالبنى، وكان شأنها فى هذا الصااا شأن اللغات المألئة، وأصبأ اللغة المجرية منذ القرن السابع عشر لغة تأبف وثقافة وطنية ولكن اللغات الكأيرة نازعتها مكائتها فى بلاد المجر. ظل المأريون أأى القرن السابع عشر يتعاملون باللغة اللالينية باعأبارها اللغة الرسمية ولغة القضاء ولغة العلم، وكان بعضهم يتوسل فى مأالات العلم باللغة الألمانية أيضا، فى أأى كانت اللغة الفرنسية لغة الأرستقراطية فى وسط أوربا. ولأذا تأأرت اللغة المجرية فى مأالات العلم والثقافة باللالينية وبالألمانية وفى ألفاظ الأياة الراقية باللغة الفرنسية. وقذ زاء الأهتمام باللغة المجرية فى أواخر القرن الثامن عشر مع ظهور الحركة القومية المجرية، فأصبح المأريون يؤلفون بها فى مأالات العلم ويهتمون بها رمزا لقوميتهم ووجودهم.

أانيا: اللغات الألائية:

اللغات الألائية هى الأناأ الآسوى من اللغات الأورالية الألائية، وتشترك اللغات الألائية فى الأناأى الآلية:

(١) الأصوات:

١ - يوجد فى اللغات الألائية عاا كبير من الأركات، تصل فى كأى من هذه اللغات إلى سبع أركات، وفى اللغة التركية إلى عشر أركات.

٢ يسوا فى اللغات الألائية نظام الأوافق الأركى، وهو نوع من المماأة بين أركات، فالأركات الال توجد فى الكلمة الأساسية تتأكم فى أركات اللواأ الال تلصق فى أأر الكلمة، فمثلا تتأا الوااا الصرقية الالاة على المأكية أو الالبعية

الصور الصرفية الآتية (in,ün,in,un) وتحدد الصورة الصرفية المناسبة من هذه
أصور الأربع طبقاً للحركة الخاصة في كل حالة بالكلمة الأساسية، ويتضح هذا من
الأمثلة التالية:

ev-in	=	of the house
otobüs-ün	=	of the bus
orman-In	=	of the forest
vapur-un	=	of the steamer

وعلى هذا تحددت حركة اللاحقة وفق حركة الكلمة الأساسية:

u a ü e الحركة الأساسية:

u I ü i حركة اللاحقة:

وهناك عدة قوانين للتوافق الحركي في كل لغة من لغات اللاتينية، ولكن وجود
هذه الظاهرة -بصفة عامة- يعد من السمات المميزة لهذه اللغات.

٣- لا تظهر بعض الصوامت في أول الكلمة، أو يكون وجودها نادراً، ومن هذه
الصوامت الراء والزاي، فلا تكاد الكلمات الأصلية في اللغات اللاتينية تبدأ بالراء
أو بالزاي.

٤- أنواع المقاصع في اللغات اللاتينية محدودة، ولا يوجد فيها مقطع يبدأ
بصامتين أو أكثر.

(ب) بناء الكلمة:

١- اللغات اللاتينية لغات إلصافية، تتكون بنية الكلمات فيها من كلمة أساسية تلحق
بها لواحق كثيرة.

مثال من اللغة التركية:

الكلمة الأساسية: خاف qorq تتكون منها بإضافة اللواحق، الكلمات الآتية:

حرف qorquc جيان qorqaq مخيف qorqunc

٢- تؤدي هذه اللواحق وظائف لغوية مختلفة، للتعبير عن زمن الفعل وعن سمي وعن الجمع وعن المكان، وغير ذلك من المعاني التي تؤدي في لغات الأخرى بوسائل عوية مختلفة. ولاتعرف هذه اللغات حروف جر سابقة على لاسم، بل تؤدي هذه معاني عن طريق لواحق تأتي بعد الكلمة، أي أنها ليست Prepositions بل postpositions. ويتضح هذا من الأمثلة التركية التالية:

في المنزل evde منزل ev هو (يكون) في المنزل evdedir

٣- لاتعرف اللغات الالمانية تصنيف الصيغ من حيث التكبير والتأنيث.

ج- المفردات

١- هناك مجموعات من المفردات الأساسية المشتركة في اللغات الالمانية.

المعنى	الكلمة في اللغات المغولية	الكلمة في اللغات التركية
قوة	erke	aerk
قص	kirya	qirq
جفف	qata	qat
حلب	saya	say
فهم	uqa	uq
دافع	saki	saq

ويلاحظ في الأمثلة السابقة، وكلها من الكلمات الأساسية. أنها من أصل واحد. وهم افروق بين الصيغ المغولية والصيغ التركية يتعلق بأحر الكلمة، فقد حذفت الحركة الأخيرة في الصيغ التركية، وهذا الحذف ملاحظ في كل الأمثلة لتركية السابقة.

٢- يصم المعجم المشترك في اللغات الألتائية ألفاظا أساسية في كل الأفرع لتركبة و لمعولية والتونغوزية.

لغات المغولية	اللغات التركية	اللغات التونغوزية
aqqa = أخ كبير	aya = أخ كبير	age = السيد
boroyan = مطر	buran = عاصفة جليدية	buran = عاصفة

وعلى الرغم من وجود اختلاف نسبي في الدلالة فإن الاختلاف يمكن تفسيره في إصرار التغير الدلالي.

٣- يشمل المعجم المشترك الألفاظ الخاصة بالموضوعات التالية:

- (أ) أسماء أعضاء جسم الانسان، وذلك مثل الألفاظ الدالة على: ركة، رأس، شعر، فم، اذن، وجه، صدر، قدم.
- (ب) الأسماء ادلة على علاقات القرابة، وذلك مثل الألفاظ الدالة على: أب، أخ كبير، أخت كبيرة، عم، جد أقارب الأب.
- (ج) أسماء الحيوان، وذلك مثل الألفاظ الدالة على: خروف، فار، حمل، حية سمك، ثور، حمار، دب.
- (د) أسماء اظواهر الطبيعية، وذلك مثل الألفاظ الدالة على: يوم، ليل، ضوء، زمن، مطر، جليد.

أقدم نقوش التي وصلت مدونة باللغات التركية كانت من القرن الثامن اميلادى. وهي ثلاث مجموعات، منها: النقوش البلغارية التركية، وقد دوت هذه نقوش في أرض أوربية على عكس المجموعتين الأورخونية والأغورية فقد دوت في وسط آسيا وقد دوت هذه النقوش التركية في الفترة من القرن الثامن الميلادى إلى لقرن الرابع عشر لميلادى، ولذا هناك تواز تاريخي بين النقوش التركية القديمة في كل مجموعاتها، واسنمر هذا التوازي عدة قرون. وكانت منطقة بلغاريا من القرن الثامن

إلى القرن الرابع عشر للميلاد قد عرفت ازدواجاً لغوياً، كان الشعب يتحدث بلغة سلافية، ووقع هؤلاء السلاف تحت حكم الترك الوافدين من آسيا وجنوب روسيا. وظل الازدواج اللغوي في بلغاريا انعكاساً لتقسيم السكان إلى ترك حاكمين وسلاف محكومين. وقد وجدت عدة لهجات تركية في بلغاريا، وبادت أكثر هذه اللهجات التركية بسيادة اللغة البلغارية السلافية. وقد تكونت في باقي المناطق لغات تركية مختلفة، وبعضها تعد من اللغات التركية ذات التراث، وهي التركية والآذرية والحفظائية.

(١) اللغة التركية:

اللغة التركية هي لغة الدولة العثمانية، وأهم اللغات التركية في التعبير عن الحضارة الإسلامية، وهي لغة الجمهورية التركية، وأهم اللغات التركية في العصر الحديث. يرجع تاريخ اللغة التركية إلى القرن الخامس عشر الميلادي. وقد ازدهرت اللغة التركية في إطار الدولة العثمانية، ولذا تأثرت كثيراً بالعربية والفارسية، وكانت اللغات العربية والفارسية والتركية، تستوعب مجالات التعبير الحضاري في الجناحين الغربي والأوسط من العالم الإسلامي. وتسمى اللغة التركية في هذه الفترة باسم التركية العثمانية، وكانت تدون بالخط العربي. وقد عاشت التركية العثمانية في إطار الحضارة الإسلامية، وكانت المثل الثقافية في إطار الدولة العثمانية تجعل اللغتين العربية والفارسية أهم أدوات الثقافة الرفيعة. وأدى هذا الاهتمام بالعربية والفارسية إلى دخول عدد كبير من الألفاظ العربية والفارسية إلى التركية، ويتضح هذا التأثير بصفة خاصة في المحالين الديني والثقافي.

وقد دخلت اللغة التركية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى مجالات التعبير عن الحضارة الحديثة، فتأثرت باللغة الإيطالية وباللغة الفرنسية في ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية، وأخذ بعض الكتاب يطرحون قضية التجديد اللغوي باعتباره الطريق نحو التقدم والحضارة. ونادى كثيرون بالإقلال من الألفاظ

الدحية من العربية والفارسية التي كان الفصحاء يتبارون في حشدها، وطالب بعض الكتاب محاولة الاقتراب من لغة الشعب في التعبير الأدبي. وظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين محاولات لإصلاح نظام الكتابة بابتكار علامات إضافية تجعل الكتابة التركية أصدق تعبيراً عن الصوامت والحركات التركية. وعندما أُغيت الخلافة سنة ١٩٢٤م وأعلنت الجمهورية التركية دولة علمانية كانت تركيا أول دولة تفصل بإرادة حكامها عن الإطار الإسلامي الحضارى وتولى وجهها شطر الغرب. وفي ذلك انعام أيضاً كانت المحاولات الروسية لفصل الاقاليم الجنوبية عن الارتباط الحضارى يباقي أنحاء العالم الاسلامى قد اتخذت شكلاً رسمياً، وذلك بتعديل نظام كتابة اللغات التركية في جنوب الاتحاد السوفيتي من الحرف العربى. كان استخدام الحرف اللاتينى في تدوين اللغة التركية سنة ١٩٢٨ نقطة تحول في التاريخ اللغوى والحضارى التركى، فكان إعلاناً بالتحول عن الارتباط بالعربية والفارسية ودعوة إلى التغريب في اللغة التركية. وقد حاولت الحكومات التركية بقرارات رسمية التخلص من كلمات عربية وفارسية كثيرة كانت قد دخلت التركية واحلال كلمات تركية بديلة. وعلى الرغم من كل هذه المحاولات فقد ظلت نسبة عالية من الألفاظ العربية والفارسية مستقرة في اللغة التركية، ولا تزال الدولة تسمى نفسها رسمياً باسم Türkiye Cumhuriyeti دون رفض كلمة "الجمهورية" وهى كلمة عربية. ولكن تحول نظام الكتابة عن الخط العربى إلى الخط اللاتينى أوقف دخول كلمات عربية جديدة وفتح الباب لدخول ألفاظ كثيرة من اللغات الأوربية.

٢- اللغة الآذرية:

اللغة الآذرية هى لغة آذربيجان، وتسمى هذه اللغة باسم "آذرى". وتعد اللغة الآذرية أقرب اللغات -من حيث البنية النحوية والمعجم الأساسى- من اللغة التركية، ومن الممكن أن يتفاهم آذرى بلغته مع تركى أناضولى بلغته في موضوعات كثيرة دون أن يكون أحدهما قد تعلم لغة الآخر، وكأن اللغتين لهجتان للغة واحدة. واللغة الآذرية

هى للغة اسائدة فى جمهورية آذربيجان وعاصمتها باكو، وتوجد جماعات أذرية فى إيران. ويقدر عدد أبناء اللغة الأذرية بحوالى ثلاثة ملايين ونصف (١٩٥٩)، ثلاثة أرباعهم فى جمهورية آذربيجان.

وكانت اللغة الأذرية فى إطار الحضارة الاسلامية إحدى اللغات التى صفت بها المؤرخات الأدبية. وهناك نراث أدبى أذرى منذ القرن الثالث عشر ميلادى، ويهد تكون الأذرية أقدم فى الاستخدام الأدبى المدون من اللغة التركية. وكبر الأدباء الأذريون يحميدون العربية والفارسية، ودخلت ألفاظ عربية وفارسية كثيرة فى 'شعارهم وكتاباتهم. وظهرت محاولات عند بعض الأدباء بعد ذلك للاقتراب من لغة الشعب والإقلال من التفاسيح بالعربية والفارسية. وكانت الصحافة الأذرية فى أواخر القرن التاسع عشر عاملا ملورا للوعى الوطنى فى إطار النهضة الاسلامية. ولكن إعلان جمهورية آذربيجان السوفيتية (١٩١٨)، ثم تحويل نظام تدوين اللغة الأذرية من الخط العربى إلى الخط اللاتينى (١٩٢٤) ثم إلى الخط الكيريللى الروسى (١٩٣٩) كانت عوامل حددت الوجهه الحضارية إلى السق الروسى، وبذلك بدأت مرحلة جديدة فى أذرية جمهورية آذربيجان، وتكونت مفردات جديدة فى الاطار الحضارى الروسى، يتضح من المقارنة مع التركية كيف دخلت ألفاظ روسية اللغة الأذرية. إن الترك فى جمهورية تركيا أحلوا محل الكلمة العربية "انقلاب" كلمة تركية الأصل هى devirme. أما اللغات التركية فى وسط آسيا -ومنها الأذرية- فإنها تستخدم فى هذا الصدد كلمة أوربية مأخوذة عن الروسية، وهى: revolyutsiya. ويأتى جانب هذا يلاحظ أن الأذرية فى إيران ظلت تكتب بالخط العربى.

٣- اللغة الجعظائية:

لغة الجعظائية إحدى اللغات التركية ذات التاريخ الادبى والثقفى. وقد دوى الأدب لجعظائى منذ القرن الثالث عشر الميلادى بالخط العربى. وكانت 'لغة الجعظائية راحرة بالألفاظ الفارسية والعربية، نراثها محاكاة للتراث الفارسى والعربى

وصت المحطائية أهم لغات شرقى دولة التار، إلى أن قام الأوزبك بطرد اتار من وسط سيب وشرقى إيران فى القرن السابع عشر، فأخذت لهجتهم الأوزبكية فى سيدة. و يوم تحدث باللغة الأوزبكية حوالى ستة ملايين، أكثرهم فى جمهورية أوزبكستان، ومنهم جماعات فى جمهوريات التاجيك والقرغيز والقازاق.

اللغات الوطنية للشعوب التركية:

هناك مستويات لغوية كثير عند الجماعات التركية فى وسط آسيا. كان استخدامها مقصورا على الحياة اليومية، أما فى مجالات الثقافة فقد كانوا يتعلمون بغير لغاتهم المحلية ولكن السياسة اللغوية للاتحاد السوفيتى جعلت هذه لمستويات لغوية المحلية لغات وطنية، وهذه اللغات متقاربة فى البنية والمعجم حتى إن بعضها يكاد يكون بمثابة نهجات من اللغة التركية، ولكن أبناءها يعدونها اليوم لغات وطنية.

أهم اللغات الوطنية للشعوب التركية

(١) اللغة الأوزبكية:

وهى أهم اللغات التركية فى وسط آسيا ويتحدث بها أكثر من ستة ملايين، أكثرهم فى جمهورية أوزبكستان، وتوجد جماعات أوزبكية فى جمهورية التاجيك وجمهورية القرغيز وجمهورية القازاق. وتعد اللغة الأوزبكية أهم اللغات فى جمهورية أوزبكستان، إذ يشكل أبنائها أكثر من ٦٠٪ من مواطنى هذه الجمهورية.

٢- اللغة التتارية:

تعد لغة التركية الثانية فى وسط آسيا، ويتحدث بها حوالى سبعة ملايين أكثرهم فى جمهوريتى التتار والباشكير، وكلتاها من جمهوريات الاتحاد الروسى. ولكن تتار يشكلون فى تاتارستان أكثر السكان، والباقيون من الروس والشوباش.

٣- اللغة القازاقية:

تعد لغة القازاق اللغة التركية الثالثة في وسط آسيا، يبلغ عدد أسائها أقل من أربعة ملايين، أكثرهم في جمهورية كازاخستان، أي جمهورية القازاق، وتوجد جماعات قازقية في الاتحاد الروسي وأزبكستان.

٤- اللغة الآذرية:

هي اللغة التركية الرابعة في وسط آسيا، يتحدث بها حوالي ثلاثة ملايين أكثرهم في جمهورية آذربيجان، وهناك أقليات في جمهوريتي جورجيا وأرمينيا. وذلك بالإضافة إلى وجود الآذرية في إيران.

٥- اللغة الشوباشية:

هي اللغة التركية الخامسة في وسط آسيا، يبلغ عدد أبنائها حوالي المليون ونصف، يعيش حوالي نصفهم في جمهورية الشوباش، أما الباقون فهم في جمهوريات أخرى في داخل الاتحاد الروسي.

٦- اللغة التركمانية:

هي اللغة التركية السادسة في وسط آسيا، يتحدث بها حوالي مليون أكثرهم في جمهورية التركمان، وهناك جماعات تركمانية في شمال العراق وتركيا وإيران وشمال غرب أفغانستان والقوقاز. وكانت تدون بصورة منتظمة منذ القرن السابع عشر بالخط العربي، إلى أن عدل الاتحاد السوفيتي نظام التدوين إلى الخط الكيريلي الروسي وتدون في خارج جمهورية التركمان بالخط العربي.

٧- اللغة الباشكيرية:

هي اللغة التركية السابعة في وسط آسيا يتحدث بها حوالي مليون، أكثرهم في جمهورية الباشكير، وتوجد جماعات قليلة من الباشكير في جمهوريات أخرى داخل الاتحاد الروسي.

٨- اللغة القرغيزية:

هى اللغة التركية الثامنة فى وسط آسيا يتحدث بها حوالى المليون، أكثرهم فى جمهورية القرغيز.

وهناك لغات وطنية أخرى داخل الاتحاد الروسى، منها لغة الياقوت (٢٥٠,٠٠٠)، ولغة القارالباق (٢٥٠,٠٠٠)، واللغة الكوميكية (١٣٥,٠٠٠) ولغة الجوجوز (١٢٥,٠٠٠)، ولغة الأويغور (١٠٠,٠٠٠) فضلا عن أقليات لغوية أخرى يقل عددها عن مائة ألف.

تعديل نظام الكتابة:

قد كان تعديل نظام التدوين إلى الخط الروسى بالنسبة للأذرية والتركمانية، وتدوين باقى المستويات اللغوية المحلية وإعلانها لغات وطنية تنفيذًا للسياسة اللغوية فى الاتحاد السوفيتى بعد ١٩١٩. وتوضح ملامح هذه السياسة اللغوية مما يأتى:

١- تكوين أبجديات جديدة للشعوب التى لم تكن لها لغات وطنية مكتوبة خاصة بها وتعديل نظام تدوين اللغات التى كانت تتخذ الحرف العربى أساسًا لتدوينها. وشكلت لهذا "لجنة مركزية للأبجدية"، وضعت فى أواخر العقد الثالث أبجديات جديدة تقوم على الأساس اللاتينى، قطعت الصلة مع الخط العربى رمز الحضارة الإسلامية.

٢- أثبت التطبيق أن اتخاذ الحروف اللاتينية عند الجماعات التركية يجعل علاقاتها مع اللغة الروسية محدودة. ولذا قرر المؤتمر الأول لكل روسيا سنة ١٩٣٢ بالموافقة على مشروع تعديل نظام التدوين إلى الخط الروسى. وبذلك أصبحت هذه اللغات التركية تدور فى الإطار الحضارى الروسى، ودخلت اللغة الروسية برامج التعميم باعتبارها اللغة الأجنبية العالمية فأصبحت اللغة الثانية عند الشعوب التركية فى داخل الاتحاد.

٢- أصبحت اللغة الروسية مصدر الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية، وقد أوضحت دراسة مفردات الصحف الأوزبكية أنه في سنة ١٩٢٣ كان ٢٨٪ من الكلمات من أصل عربي وفارسي و ٢٪ من أصل أوروبي، وفي سنة ١٩٤٠ قست الألفاظ ذات الأصل العربي إلى ٢٥٪ وزادت الألفاظ الروسية ولأوربية إلى ١٥٪. وقد زاد معدل التغير في كلا الاتجاهين: تناقص الألفاظ العربية الفارسية من جانب وزيادة الألفاظ الروسية من الجانب الآخر. أما في مجالات العلوم فإن لغة لروسية هي مصدر الوحيد بلا منافس، ويتضح هذا من دراسة المصطلحات الأساسية للكيمياء في لغة الباشكير، نجد ١٣٢٠ اصطلاحاً أوربياً بصيغته لروسية ونجد ١٤٩ كلمة باشكيرية، وفي مصطلحات علوم الطبيعة نجد ٣٤٤ كلمة باشكيرية و ١٤٢٠ اصطلاحاً أوربياً بصيغته الروسية. وهكذا نلاحظ أن الاتحاد العام في تكوين ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية في اللغات التركية في داخل الاتحاد السوفيتي يتلخص في العبارة الآتية: "تؤخذ مفردات الاصطلاحات كاملة تقريباً من اللغة الروسية بدون تغير في الهجاء، ويؤدي هذا أيضاً إلى تقريب جميع اللغات الوطنية بعضها البعض الآخر وكذلك من اللغة الروسية".

اللغات المغولية:

تضم أسرة اللغات المغولية ست لغات حديثة تطورت عن لغة واحدة هي اللغة المغولية لقديمة، وقد تكونت هذه اللغات المغولية الحديثة في القرون الرابع عشر وخامس عشر والسادس عشر للميلاد عن اللهجات المغولية المختلفة. وقبل نشوء هذه اللغات المغولية الحديثة كانت اللغة الواحدة الأم، وهي اللغة المغولية القديمة ذات شأن كبير، في القرنين الثالث عشر والرابع استطاع أبناء هذه اللغة بقيادة جنكيز خان وحمته من بعده أن يحتلوا منطقة كبيرة وقيموا إمبراطوريتهم المبرامية لأصراف. ول يوم وبعد أن تطورت اللهجات المغولية وتكونت عدة لغات متفارنة يمكن أنقول بأن

أهم سمات معغولية، وهى: اللغة المغولية، ولغة مغول البريات، واللغات الأورالية،
ولغة إقبيم المغول فى أفغانستان.

سعة المغولية هى اللغة الرسمية لجمهورية منغوليا الشعبية، يتحدث بها اليوم
حوالى المليون. ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر الميلادى عندما تصحت
ملاح النعمة المعوسة الكلاسيكية متميزة بذلك عن اللغة المعولية القديمة، وقد ضمت
سعة المغولية الكلاسيكية منذ ذلك الوقت لغة ثقافة ودين؛ فترجمت إليها مؤلفات
بوذية كثيرة من اللغة لتبتية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد. وعلى مدى
هذه قرون كانت سعة المغولية - القديمة ثم الكلاسيكية - تدون بالخط المغولى
القديم، وهو خط أبجدى يقوم على الخط الأويغورى الذى كتبت به عدة قبائل
تركية، فتعتمد لمغول منهم فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى، أما الخط معغولى
الرابع المأخوذ عن الخط التبتى فقد دوت به بعض النصوص فى أواخر القرن اثنى
عشر وأوائل قرن أربع عشر، ولكنه لم يستقر بعد ذلك، وظل الخط الأويغورى
مستعملاً حوالى سبعة قرون. أما الخط المغولى الحالى فيقوم على أساس الخط
الكيريسى الروسى، وقد بدأ التدوين به سنة ١٩٤١ وتقرر استخدامه ولاتزام
به سنة ١٩٤٦.

الفصل الرابع عشر

اللغات الأفريقية الأخرى

أولاً: التصنيف النمطي

يقوم تصنيف اللغات ذات النصوص القديمة على أساس البحث التاريخي لتوصل إلى حصائصها الأقدم، ومن ثم لتعرف سمات اللغة المشتركة التي خرجت عنها لغات المجموعة قيد الدراسة. هذا المنهج في التصنيف يقوم على أسس تاريخي تطوري، وقد طبق في وضوح وموضوعية في بحث الأسرات اللغوية التي دونت لغاتها المفردة منذ قرون، ولذا تطور هذا المنهج في بحث اللغات الهندية الأوروبية واسفات السامية واتضحت ملامحه وظهرت نتائجه، وبذلك تحددت اللغات التي تدخل في إطار كل أسرة منهما بشكل يقيني وقاطع. ولكن هذا المنهج في التصنيف على الأساس التاريخي غير ممكن التطبيق في بحث اللغات الكثيرة التي لم تصل إليها نصوص قديمة مدونة على النحو الذي يتيح لنا لتعرف أصولها القديمة.

ويمكن إيضاح المشكلة مثلاً بتصور باحث يود مقارنة اللغات الفرنسية والروسية والأردية في مستوياتها الحالية بحثاً عن الأصل المشترك الذي خرجت عنه كل هذه اللغات، إن هذا الباحث لا يستطيع - في مثل هذه الحال - أن يصل إلى الأصل المشترك. والوصول إلى ذلك الأصل ممكن فقط بالرجوع إلى المستويات الأقدم، أي إلى اللاتينية والسلافية والسنسكريتية، وعندئذ يتضح التشابه وتحدد ملامح التغير اللغوي الذي حدث، فكلما كثرت النصوص المدونة في عصور محتفة من اللغات، تمكن رسم ملامحها القديمة وأصبح إدراك القرابة بينها وتصنيفها أمراً ممكناً على نحو يقيني، ولكن عدم وجود النصوص القديمة المدونة يعني عدم إمكان التصنيف على الأساس التاريخي.

ويعتمد تصنيف اللغات الأفريقية وغيرها من اللغات التي لم تصل إليها هذه
بصوص مدونة قديمة- على أساس الخصائص اللغوية المشتركة، ويسمى هذا المنهج
باسم: 'التصنيف النمطي'. وقد أوضح الباحث الأمريكي جرينبرج في كتابه. لغات
أفريقيا J.Greenberg, Languages of Africa، الأسس التالية التي اتبعها في تصنيف تلك
اللغات:

١- التشابه بين المكونات الصوتية والمعنى الذي تحمله، فلا يكفي مثلاً أن يكون
تصنيف الأسماء في لغة من اللغات إلى مذكر ومؤنث أساساً وحيداً يجعل هذه
اللغة من اللغات الأفروآسيوية، بل لابد أن تكون علامات التأنيث أيضاً هي علامته
المعروفة في تلك اللغات. ويدخل في هذا أيضاً وجود ألفاظ أساسية على قدر من
التشابه في المكونات الصوتية والمعنى.

ب- عمل المقارنة بين مجموعة لغات مرة واحدة، فلا تتم مقارنة لغة بلغة أخرى فهذه
المقارنة الثنائية توضح أشياء محددة وتخفى أشياء أخرى، ولكن مقارنة المجموعة
كاملة توضح انتماءها إلى أسرة واحدة.

ج - الاعتماد على الأدلة اللغوية وحدها، وعدم اعتبار الآراء السائدة حول تصنيف
القبائل أو علاقاتها أو قربانيتها. فقد كانت هذه الآراء مصدراً لكثير من الأحكام
الخاطئة.

وتعد هذه المعايير مقبولة عند جمهور الباحثين في اللغات الأفريقية والسغات
الأخرى التي لا يمكن بحثها وفق الأسس التاريخية.

فقد المعوى الأمريكى جرينبرج عدد لغات إفريقيا بحوالى ٧٣٠ لغة، تنمى إلى
عدة أسر لغوية. هناك لغات أفريقية كثيرة تنمى إلى الأفرع المحتفمة بالأسرة
الأفروآسيوية، وإلى جانب هذه الأسرة تنوزع اللغات الأفريقية الأخرى فى رأى
جرينبرج وغيره من المتخصصين فى تصنيف اللغات الأفريقية على عدد من الأسرات
اللغوية، أهمها:

١- لغات البانتو.

٢- لغات النيجر الكونغو.

٣- اللغات النيلية الصحراوية.

وهذه الأسرات تستوعب مع الأسرة الأفروآسيوية أكثر اللغات الإفريقية.

ثانيا: لغات البانتو:

تضم أسرة البانتو بضع مئات من اللغات الإفريقية، وأكثرها في القسم الجنوبي من القارة. وقد ذكر الباحثون خمس عشرة لغة تعامل من بين اللغات المنتمية إلى أسرة البانتو، ومعنى هذا أن حوالي ثلث لغات التعامل في القارة الإفريقية تدخل في إطار هذه الأسرة وأهم اللغات هي اللغة السواحلية، ثم تأتي بعد ذلك لغات أخرى منها الفانجالو، تسوانا، لوزي، نيانجا، دوالا، وغيرها من اللغات.

(أ) اللغة السواحلية:

تعد اللغة السواحلية أهم لغات أسرة البانتو على الإطلاق، وأهم اللغات السائدة في شرقي أفريقيا. وفي هذه المنطقة تعد اللغات السواحلية وغاندا والأمهرية أهم لغات التعامل، أما الأمهرية فهي من الفرع السامي للأسرة الأفروآسيوية. وتدخل اللغتان الأخريان، وهما السواحلية وغاندا ضمن لغات البانتو.

هناك عدة آراء حول نشأة اللغة السواحلية وانتشارها والعوامل المؤثرة في ذلك. لا شك أن السواحلية من أسرة البانتو، ومعنى هذا أن بنيتها اللغوية تحمل السمات المميزة لهذه الأسرة منها مثلا تصنيف الأسماء وفق السوابق، فهناك مجموعة تبدأ بـ *ki* في المفرد وتبدأ بالمقطع *vi* في الجمع. وهي سمة تجعلها بعيدة كل البعد عن اللغات الأفروآسيوية، ولكن اللغة السواحلية زاخرة بألفاظ عربية بشكل يجعل الألفاظ العربية مكونات حاسمة فيها، ولا يمكن تصور اللغة السواحلية دونها، وعلى هذا فاللغة السواحلية ذات بنية بانتوية؛ ولكن مفرداتها بها نسبة عالية من العربية، وهي لغة أفروآسيوية.

وقد أدت هذه الحقيقة إلى عدة فروض حول نشوء اللغة السواحلية، فمن قائل بأنها خليط بين لغة بانتوية واللغة العربية، وهناك من يراها ثمرة اختلاط عرب ليمن والحبش بالسكان الأصليين في شرقي أفريقيا، وهناك من يرى فيها لغة نشأت من مجموعة لهجات بانتوية توحدت في أثناء الاتصال بالعرب والاحتكاك التجاري بهم وهكذا تدور هذه الآراء في إطار كون السواحلية لغة بانتوية به معرودت عربية كثيرة.

يبدأ التاريخ اللغوي للغة السواحلية في الإسلام، فالحركة التجارية على الساحل الشرقي سقارة الأفريقية جذبت عدداً من التجار العرب والفرس إلى منطقة بالقرب من مصب نهر تانا. واختلط الوافدون المسلمون مع الإفريقيين الذين دخلوا في الإسلام، فنشأ عن هذا الاختلاط نمط حضاري جديد، وتكونت بيئة لغوية ظهرت في إطارها اللغة السواحلية.

وعندما قامت دولة الزنج كان التعامل فيها باللغة السواحلية وانتشرت هذه اللغة مع نمو الدولة. وبذلك أصبحت اللغة السواحلية لغة تعامل زادت منطقتها بمضي اقرون فأصبحت لغة المنطقة الساحلية بين مقديشو وسوفالا، ولغة الجزر مثل زنجبار وكلوة، وتكونت جماعات لغوية سواحلية في جزر القمر وعلى ساحل الشمالي لمدغشقر.

وبعد القرن التاسع عشر مرحلة هامة في التاريخ اللغوي للسواحلية، فقد دخلت إلى أعماق القارة الأفريقية من الساحل الشرقي، وكان النشاط التجاري ينعرب في هذه مناطق وتعلمهم بها من عوامل نشر هذه اللغة إلى منطقة البحيرات في وسط أفريقيا والكونغو. فقد انتشرت السواحلية على طرق القوافل وفي المحطات التجارية، ودخلت إلى مناطق كانت قد سادتها لغات أخرى من قبل. وكانت القرابة السغوية بين هذه شعاب في إطار أسرة البانتو واللغة السواحلية من العوامل التي يسرت تعلم أسماء هذه شعاب لغة السواحلية. وكانت اللغة الوحيدة المنافسة للغة السواحلية في تلك المناطق

هي لغة الماساي من رعاة البقر، وما أن حصد الطاعون أكثر من ثلثي الماساي سنة ١٨٩٠/١٨٩١، حتى قلت مكانة هذه اللغة، وبذلك انعدمت المنافسة وفتح الباب أمام مريد من الانتشار للسواحلية.

وأدى انتشار السواحلية إلى نشأة عدة مستويات لغوية وعدة لهجات. وحاولت اللغات التنشيرية الإفادة من السواحلية الواسعة الانتشار، ولكن الخلاف في اختيار لهجة معينة تكون وسيلة تقريب المسيحية إلى أبناء السواحلية كان قائما. اختار الكاثوليك السواحلية المستخدمة في زنجبار التي كانت تعد فصحي، أفاد البروتستانت من المستوى اللغوي للسواحلية المستخدمة في الكونغو والمعروف باسم نجوان، وعدوها لغة مغايرة متميزة عن السواحلية، ولكن هذه المحاولة لم تحج، وصت الممكنة قائمة في الكونغو -أيضا- للغة السواحلية الفصيحة.

لقد كتبت لغة السواحلية عدة قرون بالحروف العربية، وكانت محاولات الأوربيين لتغيير نظام الكتابة هادفة إلى قطع الصلة الحضارية بين اللغة السواحلية والحضرة العربية الإسلامية، وفي سنة ١٩٠٧ أعلنت الحكومة الألمانية إلغاء استخدام الحروف العربية في كتابة السواحلية في المنطقة التي احتلتها في شرقي أفريقيا. وتستخدم اللغة السواحلية في مجالات مختلفة في دول شرقي أفريقيا، وخصوصا تنزانيا وكينيا وأوغندا على الترتيب. وقد أسست سنة ١٩٣٠ هيئة لغوية تعنى بقضية تطوير اللغة السواحلية وجعلها معبرة عن الحياة الحديثة، وقد عدت هذه الهيئة اللغوية لهجة زنجبار المستوى اللغوي المنشود. واليوم تتفاوت محالات استخدام اللغة السواحلية في دول شرقي أفريقيا. نجدها في تنزانيا لغة الصحافة والثقافة ولتعليم عدم الإدارة وإقابات السياسة. إما المباشرة اللغوية في أوغندا فتهدف إلى جعل لتعمل بين أبناء الجماعات اللغوية فيها يتم بالانجليزية وليس باللغة السواحلية. وبين إمكانية ارفيعه لغة السواحلية في تنزانيا ومحاولة إزاحتها عن مكانتها في أوغندا حدد السواحلية في كينيا في مركز وسط، فالسياسة اللغوية لا تهدف إلى تدعيم السواحلية

وحدها بل إلى استخدام تسع عشرة لغة محلية في التعليم العام، وجعل الإنجليزية لغة التعامل المشتركة إلى جانب السواحلية. ولكن الإنجليزية تمثل الطموح نحو الثقافة الحديثة والرقى الاجتماعى، وبذلك تقل مكانة السواحلية عن الإنجليزية فى إصرار السياسة الدعوية فى كينيا. وعلى الرغم من هذه المشكلات التى تواجه السواحلية على المستوى الرسمى فإنها على المستوى الشعبى ذات انتشار كبير، وتعد من أهم اللغات الكبرى فى القارة الأفريقية.

(ب) لغة غندا:

لغة غندا هى أهم اللغات المحلية فى دولة أوغندا، وكانت من قبل لغة التعامل فى مملكة بوغندا، ويتضح من هذه الكلمات: غندا، أوغندا، بوغندا - أن اسوابق لها دور كبير فى بنية الكلمة وتصنيفها، وهذه هى الحال فى لغات البانتو. كانت مملكة بوغندا أول منطقة حكمها الإنجليز فيما عرف بعد ذلك باسم أوغندا، وأفاد الإنجليز من أبناء لغة بوغندا فأخذوا منهم العمال والموظفين للعمل فى منطقتهم ثم فى خارج منطقتهم، وبذلك أصبحت هى اللغة المشتركة بين موظفى الإدارة والعمال. وتقوم مكانة لغة غندا على كونها لغة الإدارة ولغة التعليم العام، وهى بهذا أكثر اللغات المحلية انتشاراً فى أوغندا. وهى مكانة محددة على أية حال، فالمنافسة مع السواحلية ومع الإنجليزية تجعل من لغة غندا مجرد لغة محلية، لها انتشارها فى جنوب أوغندا، ويتعامل بها حوالى مليونين.

(ج) لغة الفانجالو:

هناك مجموعة من اللغات المنتمية إلى أسرة البانتو، تستخدم باعتبارها لغات تعامل فى القسم الجنوبى من القارة الأفريقية، وأهم هذه اللغات لغة الفانجالو. ترجع لغة الفانجالو فى تاريخها المعروف إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، أفاد منها المستوطنون البيض فى التعامل مع الزوج الأفريقيين، إن بنية هذه اللغة تجعلها -بصفة

عامّة من لغات البانتو، ومعجمها كذلك، ثم دخلت إليها ألفاظ كثيرة من الانجليزية ومن لغة الأفريكار. وتعد لغة الفانجالوا في مناجم اتحاد جنوب أفريقيا لغة العمل، بها تصدر لأوامر إلى عمال تنحدر أصولهم من أنجولا وروديسيا وزامبيا ومالاوى وتنزانيا، وهم لغاتهم الأولى في تجمعاتهم في خارج مجال العمل، ولكنهم يتعامون بها في مجال عمل، وقد أدى تحرك العمال وتهجيرهم من منطقة لأخرى إلى أن أصبحت لغة الفانجالو متداولة في مواقع عمل كثيرة في اتحاد جنوب أفريقيا وروديسيا وزامبيا وإقليم كاتانجا، وهي دائما لغة عمل ولغة التعامل بين الزوج والبيض الذين يرفضون أن يحدثهم السود بالانجليزية، ولذا تعد لغة الفانجالو رمزا للسياسة العنصرية.

(د) لغة تسوانا:

هي لغة تنتمي إلى مجموعة البانتو، وتعد هي والانجليزية اللغتين الرسميتين في منطقة بوتسوانا في جنوب أفريقيا. وفي تلك المنطقة توجد أكثر من عشر لغات، غير أن سياسة الحكم غير المباشر جعلت لها مكانة أفضل من غيرها.

(و) لغة مدينة بمبا:

تنتمي هذه اللغة إلى أسرة البانتو، انتشرت هذه اللغة بين العاملين في صناعة النحاس في زامبيا وجنوب كاتانجا من أبناء القبائل المختلفة، وتجنبوا في حياتهم الاجتماعية لغة الفانجالو، وأقبلوا على التعامل بلغة بمبا التي كانت منذ أوائل القرن العشرين لغة جمعة كبيرة من العمال الزوج. وتعد هذه اللغة اليوم لغة واسعة الانتشار في هذه المناطق، لا يقتصر استخدامها على العمال بل يعرفها الموظفون والمدرسون السود، وهي محببة إلى نفوسهم.

(ز) لغة نيانجا:

هي اللغة سائدة في دولة ملاوى (نياسالاند: سابقاً) في وسط أفريقيا، وبهذه لغة مكنة نسبية بين لغات المنطقة، لأنها كانت لغة قبيلة أتيح لأبنائها قدر من التعظيم

العام والحرفى، فأصبح كثيرون منهم موظفين وعمالا فنيين، وفى الماصق المحورة انتشرت لغتهم حتى مناطق المناجم، ولهذه اللغة مكانتها فى دولة ملاوى بوصفها أيضا لغة الشرطة والجيش، ولها كذلك مكانتها فى شرقى زامبيا والمناطق المتاخمة لملاوى فى موزمبيق، ولها انتشارها أيضا فى منطقة من روديسيا يقدر عدد أنائها و لمتعمنس بها بحوالى المليونين.

(ج) لغة لوبا:

تصم اللغات المستخدمة فى حوض الكونغو عدة لغات يدخل بعضها فى لغات البانتو، وأهم هذه اللغات لغة لوبا. توجد هذه اللغة فى عدة لهجات فى منطقة جنوبى شرقى الكونغو، وقد كان تعاون قبيلة لوبا فى المشروعات فى كاساي وكاتانجا سبب فى انتشار العمال المتحدثين بهذه اللغة فى مناطق لم تكن تعرف هذه اللغة من قبل.

(ط) لغة كينوبا:

هذه اللغة تنتمى إلى أسرة البانتو، أفاد منها الأوربيون فى تعاملهم مع قبائل الكونغو، وأصبحت بمضى الوقت لغة التعامل التجارى وأجهزة الإدارة والاعلام، وهى اللغة المشتركة بين أبناء اللغات المحلية الأخرى، ويقدر عدد المتحدثين بحوالى ثلاثة ملايين.

(ى) لغة اللينجالا (لغة النهر)

تنتمى هذه اللغة إلى أسرة البانتو، انتشرت فى المناطق الموجودة على نهر الكونغو فسميت بهذا الاسم لينجالا، أى: لغة النهر. وقد تطورت لغة اللينجالا منذ القرن التاسع عشر، وانتشرت فأصبحت من أهم اللغات المحلية فى غربى الكونغو. وكان استخدامها عند الجنود عاملا فى نشرها حتى شرقى الكونغو، أى إلى حدود منطقة انتشار السواحلية.

(ك) لغات البانتو فى غربى وسط افريقيا

تعد اللغتان ياوندا ودوالا من أهم لغات البانتو. أما لغة ياوندا فهي لغة محلية فى جنوبى الكاميرون، يتعامل بها أبناءها وغير أبنائها من القبائل ذات اللغات المختلفة. ولكن منطقة الساحل الشمالى للكاميرون تسودها لغة تعامل أخرى هى لغة دوالا التى تنتمى أيضا إلى أسرة البانتو، قد استخدمت هذه اللغة وسيلة للتشهير البروتستانتى وأصبحت لغة معترفاً بها فى التعليم العام إلى جانب كونها تعامل ولغة الكنيسة، ولكن مكانتها لاتزال محدودة، فالانجليزية منافس قوى لها فى كل هذه المجالات.

ثالثا: لغات النيجر-الكونغو

تعد هذه الأسرة اللغوية من أكثر الأسرات اللغوية أهمية فى القارة الافريقية، فهي تضم لغات كثيرة لها شأن فى الدول الجديدة، منها لغة اليوروبا ولغة زاندى، ولغة ايفه، ويرى بعض الباحثين أن اللغة الفولانية تدخل فى إطار هذه الأسرة.

(أ) لغة اليوروبا

تعد لغة اليوروبا -على أرجح الآراء- لغة تنتمى إلى أسرة النيجر- الكونغو. ويبدو أن لغة اليوروبا كانت -من قبل- ذات مكانة أكبر، ولاسيما فى داهومى وتوجو وبعض الأجزاء الشمالية الشرقية من غانا، وهى على كل حال من أهم اللغات الافريقية، فعدد المتحدثين بها حوالى خمسة عشر مليونا أكثرهم فى جنوبى غرب نيجيريا، وهناك جماعات من أبناء لغة اليوروبا فى داهومى، وتوجد عدة مستويات لهذه اللغة، فهناك لغة فصيحة تحترم من الجميع وتستخدم فى التعليم وفى الأدب، ويتعامل بها أبناء اللهجات المختلفة إذا ما حدث تعامل بينهم، وتقوم هذه اللغة الفصيحة على إحدى لهجات اليوروبا، ولاتستخدم لغة اليوروبا عند غير أبنائها إلا بصورة محدودة.

(ب) لغة الولوف:

لغة الولوف من أهم لغات أسرة النيجر الكونغو، وهي أكثر اللغات المحلية انتشاراً في جمهورية السنغال، وترجع أهمية لغة الولوف إلى أن أبنائها يمثلون ٣٥٪ من أساء السنغال، أما الباقيون فيتوزعون على جماعات لغوية كثيرة، ويعد أبناء لغة الولوف بفضل انتشار التعليم الحديث بينهم أصحاب مكانة اجتماعية رفيعة، وقد جعل لغتهم مد عدة قرون نوعاً من الانتشار على الساحل الغربي الأفريقي، وقد كان السنغاليون في رحلاتهم البحرية في القرن السادس عشر يستعينون بمتترجم لغة الولوف إلى جانب لغات أفريقية أخرى، واليوم تعد لغة الولوف أهم لغات السنغال، ولها انتشار أيضاً في جامبيا. ويقدر عدد المتحدثين بها من أبنائها ثم من امتعاملين بها بحوالي المليونين.

(ج) لغة سانجو:

لغة سانجو من اللغات المهمة في أسرة النيجر الكونغو، وهي أهم اللغات المحلية في جمهورية أفريقيا الوسطى. وقد بدأت سانجو تبرز بين اللغات الكثيرة المتقاربة بنية ومعجماً في هذه المنطقة منذ أواخر القرن التاسع عشر. وقد دخل كثير من أبنائها في الفرقة العسكرية الفرنسية العاملة هناك، ومن ثم تسمى هذه اللغة أحياناً باسم sango ki tulugu (أي سانجو الخاصة بالجنود = سانجو لغة الجنود). وقد انتشرت لغة سانجو بسرعة كبيرة، وأصبح كثيرون من أبناء تلك المنطقة ولغاتها يقبلون على تعلمها ويتعاملون بها، بل أصبحت لغة الطبقة الرفيعة وشرطاً لترقي الاجتماعي.

واليوم يتحدث بلغة سانجو حوالي مليون من أبنائها وحوالي مئوت آخر من المتعاملين بها في داخل الدولة، وأكثرهم يستخدمونها باعتبارها لغة تعامل في س العمل، فالأطفال من أبناء اللغات الأخرى لا يعرفونها، وإنما يكسبونها عد ذلك في المدارس أو في العمل. وعندما قامت جمهورية أفريقيا الوسطى كان فادها ومتقوها يعاملون بلغة سانجو، فأصبحت لها مكانة اللغة الوطنية إلى أن أعلنت سنة ١٩٦٥ لغة رسمية لجمهورية أفريقيا الوسطى.

(د) اللغة الفولانية :

اسم الفولانية (= لغة الفول = لغة peul) من أهم لغات أسرة النيجر الكونغو في غرب أفريقيا، يتحدث بها حوالي خمسة ملايين في المنطقة الممتدة من السنغال حتى جمهورية تشاد.

وهي لغة التعامل السائدة في المنطقة الشمالية من الكاميرون، ولايرل المتحدثون بها يعدون من طبقة السادة، وهذا الموقف امتداد لأحداث التاريخ القريب عدم كان افولانيون أصحاب دولة كبرى قبل دخول الفرنسيين المنطقة. وقد حاولت السلطات الفرنسية الإقلال من مكانة الفول ومن انتشار لغتهم بتشجيع اللغات المحلية الأخرى في غرب أفريقيا.

(هـ) لغة إيفة:

لغة إيفة من لغات أسرة النيجر الكونغو، ولها انتشار نسي في داهومي وتوجو. كان انتشارها قبل دخول المنطقة تحت الاستعمار الألماني، وأفادت منها الكنيسة في التبشير بالمسيحية، ولها اليوم عدد كبير من اللهجات، وتستخدم بعض مستوياتها في تأليف الكتب وتدوين المطبوعات.

(و) لغة الزاندى:

تعد لغة الزاندى -في رأى كثير من الباحثين- من لغات النيجر الكونغو. وهي لغة منسقة كبيرة حكمتها قبائل الزاندى منذ بداية القرن التاسع عشر، فتعلمتها قبائل كثيرة. وعندما قسمت هذه المنطقة بين القوى الاستعمارية البلجيكية والفرنسية وبريطانية قلت مكانة الزاندى ولغتهم بشكل ما: ويتحدث بها اليوم نحو المليون.

رابعا اللغات النيلية الصحراوية:

تضم هذه المجموعة الصغيرة -في تصنيف جرينبرج- عدة لغات، أهمها: صعاى، كورى، بالإضافة إلى عدد من اللغات تعرف باسم اللغات الشارية النيلية

(أ) لغة صنفای:

يعد انتماء لغة صنفای إلى الأسرة النيلية الصحراوية أمراً أقرب إلى الترجيح منه إلى اليقين. وهي اليوم أهم اللغات في منطقة النيجر الوسطى، وترجع مكائنها إلى كونها لغة دولة كبيرة، عرفت أوج ازدهارها في القرن الخامس عشر الميلادي، وضمت منطقة واسعة امتدت في غرب أفريقيا تقابل اليوم السنغال ومالي وبعض مناطق نيجيريا الشمالية. وكانت هذه الدولة الكبيرة عاملاً جعل لغة صنفای أهم لغات التعامل في غربي بلاد السودان. وفي بداية القرن العشرين كانت لغة صنفای واسعة الانتشار بين أبناء لغات البهرة والفلولانية والطوارق في غربي أفريقيا. وبعد عدد المتحدثين بها باعتبارها اللغة الأولى حوالي المليون، وباعتبارها لغة التعامل حوالي نصف مليون، بعضهم في جمهورية السودان.

(ب) لغة كنوري

ارتبط تاريخ كنوري بدولة كانم وبورنو، التي كان لها في التاريخ الأفريقي دور كبير، فقد امتدت رقعتها من وادي شرقاً إلى النيجر غرباً وفزان شمالاً. واستخدمت باعتبارها لغة تعامل بين أبناء كل القبائل في هذه المنطقة، إلى جانب كونها اللغة الأولى عند قبائل كثيرة، وكانت لغة كنوري ذات انتشار كبير، غير أن لغات تعامل أخرى زاحمتها في رقعتها، وأهم هذه اللغات: الهاوسا في الغرب والفلولانية في الجنوب والعربية في الشرق.

خامساً: أسرار لغوية أخرى:

١- هناك مجموعة لغات صنفها جرينبرج ضمن اللغات الشارية النيلية، وتضم فرعين كبيرين:

(١) الأسرة السودانية الشرقية، وأهم لغاتها النوبية بمستوياتها اللغوية المختلفة، ولغة داجو في دارفور وغربي كردفان، ولغة الشلوك والدنكا والنوير في جنوب السودان.

(ب) لغات وسط السودان، ومنها: بونجو، باكاء، بنجا، مورو، لومبي.

٢- وهناك أخرى تسمى بلغات النجر كردفان، وتضم هذه المجموعة تلك السودانية الشرقية التي لا تدخل ضمن الأسرة الشارية النيلية، وأهم هذه اللغات: كولايب.

٣- يضاف إلى ماسق تلك اللغات المعروفة بمجموعة لغات خويسان، هي اللغات التي سميت من قبل عند الأوربيين لغات الهوتتوت والبوشمان، والتسمية الجديدة مأخوذة عن كلمتين (خوى = هوتتوت) + (سان = بوشمان) من لغتين محبتين. ومن أهم هذه اللغات لغات ساندواي ولغات هاتسا في تنزانيا.

الفصل الخامس عشر

الأسرات اللغوية

فى آسيا والمحيطات والعالم الجديد

تضم قارات العالم القديم لغات كثيرة صنف الباحثون كثيرا منها ضمن الأسرات الأمروآسيوية والهندية الأوروبية والأورالية اللتائية. تبقى بعد هذا لغات كثيرة لا تمت بصلة القرابة إلى الأسرات الثلاثة المذكورة، وتضم القارة الأمريكية وجزر المحيطات لغات كثيرة ليس لها بالأسرات المذكورة صلة. ففي منطقة من أسبانيا وجنوب فرنسا نجد جماعة الباسك تكون أقلية لغوية. ولغة الباسك ليست لها أية علاقة بالأسرة الهندية الأوروبية أو بأية أسرة لغوية معروفة أخرى. وهناك فروض كثيرة غير مقنعة تحاول ربط لغة الباسك بلغات أخرى مجهولة الانتماء. أما آسيا أكبر قارات العالم وأكثرها سكانا ففيها عدد من اللغات واللهجات لا تنتمى إلى الأسرة الأفرآسيوية أو الهندية الأوروبية أو الأورالية اللتائية. وقد أمكن تصنيف بعض هذه اللغات فى أسرات مثل الأسرة الدرافيدية فى جنوبى الهند، وبعضها لا يزال مجهول الانتماء مثل اللغة السومرية التى كانت أقدم لغات الحضارة فى أرض النهرين. وفوق هذا فالقارة الأفريقية والقارة الأمريكية وجزر المحيطات تضم لغات كثيرة ليس لها بالأسرات اللغوية المذكورة فى انفصول السابقة علاقة قرابة، ولذا نعرض لها بإيجاز فى هذا الفصل.

أولا : الأسرات اللغوية فى آسيا

(١) لغات حضارية قديمة:

هناك عدد من اللغات التى وصلت إلينا مدونة فى نقوش قديمة أظهرتها الحفريات فى العصر الحديث، ولم تكن هناك أية معلومات عن اللغات البائدة قل اكتشاف هذه النقوش وفك رموز كتابتها وتحليل بنيتها اللغوية. إن أقدم لغة دونها

الإنسان هي اللغة السومرية في أرض العراق القديم. وكان ذلك بخط صوري تطور إلى حط يعتمد على تدوين نطق الكلمة برموز تشبه المسامير، ومن ثم يطلق على هذه الكتابة اسم الحط المسماري. ولقد اتضح للباحثين أن اللغة السومرية قد دونت في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وهي بذلك أقدم من اللغات السامية التي سادت أرض المهرين بعد ذلك. وقد ثبت أن اللغة السومرية - التي كان لها أثر كبير في مفردات اللغة الأكادية، لا تمت إلى الأكادية بصلة قرابة، فالأكادية لغة سامية ولكن السومرية ليست من اللغات السامية، ولا يُعرف إلى أية مجموعة تنتمي هذه اللغة، ولذا فهناك فروض كثيرة في هذا الموضوع، وهي فروض ضعيفة تؤكد - أولاً وقبل كل شيء - أن اللغة السومرية بعيدة - أيضاً - عن اللغات الهندية الأوروبية وعن اللغات التركية والمغولية والقوقازية.

وهناك لغات أخرى عرفها الشرق القديم، ولا يزال اتمازها موضع نظر، وهي اللغات العيلامية والكاسية والخطية والأورارتية والميتانية، ولكنها وصلت إلينا في نقوش قديمة وبادت من آلاف السنين. أما العيلامية فقد دونت نقوشها منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت هذه اللغة وسيلة التعبير في مملكة عيلام القديمة، وعاصمتها سومة. ولكن اللغة الكاسية التي كانت في منطقة جبال زاغروس فلا نعرفها إلا من خلال إشارات في النقوش الأكادية بين القرنين السادس عشر والعاشر قبل الميلاد. وأما اللغة الخطية فقد وصلت إلينا منها نقوش في منطقة بوغازكوي بالأناضول، ويتضح منها أن هذه اللغة سبقت دخول اللغة الحيثية إلى المنطقة. وكانت اللغة الأورارتية في منطقة أرمينيا في القرون من التاسع إلى السابع قبل الميلاد، وقد سقت بدل ذلك اللغة الأرمينية. وأخيراً لا بد من الإشارة إلى اللغة الميتانية (= الخورية) التي وصلت منها نقوش من الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد في دولهم الصغيرة التي كانت في أرمينيا آسيا الصغرى والشام وفلسطين.

ويلاحظ في هذه اللغات - كلها - أنها سبقت الأسرات اللغوية الأفرو آسيوية في مناطق انتشارها والهندية الأوربية في مناطق أخرى. فأرض ما بين الهريين عرفت السومرية وهى غير سامية، ثم الأكادية وهى لغة سامية. والخطية والأورانية، وهما لغتان غير هديتين أوربيتين سبقتا الحيثية والأرمينية وهما لغتان هديتان أوربيتان.

٢- اللغات القوقازية:

المقصود باللغات القوقازية تلك اللغات التى توجد فى القوقاز، ولم يثبت انتمائها إلى اللغات الهندية الأوربية أو إلى التركية أو إلى اللغات المغولية أو إلى أية أسرة لغوية أخرى، فهذه اللغات الباقية يجمعها المكان، ولذا فهى لغات القوقاز أو اللغات القوقازية. وعلى هذا الأساس الجغرافى تضم هذه اللغات فى مجموعة لغوية، وليس من الممكن أن توصف بأنها أسرة، لأن كلمة أسرة تعنى علاقة القرابة، وليس هذا حال هذه اللغات. وأهم اللغات القوقازية: الشركسية واللغات الداغستانية والجورجية والمنجريلية ولغة اللاظ.

(أ) الشركسية:

اللغات الشركسية الثلاث، وهى الشركسية العليا والشركسية السفلى والكبردينية، أهم لغات القوقاز الشمالية. وعلى الرغم من أن المتحدثين بهذه اللغات لا يزيد عددهم عن ربع مليون فإن هذه اللغات أصبحت لغات مدونة داخل الاتحاد الروسى، وتؤلف بها الكتب المدرسية فى أقاليم شمال القوقاز.

(ب) اللغات الداغستانية:

وهناك عدد كبير من اللغات فى منطقة شمال القوقاز، ويزيد عدد هذه اللغات عن خمسين لغة يتحدث بها حوالى مليون ونصف. ومن أهم هذه المجموعة ما يسمى باسم اللغات الداغستانية، عددها ٢٢ لغة، ويتحدث بها حوالى ٩٠٠ ألف نسمة. كانت هذه اللغات تدون بالخط العربى، وعدل نظام كتابتها سنة ١٩٢٤ إلى الخط

اللاتينية، ثم أخذت تدون منذ ١٩٣٨ بالخط الروسى. وإلى جانب هذه اللغات الداعستانية يوجد بالقوقاز الشمالى أكثر من عشرين لغة أخرى تتحدث بها جماعات عوية قليلة العدد.

(ج) اللغة الجورجية:

تضم مجموعة اللغات القوقازية الجنوبية عددا من اللغات، أهمها اللغة الجورجية ويتحدث بها أكثر من مليونين ونصف فى جمهورية جورجيا وفى مناطق فى شمال أذربيجان والمناطق المتاخمة لها فى شمالى شرقى تركيا. واللغة الجورجية ذات تاريخ حضارى على مدى عدة قرون، يرجع خطها الحالى إلى القرن الثالث الميلادى، ونظام كتابتها أبجدي أناح وجود تراث مدون باللغة الجورجية، وهى اللغة القوقازية الجنوبية الوحيدة التى تستخدم فى المستوى الثقافى وفى التأليف، وهى لغة التدريس فى مدارس جورجيا وجامعتها فى تفليس.

(د) المنجولية ولغة اللاظ:

هما لغتان من اللغات القوقازية الجنوبية، أما اللغة المنجولية فيتحدث بها ٢٠٠ ألف، ولغة اللاظ فى شمال شرق تركيا يتحدث بها حوالى ٥٠ ألفا، وليست لهما كتابة متعارف عليها عند أبنائها، وليس لهما تراث حضارى. فأبناء المنجولية يتعاملون فى مجالات الثقافة باللغة الجورجية، أما أبناء لغة اللاظ فى لاطستان فى جمهورية تركيا فيتعاملون باللغة التركية فى أمور الثقافة والادارة.

وهناك لغات كثيرة أخرى تتحدث بها جماعات قليلة العدد فى منطقة القوقاز، ومع هذا فبعضها يدون ويستخدم فى التعليم.

٣- اللغات الدرافيدية:

تعرف شبه القارة الهندية مجموعة كبيرة من اللغات الهندية الأوربية، كما تضم لغات أخرى لا تنتمى إلى هذه الأسرة، فاللغات الدرافيدية يتحدث بها اليوم أكثر من

مائة مليون من اليهود وسكان سرى لانكا (سيلان)، وهي لغات كثيرة متقاربة فى اسبة
واسمهم، ولذا فهى تكون أسرة لغوية واحدة، وأهم لغات هذه الاسرة تيلوجو وتاميل
والملايالام، وغير ذلك من اللغات الدرافيدية، وعددها ١٥٣ لغة.

أما لغة اتيلوجو فهى أكثر اللغات الدرافيدية انتشارا، ويتحدث بها أربعون ميونا
من اليهود فى الحبوب الشرقى (١٩٦١). ولها تراث يبدأ تاريخه فى القرن الحادى
عشر الميلادى، ومع هذا فتعد لغة التيلوجو اللغة الوطنية الثانية فى الهند بعد اللغة
المعروفة باسم اللغة الهندية.

لغة التاميل هى اللغة الدرافيدية الثانية فى الهند، وهى اللغة الوطنية الخامسة فى
الهند بعد الهندية والتيلوجو والبنغالية والمراثى، يتحدث بها نحو أربعين ميونا. فى
جنوبى شرقى الهند وشمالى سيلان. ولغة التاميل، مكاتها أيضا بفضل تراثها، قديم
اثرى، فهى اللغة اترثية الأولى من اللغات الدرافيدية. ومن هذا الجانب يأتى ترتيبها
بين لغات الهند بعد السنسكريتية.

وتترب لغة الملايالام ويتحدث بها نحو عشرين مليونا فى خصائصها اللغوية
من لغة التاميل وأخيرا تأتى لغة كانادا ويتحدث بها نحو عشرين مليونا. وهناك لغات
درافيدية كثيرة أخرى فى جنوب الهند، ويمتد بعضها فى جزر لغوية فى الباكستان،
كما تعد لغة التاميل من أهم لغات سرى لانكا.

٤- الفيتنامية ولغات اللون - خمير:

لغة الفيتنامية (= اللغة الأنامية) هى أكثر اللغات انتشارا فى فيتنام، يتحدث بها
حوالى ٣٥ مليونا. وهى لغة ذات تراث مدون منذ القرن السابع عشر، ويقوم الخط
الفيتنامى على الحط اللاتينى مع علامات إضافية، وكان المبشرون البرتغاليون قد أحدوا
فى تدوين اللغة الفيتنامية معتمدين على القيم الصوتية للحروف فى نطق البرتغاليين، ولذا
يستخدم مثلا حرف (d) فى تدوين صوت الذال الفيتنامية، لأن هذا الحرف يعبر

كثيرا فى اللغة البرتغالية عن صوت قريب من الذال وكانت اللغة الانامية قد دونت قبل ذلك بكاءة تقوم على الخط الصينى، وظلت كلتا اللكاتبين مستخدمتين فترة من الزمن.

ويعد تحديد انتماء اللغة الفيتنامية من القضايا التى لم تتضح بعد، فثمة سمات مشتركة بينها وبين لغات المون - خمير، جعلها باحثون من لغات المود خمير، أما الرأى المقابل فيجعل اللغة الفيتنامية احدى لغات التاى، ويرد أوجه الشبه مع لغات المون خمير إلى تأثير الفيتنامية بهذه اللغات، وتدخل لغات التاى فى المجموعة اللغوية الصينية - التبتية.

وتعد لغات المون خمير أسرة لغوية توجد لغاتها فى مناطق من الهند وبورما والهند الصينية وبلاد جنوبى شرقى آسيا. وأهم لغات هذه المجموعة لغة الخمير أو الكمبودية ويتحدث بها حوالى ٤ ملايين، ولغة المون ويتحدث بها نصف مليون جنوبى شرقى بورما. ولكنا اللغتين تاريخ حضارى قبل العصر الحديث. وقد دونتا بخط يقوم على الخط الهندى.

٥- مجموعة اللغات الصينية التبتية:

تضم مجموعة اللغات الصينية التبتية عددا من اللغات الواسعة الانتشار فى جنوب شرقى آسيا، وأهم هذه اللغات اللغة الصينية التى تعد من حيث عدد الناطقين بها اللغة الأولى فى العالم. وتضم مجموعة اللغات الصينية التبتية أيضا أسرة لغات التاى والمجموعة اللغوية التبتية البرمانية.

اللغة الصينية:

اللغة الصينية لغة نحو ألف مليون نسمة فى الصين، وهناك ملايين الصينيين فى مناطق أخرى من جنوب شرقى آسيا. وهى بهذا أكثر اللغات انتشارا فى هذه المنطقة من العالم المعاصر. وقد أدى استخدام اللغة الصينية فى هذه الرقعة الواسعة من العالم على مدى عدة قرون إلى تغيرات محلية فى اتجاهات مختلفة، وبذلك نشأت الأشكال

اللغوية المختلفة التي تعرف باسم الماندرين والكانتونية وغير ذلك. وثمة سؤال يطرح نفسه في هذا الصدد، وهذا السؤال هو: إلى أى حد يمكن وصف هذه الاشكال اللغوية بأنها لغات مستقلة أو لهجات مختلفة للغة واحدة؟

إن القضية اللغوية في الصين هي قضية التوحيد اللغوى مع تبسيط نظام الكتابة، والجائنان مختلفان ولكنهما متكاملان متداخلان. فقد أدى انتشار اللغة الصينية إلى تغييرها على المستوى المنطوق في الأقاليم المختلفة، وظلت الكتابة موحدة. وأهم الاشكال اللغوية الصينية هي: الماندرين. وإذا التقى ابن الماندرين مع ابن الكانتونية أو ابن وُو أو هُكَّا لما أمكن التفاهم اللغوى المباشر، ولو بعد حين. وهذا شبيه بلقاء الانجليزى مع الألماني أو الفرنسى مع الأسبانى، فلا بدأن يتحدثا بلغة واحدة حتى يتم التفاهم الشفوى، ولكن الكتابة قد تكون وسيلة التفاهم بينهما. فإذا كتب الانجليزى للأسبانى $2+6=8$ لترجم الملتقى ذلك الرمز المكتوب إلى لغته وفهم المراد. شبيه بهذا أمر الصينيين فى المناطق المختلفة، النطق مختلف، والكتابة واحدة. ويرجع هذا إلى أن الكتابة الصينية بغض النظر عن تقوم على أساس الدلالة، على أساس الصوت، فالبيت له رمز فى الخط بغض النظر عن الأصوات المكونة للكلمة واختلافها من منطقة لأخرى. وتتضح هذه الحقيقة إذا علمنا أن الكتابة للصينية يزيد عمرها عن ثلاثة آلاف وخمسمائة عام، وظلت ثابتة الملامح لا تكاد تتغير، بينما حدثت تغيرات لغوية على المستوى النطوق على مدى القرن.

لقد اتضح للصينيين أن الكتابة الصينية برموزها التي تزيد عن أربعة آلاف رمز صعبة التعلم، وصعبة فى الطباعة ومتعذرة فى الآلة الكاتبة، ولذا وضعت الثورات الصينية المتتالية برنامجا للإصلاح اللغوى يهدف إلى توحيد اللغة مع تبسيط الكتابة. ويقوم التوحيد اللغوى على أساس تعليم كل أبناء الصين لغة الماندرين وجعلهم يستطيعون التحدث بها بوصفها اللغة الصينية المشتركة، وتطوير نظام كتابة هذه اللغة الصينية المشتركة، ليصبح بسيطا يسهل تعلمه.

(ب) لغات التاي:

تضم مجموعة لغات التاي عددا من اللغات المنتشرة في الدول الصغيرة في جنوب شرقى آسيا، وأهمها اللغة السامية وتسمى أيضاً لغة التاي. وهي لغة أرعين ميبوا في تايلاند، واللاوسية في تايلاند وفي لاوس، وهي اللغة الرسمية في لاوس، بالإضافة إلى عدد من اللغات في هذه المنطقة.

(ج) المجموعة التبتية البرمائية:

تشكل هذه المجموعة من فرعين. واللغة التبتية أهم لغات الفرع التبتى، وهي لغة أربعة ملايين في دولة التبت. ولهذه اللغة تاريخ حضارى يرتبط بترجمة التراث السنسكريتى، وتدون منذ القرن الثامن الميلادى بخط بقوم على الخط الهندى. والفرع البرمانى تمثله لغة بورما، ويتحدث بها نحو عشرين مليوناً في دولة بورما.

٦- اللغات الملايوية البولينيزية:

تشمل اللغات الملايوية البولينيزية عددا من اللغات التى تتحدث بها قبائل وشعوب كثيرة في جزر أندونيسيا والاقيانوسية من مدغشقر غرباً إلى جزر المحيط الهادى شرقاً، وفي هذه المنطقة الواسعة من العالم توجد آلاف الجزر آلاف اللغات واللهجات وعشرات المجموعات اللغوية، وأهم هذه المجموعات:

(أ) المجموعة الاندونيسية:

تضم المجموعة الاندونيسية عدة لغات في الجزر الكثيرة من الفيليبس في المحيط الهادى ثم فورموزا وإندونيسيا وماليزيا إلى مدغشقر في المحيط الهادى بالقرب من ساحل الشرقى للقارة الأفريقية. ويبلغ عدد المتحدثين بهذه اللغات حوالى ١٩٠ مليوناً في دول مختلفة في هذه المنطقة. وأهم لغات هذه المجموعة اللغة الاندونيسية واللغة الماليزية ولغة جاوة، وأخيراً لغة مدغشقر.

واسمى اللغة الاسونينسية هي لغة الملايو فى شكلها المتعارف عليه فى دولة إندونيسيا، فالأصل التاريخى أن هذه اللغة كانت لغة ساحل سومطرة ثم انتشرت بعد ذلك فى الملايو وبورنيو. وقد دونت هذه اللغة التى كانت تعرف باسم لغة الملايو فى القرن الثالث عشر بخط محلى، وعدل نظام الكتابة فى القرن الخامس عشر إلى خط العربى. ثم حول بعد ذلك إلى الخط اللاتينى، وعندما أعلن قيام دولة أندونيسيا سنة ١٩٤٧ أعلنت معها لغة الملايو لغة رسمية البلاد، ثم عدل اسمها إلى اللغة الإندونيسية تمييزاً لها عن الأشكال اللغوية الأخرى - القديمة والحديثة - بلغة الملايو. وتستخدم اسمها نفسها فى ماليزيا، يتحدث بها خمسة عشر مليوناً، وكانت الإندونيسية والماليزية فى طور انقسام بسبب المصطلحات الجديدة التى تكون كثير منها من الهولندية فى إندونيسيا والإنجليزية فى ماليزيا. ولكن ثمة تعاوناً بدأ للتعاون فى هذا المجال بين إندونيسيا وماليزيا.

(ب) المجموعة البولينية:

وتشمل لغات الجزر مثل لغة هاواى تاهيتى، ولغة ساموا وفيجي.

٧- اللغة الكورية:

اسم اللغة الكورية لغة غير معروفة الانتماء، لاحظ البعض أنها لغة إصاكية مثل اليابانية، ولكن أوجه الشبه بينهما لا تكفى لجعلهما أسرة واحدة. اللغة الكورية لغة ثمانين مليوناً فى كوريا الجنوبية والشمالية. ودونت اللغة الكورية فى القرن الخامس عشر بأربعين حرفاً بسيطاً ومركباً تكون ٢٣٠ مقطعاً، ولا يزال هذا الخط مستخدماً بصورة مسطحة. ولغة الكورية زاخرة بألفاظ دخيلة من اللغة الصينية، فقد كانت الصينية لغة الثقافة عدة قرون.

٨- اللغة اليابانية:

اللغة اليابانية لغة الصاقية، تشبه من هذا الحائب اللغة الكورية، ولكن ثمة غموضاً في تحديد انتماء اللغة اليابانية. وهى بعيدة في بنيتها عن اللغة الصينية التى تعد لغة عارلة لا تعتمد بنيتها اللغوية على نظام اللواصق، كما هى الحال فى اليابانية. وعندما كانت اليابان على مدى عدة قرون فى إطار الحضارة الصينية أخذت مجموعة من الرموز الكتابية الصينية ذات الدلالة المباشرة وأصبحت ذات قيمة صوتية. وعلى هذا فالكتابة اليابانية التقليدية (كانجى) تقوم على رموز من الكتابة الصينية بمعناها ورموز أخرى مكملة (هيرجانا) ترمز إلى الأصوات المنطوقة. وهناك نظام ثالث أبجدي يستخدم لتدوين الكلمات الدخيلة (كاتاكانا) واللغة اليابانية لغة دولة اليابان، يتحدث بها ١٢٠ مليوناً.

ثانياً: لغات الهنود الحمر

تستوعب الأسرات اللغوية المذكورة أكثر سكان العالم وهى أسرات قليلة العدد نسبياً بالقياس إلى الاسرات اللغوية الكثيرة الأخرى التى تصنف بداخلها لغات الهملايا ولغات استراليا الأصلية ولغات الهنود الحمر فى أمريكا واللغات الافريقية، فهذه اللغات كثيرة جداً، يزيد عددها عن عدد لغات الأسرات اللغوية الكبرى.

صنف اللغوى الأمريكى ساير Sapir لغات الهنود الحمر فى أمريكا الجنوبية الوسطى إلى ١٠٨ أسرة لغوية. وعلى الرغم من أن هذا التصنيف غير نهائى إلا أنه يشهد بالتنوع اللغوى على نحو لا يعرفه للعالم القديم. وترجع صعوبة تصنيف هذه اللغات إلى عدم وجود نصوص قديمة مدونة بها. لقد نجح الباحثون فى تصنيف اللغات الهندية - الأوربية يبحث الخصائص اللغوية لأقدم اللغات التى وصلت مدونة منها، واستعانوا على ذلك بمعرفة المراحل اللغوية المختلفة كما أثبتتها النصوص. أما الباحث فى لغات الهنود الحمر فعليه أن يقنع فى النظر فى اللغات المعاصرة، ولذا لا

يقوم تصنيف هذه اللغات على أساس القوانين التاريخية بل يقوم على أساس التشابه فى السية والمفردات.

وأهم لغات الهنود الحمر فى أمريكا الجنوبية والوسطى هى لغة كيتشوا Quechua وكانت هذه اللغة ذات شأن عظيم قبل دخول الأوربيين إلى أمريكا، لأنها كانت لغة دولة الإنكا. ولا تزال لغة كيتشوا تستخدم إلى الآن عند حوالى سبعة ملايين نسمة فى بيرو وأكوادور وبوليفيا، وهؤلاء يتعاملون مع بعضهم البعض بهذه اللغة وكثير منهم يتعامل مع الآخرين باللغة الأسبانية.

وهناك لغات كثيرة تستخدم فى أمريكا اللاتينية الوسطى فى التعامل بين الهنود ومن أهم هذه اللغات فى رأى الباحث الأمريكى جليسون H.Gleason وجوارانى Guarani وإيمارا Aymara وتوبى جوارانى Tupi Guarani. لغة جوارانى هى لغة الهنود الأساسية فى قسم كبير من باراجواى وفى عدة أجزاء من جنوب غرب البرازيل. وأكثر أبناء هذه اللغة يعرفون الأسبانية أو البرتغالية ويتعاملون بإحداهما مع الآخرين. أما لغة إيمارا Aymara فهى لغة كثير من الهنود فى جنوب بيرو وبوليفيا. أما لغة توبى جوارانى فقد كانت لغة للتعامل فى منطقة الأمازون بالبرازيل، وأخذت البرتغالية تحل محلها شيئاً. الحمر لغة ناواتل Nahuatl، ويتحدث بها حوالى مليون نسمة، ولها أهمية تاريخية لأنها كانت لغة دولة الأزتك Aztec، وهى إحدى اللغات القليلة التى دونها أبناؤها قبل دخول الأوربيين إلى أمريكا.

كتب أساسية مختارة فى علوم اللغة

أولاً : باللغة العربية:

- ١- إبراهيم انيس، الأصوات اللغوية، القاهرة ١٩٩٠.
- ٢- ابن جنى، الخصائص، القاهرة ١٩٥٢-١٩٥٧.
- ٣- برحشتراسر، التطور النحوى للغة العربية، القاهرة ١٩٢٩.
- ٤- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة ١٩٧٣.
- ٥- حسين نصار، المعجم العربى نشأته وتطوره، القاهرة ١٩٥٦.
- ٦- الخليل بن أحمد ، كتاب العين، ج١، بتداد ١٩٦٧.
- ٧- سيبويه، كتاب سيبويه، ١-٥، القاهرة ١٩٦٥-١٩٧٧.
- ٨- عبد القادر الفاسى الفهرى، اللسانيات واللغة العربية، الرباط ١٩٨٢.
- ٩- محمود السمران ، علم اللغة ، الاسكندرية ١٩٦٤.
- ١٠- محمود فهمى حجازى، علم اللغة العربية، الكويت ١٩٧٣، القاهرة ١٩٩٣.

ثانيا : كتب مترجمة إلى اللغة العربية :

- أبركرومبى ، ديفيد ؛ مبادئ علم الأصوات العام، ترجمة وتعليق محمد فتيح،
القاهرة ١٩٨٨.
- أفيتش، ملكا، اتجاهات البحث اللسانى ، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء
كامل فايد، القاهرة ١٩٩٦.
- أولمان ، ستيفن؛ دور الكلمات فى اللغة، ترجمة وتعليق كمال محمد بشر، القاهرة
١٩٨٨.
- تشومسكى، نعمان؛ اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة حمزة بن قبلان المزينى، الدار
البيضاء ١٩٩٠.
- دى سوسير، فريدنان؛ دروس فى الأسنىة العامة، تعريب صالح القرمادى، محمد
الشاوش، محمد عجينة.
- ليونز، جون، نظرية تشومسكى اللغوية، ترجمة وتعليق حلمى خليل، الاسكندرية
١٩٨٥.

ثالثاً : بلغات أجنبية

- S. Al- Ani, Arabic Phonology, The Hague 1970.
- L. Bloomfield, Language, Allen & Unwin 1953.
- C. Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1908-1913.
- N. Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, MLT 1966.
- S. P. Corder, Introductory Applied Linguistics, Penguin Modern Linguistic Texts 1973.
- D. Crystal, Linguistics, Penguin Books 1975.
- J. A. Fodor, J. Katz, The Structure of Language, Prentice Hall 1964.
- H. A. Gleason. An Introduction to Descriptive Linguistics, Holt, Rinehart and Winston, New York 1961.
- J. Greenberg, Languages of Africa, Indiana University 1966.
- C. F. Hockett, A Course in Modern Linguistics, New York 1958.
- D. Hymes (ed.) Language in Culture and Society and Society, Harper & Row.
- J. Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics, Cambridge 1968.
- E. Nida, The Componential Analysis of Meaning, The Hague 1975.
- E. Nida Morphology, The Descriptive Analysis of Words, Ann Arbor 1974.
- F. Palmer, Grammar, Penguin Books 1975.
- F. Palmer, Semantics, Cambridge 1976.
- S. Saporta, Psycholinguistics, Holt, Rinehart Winston 1966.
- T.A. Sebeok; Current Trends in Linguistics 1-6, The Hague 1970
- B. Spuler, Handbuch der Orientalistik, Leiden 1964.

مصطلحات أساسية

acoustic	صوتى (فيزيائى)
acoustic phonetics	علم الأصوات الفيزيائى
acoustics	علم الصوت
acquired	مكتسب
acquisition	اكتساب
active	مبنى للمعلوم
adjective	صفة
adverb	ظرف
affix	زائد
affixation	زيادة - إلحاق
africate	مركب احتكاكى
agglutinative	الصاقى
alphabet	أبجدية
allomorph	صورة صرفية
allophone	صورة صوتية
alveolar	لثوى
aveoli	لثة - مقدم الحنك
ambiguity	غموض
analogy	قياس
analysis	تحليل
analytic	تحليلى
anatomy	علم التشريح
antonymy	تخالف
anthropology	علم الانثروبولوجى
applied linguistics	علم اللغة التطبيقى

articulation	نطق
articulator	عضو نطقى
articulatory phonetics	علم الأصوات النطقى
assimilation	مماثلة - تماثل
auditory phonetics	علم الأصوات السمعى
behaviour	سلوك
behaviourism	السلوكية
bilabial	شفوى (من الشفتين)
bilingualism	الازدواج اللغوى
breath	نفس
case	حالة إعرابية
category	فصيلة
circularity	دور
cavity	تجويف
classification	تصنيف
closure	حبس
closed sets	مجموعات مغلقة
cognate	قريب، من أصل واحد
collocation	تضام
colloquial	عامى
communication	(نظام) الاتصال
communion	تشارك
community	جماعة
comparative	مقارن
comparative linguistics	علم اللغة المقارن
comparative philology	فقه اللغات القديمة المقارن (مصطلح باند)
competence	كفاءة لغوية = ملكة لغوية

concept	مفهوم = صورة ذهنية
concord	مطابقة
conjugation	تصريف الأفعال
conscious	واع
consciousness	وعى
contrastive	تقابلي
contrastive linguistics	علم اللغة التقابلي
convention	عرف
conventional	عرفى
convex	محدب
consonant	صامت
context	سياق
contextual meaning	المعنى السياقى
context of situation	سياق الموقف
cord	وتر
corpus	مجموع النصوص
correct	صواب
correspondence	تطابق
data	معطيات
deep structure	البنية العميقة
dental	أسناني
derivation	اشتقاق
descriptive	وصفى
descriptive linguistics	علم اللغة الوصفى
diachronic	تاريخى (عبر الزمن)
dialect	لهجة، مستوى لغوى
dialectology	علم اللهجات

dictionary	معجم، قاموس
diphthong	صوت مزدوج
dissimiation	مخالفة = تخالف
distinctive features	سمات مميزة
emphatic	مطبق
ethnolinguistics	علم اللغة الاثنولوجي
etymology	تأصيل = علم تأصيل المفردات
experimental phonetics	علم الأصوات التجريبي
family	أسرة
field linguistics	علم اللغة الميداني
form	صيغة
formal grammar	نحو شكلي
fricative	احتكاكي
function	وظيفة
genealogical classification	تصنيف أسري
gender	جنس نحوي
generation	توليد
generative	توليدي
generative grammar	نحو توليدي
glottal stop	وقف حنجري
grammar	نحو
grammarian	(عالم) نحوي
guttural	حلقى
hard palate	الحنك الصلب
historical linguistics	علم اللغة التاريخي
homonymy	اشتراك لفظي
hyponymy	درجة العموم

hypothesis	فرض
idioms	تراكيب ثابتة
immediate constituents	مكونات مباشرة
infix	داخلة
inflection	التصريف الإعرابي
inflectional	إعرابي
informant	راوية
inference	تداخل
instrumental phonetics	علم الأصوات الآلي
inscription	نقش
interdental	بين أسناني
international language	لغة دولية
intonation	تنغيم
irrelevant	غير حاسم
isolating	عازلة
kernel sentence	جملة نووية
labial	شفوي
labio-dental	شفوي أسناني
language	لغة (من اللغات)
langage	اللغة (الانسانية)
laryngeal	حنجري
larynx	حنجرة
lateral	(صوت) منحرف
level	مستوى
lexeme	وحدة معجمية
lexical	معجمي
lexical meaning	معنى معجمي

lexicon	معجم
lexicology	علم المفردات
linguist	لغوى
linguistics	علم اللغة
masculine	مذكر
meaning	معنى
mopheme	وحدة صرفية
morphemic alterants	متغيرات صرفية
morphology	بناء الكلمة = علم الصرف
morphophonemics	علم التغيرات الصوتية الصرفية
nasal	أنفى
negation	نفي
neuter	محايد
normative	معياري
notation	تدوين
noun	اسم
number	عدد
opposition	تقابل
onomasiology	علم التسمية = علم تسمية الأشياء
onomatopoetic	محاك للأصوات الطبيعية
oral	فمى
ostensive meaning	معنى إشارى
palatal	حنكى
palate	الحنك
paradigm	جدول تصريفات
paradigmatic	جدولى
parole	كلام

passive	مبنى للمجهول
performance	أداء
person	شخص
pharyngeal	حلقى
pharynx	التجويف الحلقى
phenomenon, phenomena	ظاهرة، ظواهر
philology	علم النصوص القديمة
point of articulation	مخرج
phoneme	وحدة صوتية
phonemics	علم علم الفونولوجي = الوحدات الصوتية
phonetics	علم الأصوات
phonetic alphabet	الأبجدية الصوتية
phonetic law	قانون صوتي
phonology	علم الفونولوجي
plosive	انفجاري (- شديد)
plural	جمع (- غير المفرد)
polyglot	متحدث بعدة لغات
polysemy	تعدد المعنى
postposition	لاحقة جر
prefix	سابقة
pronoun	ضمير
psycholinguistics	علم اللغة النفسي
ready made utterances	عبارات جاهزة
reconstruction	إعادة تكوين
regular	مطرد
referent	المشار إليه
relationship	قراءة

release	إطلاق
relevant	حاسم
resonance	رنين
response	استجابة
romance languages	لغات رومانية
rules	قواعد
segmental	جزئى
semantic field	مجال دلالى
semantic overlapping	تداخل دلالى
semantic relations	علاقات دلالية
semantics	علم الدلالة
semasiology	علم تطور الدلالة
semiotic triangle	الثالوث الدلالى
sentence	جملة
sequence	تتابع
sign	علامة
sociolinguistics	علم اللغة الاجتماعى
soft palate	الحنك اللين
sound laws	قوانين صوتية
speech	كلام
speech chain	سلسلة كلامية
speech organs	أعضاء الكلام
standardisation	تتميط
standard language	لغة مقننة
stop	حبس، إيقاف
stratum	طبقة، مستوى
stress	نبر

structure	بنية
structural	بنوي
structuralism	البنوية
style	أسلوب
stylistics	علم الأسلوب
suffix	لاحقة
supra-segmental	فوق جزئي
surface structure	البنية السطحية
syllable	مقطع
synchronic	وصفي (تزامني)
synonymy	ترادف
syntagmatic	أفقي
syntax	بناء الجملة
system	نظام
taboo	ممنوع، حرام
teeth	أسنان
transcription	تدوين صوتي
typological	نمطي
typological classification	تصنيف نمطي
universals	عموميات ، كلييات
usage	استخدام
utterance	قول منطوق
uvula	اللهاة
uvular	لهوي
velarisation	تفخيم
velar	حنكي قصي
velum	الحنك القصي = الحنك اللين

verbal	لفظى
verbal behaviour	سلوك لغوى = سلوك لفظى
vocal cords	وتران صوتيان
voice	جهر (= صوت الجهر)
voiceless sound	صوت مهموس
voiced sound	صوت مجهور
vowel	حركة
vocalic harmony	توافق حركى
vulgar latin	اللاتينية الشعبية
wind-pipe	قصبه هوائية
word	كلمة
writing	كتابة